"International Islamic University
Islamabad Pakistan
Faculty of Islamic studies
Department of Tafseer&Quranic Science"

الجامعة الاسلامية العالمية
اسلام آباد- باكستان
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الاحتباك وتوظيفه في بيان المعنى عند الإمام الألوسي من خلال تفسيره "روح المعاني"

(دراسة وصفية تحليلية)

بحث لنيل درجة الدكتوراة

الإشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور هارون الرشيد حفظه الله

إعداد الطالبة

افشين شفيق

رقم التسجيل: **488-FU/PHDTQS/S21**

العام الجامعي 2025

الجامعة الإسلامية العالمية –إسلام آباد

لجنة المناقشة والتحكيم وتوقيعاتهم

تمت مناقشة الرسالة العلمية التي قدمتها الباحثة افشين شفيق، بعنوان: "(**الاحتباك وتوظيفه في بيان المعنى عند الإمام الألوسي من خلال تفسيره "روح المعاني")(دراسة وصفية تحليلية)**"، لنيل درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن، وذلك **يوم الثلثاء الموافق:25-11-2025**، بالجامعة الإسلامية العالمية-إسلام آباد، ومنحت اللجنة الباحثة درجة الدكتوراة بتقدير ممتاز.

رقم	لجنة المناقشة	الإسم	التوقيع
1	المشرف	الأستاذ الدكتور هارون الرشيد	
2	المناقش الداخلي	الأستاذة الدكتورة أمة العزيز	
3	المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتور مُحَمَّد عمر فاروق	
4	المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتور هدايت خان	

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY ISLAMABAD

FACULTY OF USULUDDIN (ISLAMIC STUDIES)

Subject: **CERTIFICATE FOR SUBMISSION OF THESIS TO RESEACH/EXAM SECTION AFTER VIVA VOCE EXAMINATION**

Certified that Ms. Afsheen Shafiq, Registration No.488-FU/PHDTQ/S21, a student of PhD, Department of Tafseer & Qur'anic Studies, Faculty of Usuluddin (Islamic Studies), IIUI, has incorporated the suggestions given by the examiners in viva voce examination conducted on 25.11.2025.

The title of her thesis is:

الاحتباك وتوظيفه في بيان المعنى عند الإمام الألوسي من خلال تفسيره " روح المعاني "

(دراسة وصفية تحليلية)

She is now allowed to submit her thesis to Research/Examination Section for award of PhD degree.

27.11.2025

(Prof. Dr. Haroon ur Rashid)

Supervisor/Professor

Department of Tafseer & Qur'anic Studies,

Faculty of Usuluddin, IIUI

Prof. Dr. Haroon ur Rashid
Professor
Faculty of Usuluddin (Islamic Studies)
International Islamic University
Islamabad

Research/Examination Section

الإهداء

إلى والدي الكريمين –حفظهما الله تعالى– اللذين ربياني صغيرا وتحملا المشقة في تربيتي وتعليمي.
إلى جميع أساتذتي الذين أخذت العلم على أيديهم واستفدت كثيرا من توجيهاتهم وتعاليمهم ونصائحهم خاصة في الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.
إلى جميع هؤلاء أهدي هذا البحث المتواضع لعلي أتنعم بصالح دعائهم وأكون قد قمتُ بجزء من واجبي تجاههم راجيا من الله تعالى أن يغفرلي زلاتي ويتقبل مني ما أخطأت يداي، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله تعالى على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

افشين شفيق

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فأتوجه بالشكر الجزيل- بعد حمد الله وشكره-لمن قرن الله حقهما بحقه: والدي الكريمين، وأبواي الحليمين، الذين لم يألوها جهدا في التوجيه والدعاء والتشجيع ودوام السؤال، فلا أملك إلا أن أقول (رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا).[1]

كما أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور هارون الرشيد -أطال الله تعالى بَقَاَءه المشرف على الرسالة، على ما قام به من جهد ومتابعة وتقويم وتوجيه وإفادة، وقد بذل لي وقْتَه مع كثرة أعماله، ولم أجد وجهه إلا طليقا مبتسما، فكان له أثر بارز في خروج الرسالة بهذا الشكل، فجزاه الله على مساعيه الكريمة عنى خير الجزاء ونفع به الإسلام وطلاب العلم.

كما أشكر القائمين على الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد وكلية أصول الدين فيها متمثلة في قسم التفسير وعلوم القرآن على إتاحتهم لى فرصة الالتحاق بهذه الجامعة العريقة التي نَهَلْتُ من علم أساتذتها- جزاهم الله خير الجزاء-وأخص بالذكر منهم فضيلة الأستاذ الدكتور المقرى تاج افسر عميد كلية أصول الدين والأستاذ الدكتور آصف محمود رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن وجميع أساتذة الكلية الذين تَتَلْمَذْتُ على أيديهم.

وأخيرا هذا جهد المقل، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله تعالى من كل زلل.

وصلى الله تعالى وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

افشين شفيق

[1]) سورة الإسراء: رقم الآية 24.

(الاحتباك وتوظيفه في بيان المعنى عند الإمام الألوسي من خلال تفسيره "روح المعاني")

(دراسة وصفية تحليلية)

"Al–Ehtibak(Reciprocal ellipsis) and interpretation of meaning in Imam Al–Alusi through Tafsir Al–Ruh–al–Ma'ani"

Abstract:

Al-Ehtibak is a rhetorical term and one of the most important types of exquisite philanthropy (adornment). (It means linguistic beauty in words as well as in meanings) in a statement in which two different/conflicting things or matters are mentioned in a way that some words were dropped from one side (either the first or the second) because of the existing evidence. On the other hand many verses in the Quran (more than 120 verses in the Tafseer Rooh ul Maa'ni)in which this method is used, All the commentators who explore the rhetoric of the Qura'an give great importance to this type and try to elaborate the beauty of this style and its impact on the verity of the meanings. Although I will consult all these exegetes but my focus will remain on interpreting the Tafseer Rooh ul Maa'ni that developed this method and its impact on the diversity of meaning in a better and detailed way.

المقدمة

التعريف بالموضوع:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

مما لا مراء فيه أن الاحتباك (وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول)[1] إذن مفهوم الاحتباك هو أن يؤتى بكلامين في النص في كلٍ منهما متضادان، أو متشابهان، أو متناظران، أو منفيان، أو يشترك نوعان منها في نصٍ واحد، فيحذف من أحد الكلامين كلمة، أو جملة إيجازاً يأتي ما يدل على المحذوف في الثاني، ويحذف من الثاني كلمة أو جملة أيضاً قد أتى ما يدل عليها في الأول، فيكون باقي كلٍّ منهما دليلاً على ما حذف من الأخر، ويكمل كل جزءٍ الجزء الأخر ويتممه ويفيده من غير إخلال في النظم ولا تكلف وما شابهه من الموضوعات لها صبغة بلاغية أدبية التي لم يغفلها المفسرون لا القدامى ولا الجدد حيث وظفوا هذه الموضوعات البلاغية في تفاسيرهم وأبرزوا أثرها في بيان معانى القرآن الكريم، منهم الإمام الألوسي الذي يعتبر تفسيره موسوعة في أوساط التفسير، فقد وجدت ما يقارب ثمانين موضعا وظف فيها الاحتباك ووضح أثره في بيان وإبراز المعاني والمفاهيم القرآنية.

أهمية الموضوع:

اللغة العربية لغة القرآن الكريم، فصاحة هذه اللغة وأثرها في القرآن الكريم واضحة وجلية في آياته، وهذا جانب تنبه له جل المفسرين منهم الإمام الألوسي فاخترت هذا الموضوع لأهميته البالغة المتمثلة في النقاط الآتية:

1. قد يكون الكلام أوقع في النفس والقلب إذا كان مذكورا بهذه الصورة البلاغية.
2. اهتمام المفسرين بهذه الأنواع البلاغية وإبراز معانى القرآن الكريم من خلالها.

---

[1]) الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،(1623/5) ت مركز الدراسات القرآنية دار النشر: مجمع الملك فهد الطبعة الأولى، النوع الثالث والسبعون.

3. اهتمام الإمام الألوسي بهذا النوع (الاحتباك وتوظيفه في بيان معانى الآيات القرآنية).

أسباب اختيار الموضوع:

1. إن هذا الموضوع مُعِينٌ على التدبر في كتاب الله تعالى وتأمل آياته ومعانيه، فكتاب الله نزل ليتدبر ويعمل به، ولم ينزل للقراءة فقط.
2. عناية المفسرين بهذا الجانب من الذكر والحذف في تفاسيرهم، ومنهم الإمام الألوسي الذي اهتم بمثل هذه الموضوعات اهتماما لم نجد عند غيره من المفسرين.
3. كانت رسالتي في الماجستير متعلقة بالبلاغة نفسه، وكان موضوعي بعنوان "أثر السياق في الكشف عن دلالة الحذف وتقديره في القرآن الكريم-دراسة نظرية تطبيقية-" لهذا السبب أريد أن أتقدم في هذا الموضوع واستمر فيه لمزيد من الدراسة والتعمق.

إشكالية البحث:

1.ما هي أنواع الاحتباك في القرآن الكريم عند الامام الآلوسي؟

2.ما مدى إبراز أثر الاحتباك عند الإمام الألوسي في تفسيره روح المعاني؟

3.ما مدى اعتناء المفسرين بالكشف عن أثر الاحتباك في تحديد سر الحذف في القرآن الكريم؟

الدراسات السابقة:

أما بالنسبة للدراسات السابقة فقد بذلت جهدي في تتبعها ولكني لم أعثر على كتاب أو رسالة علمية تناولت هذا الجانب بهذا التوسع وبهذه الصورة كما قام بها الإمام الألوسي في تفسيره، لكن هناك بعض المؤلفات والرسائل الجامعية التي لها علاقة بالموضوع وهي كالآتي:

1. .أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ومواقعه في القرآن الكريم(دراسة بلاغية نقدية) مقدمة للحصول على درجة الماجستير، لقسم الدراسات العليا كلية اللغة العربية، شعبة الأدب والبلاغة والنقد، جامعة أم القرى، للطالبة أمينة بنت سعود بن خيشان العواضي القرشي ،1430هـ-2009م.(**هذه دراسة نقدية لغوية ادبية أما دراستي فتكون منصبة على ما أبرزه صاحب روح**

المعاني من المعاني البلاغية في الاحتباك وأبرز اثرها في بيان معنى القرآن).

2. الاحتباك في القرآن الكريم- رؤية بلاغية-بحث مقدم لنيل درجة الماجستير مجلس كلية الآداب ـ جامعة الموصل في الأدب العربي لقسم اللغة العربية، للطالب عدنان عبد السلام اسعد.2006.
3. الاحتباك في القرآن الكريم من خلال كتب التفسير، د. إبراهيم بن عبد الله الزهراني، الأستاذ المشارك بقسم القراءات، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين.(**هذا بحث صغير وليس رسالة علمية أو كتاب يؤخذ في الاعتبار).**
4. الاحتباك في القرآن الكريم قراءة في كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص علوم اللسان، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، للطالبتين بوشلوح حنان وبوقرن صباح،2017م.(**هذه دراسة لغوية ادبية)**
5. الاحتباك وأثره في بيان المعنى في كتاب نظم الدرر للبقاعي جمعا ودراسة من أول القرآن إلى نهاية سورة لقمان، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن، المجلد الأول، شعبة الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، للطالبة زينب عصام عبد رب النبي ريحان، 1444هـ-2022م.
6. الاحتباك وأثره في بيان المعنى في كتاب نظم الدرر للبقاعي جمعا ودراسة من أول سورة السجدة إلى آخر القرآن بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن، المجلد الثاني، شعبة الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، للطالبة خديجة عصام عبد رب النبي ريحان، 1444هـ-2022م.(**أما بحثي فهو عن تفسير الإمام الألوسي الذي يعتبر موسوعة في مجال التفسير، ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسالة نوقشت حديثا وهي ليست متوفرة على الشبكة).**

منهج البحث:

قد اعتمد في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي حيث أقوم بتتبع المواضع التي ورد فيها الاحتباك وأثره في كشف دلالة الحذف في الآيات المتشابهة ثم سأقوم بدراستها وتحليلها من خلال تفسير روح المعاني

للإمام الألوسي.

خطوات البحث:

1. عزو الآيات القرآنية الواردة في الكتاب بذكر اسم السورة ورقم الآية بين معقوفتين في المتن، وكتابتها بالرسم العثماني.
2. تخريج الأحاديث النبوية الواردة في ثنايا الرسالة من كتب الأحاديث المشهورة.
3. الرجوع إلى المصادر الأصلية في البحث.
4. ترجمة الأعلام غير المشهورين.
5. شرح المصطلحات والكلمات الغريبة.
6. وضع فهارس علمية في آخر الرسالة تسهل الاستفادة منها وهي كالآتي:

أ-فهرس الآيات القرآنية

ب-فهرس الأحاديث النبوية

ج-فهرس الأعلام

د-فهرس المصادر والمراجع

هـ-فهرس الموضوعات

خطة البحث:

تتضمن هذه الرسالة مقدمة وتمهيدا وثلاثة أبواب والخاتمة والنتائج.

المقدمة: تشتمل على الأمور التالية:

أ-التعريف بالموضوع

ب- أهمية الموضوع

ج- أسباب اختياره

د- إشكالية البحث

هـ- الدراسات السابقة

و-منهج البحث فيه.

التمهيد: فهو يدور حول:

- التعريف بالمؤلف وهو الإمام الألوسي
- التعريف بتفسيره المسمى بـ روح المعاني

1- الباب الأول: مفهوم الاحتباك وبيان ضوابطه، وشروطه، وأشباهه في آثار أهل العلم.وفيه فصلان:

الفصل الأول: مفهوم الاحتباك وشروطه، وفوائده البلاغية، وبيان ضوابطه.

الفصل الثاني: أنواع الاحتباك، وبيان علاقته بالإيجاز، وأشباهه في آثار أهل العلم.

2- الباب الثاني: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني. وفيه أربعة فصول.

الفصل الأول:مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني (من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام).

الفصل الثاني:مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الأعراف إلى نهايةسورة الكهف).

الفصل الثالث: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة مريم إلى نهاية سورة الزمر)

الفصل الرابع: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الغافر إلى نهاية سورة الناس)

3- الباب الثالث: أثر الاحتباك عند الألوسي في الميزان. وفيه فصلان.

الفصل الأول: اتفاق الإمام الألوسي مع بقية المفسرين في بيان أثر الاحتباك

الفصل الثاني: اختلاف الإمام الألوسي مع بقية المفسرين في بيان أثر الاحتباك

الخاتمة :وتشتمل على النتائج البارزة التي وصلت إليها من خلال هذا البحث وبعض التوصيات.

الفهارس: وتشمل على:

أ. فهرس الآيات القرآنية

ب. فهرس الأحاديث النبوية

ج. فهرس الأعلام

د. فهرس المصادر والمراجع

هـ. فهرس الموضوعات

أشكر الله تعالى صاحب الفضل والمنة والكمال والتمام أن وفقنا في هذا الجهد المتواضع وهو جهد المقل فإن أصبت فمن الله وإن قصرت فمن نفسي والشيطان وكفاني شرفا أنني كتبت حرفا من كتاب الله عز وجل فأرجو من الله السداد والتوفيق(وما توفيقي إلا بالله).

التمهيد

وهو يدور حول:

- **التعريف بالمؤلف وهو الإمام الألوسي**
- **التعريف بتفسيره المسمى بـ روح المعاني**

النقطة الأولى: تعريف بالإمام الألوسي

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

هو فريد عصره السيد محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش البغدادي مولدا ونشأة ووفاة[1]

ينتهي نسب الإمام وأسرته إلى الإمام الحسين ﷺ، فهو حسيني الأسرة، وكان أسرته معروفة بالعراق، وينسب الإمام إلى ألوس فيقال الألوسي بالمد والقصر، وأهلها ينطقونها بالمد فيقولون آلوس وهو اسم رجل سميت به بلدة على ناحية الفرات قرب عانات الحديثة، وقد فر إليها أجداده من هولاكو وسكنوا بها ونسبوا إليها[2]

يكنى أبو الثناء، أبو عبد الله الألوسي، ويلقب شهاب الدين[3]

مولده ونشأته

ولد أبو الثناء محمود بن عبد االله الحسيني الألوسي في يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان سنة(1217هـ)، وذلك بجانب الكرخ ببغداد[4]

نشأ الإمام الألوسي في بيت علم وأدب، وكان والده واحد من كبار علماء بغداد وفقيه الحنفية وإمام الشافعية، وكان بيته مقصدا للعلماء والطلاب، فربى ولده على حفظ القرآن الكريم، فحفظه وأخذ منه الأدب والبلاغة والحديث.

كانت الأسرة الألوسية خاصة، وبغداد عامة هي منبع العلم ومستقر الأدب، وكانت أسرته من أكبر الأسر في بغداد، وكان أبوه مفتيها وإمامها، في هذا الجو نشأ الإمام الألوسي، فعندما وصل عمره ثلاثة عشر سنة كان قد أجيز في تدريس العلم، وبدأ في الدعوة إلى الله، ولما وصل عمره عشرين كان والده قد توفي في سنة 1242هـ بالطاعون الذي ضرب بغداد[5]

([1]) الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، (53/8)، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.

([2]) فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: 279هـ)(1/ 246) الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، عام النشر: 1988 م عدد الأجزاء: 1

([3]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)(3/1)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

([4]) فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: 279هـ)(494/4)

([5]) معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: 1351هـ)(3/1)، الناشر: مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ - 1928 م.

وبعده رحل الإمام وهجر داره وسكن جوار مسجد الشيخ عبد الله العاقولي بالرصافة، وفي عام 1238هـ تولى الوعظ في جامع الشيخ، فسمع وعظه مرة الوزير علي رضا، فدعاه لزبارته وولاه أوقاف المدرسة المرجانية، وقد كانت مشروطة لأهل بغداد، ثم انتشر اسمه حتى أمة الناس وصار علما في الفقة الحنفي فعينه علي رضا مفتيا للحنفية. وفي هذه الفترة بدأ في تفسير روح المعاني، وألف كثيرا من الكتب، وراسله الأدباء وشرع في تدريس العلوم بداره، حتى ذاعت شهرته وطبقت الأفاق وملأت العراق وراجت في أركان الدنيا[1]

عقيدته ومذهبه الفقهي

كان عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد ولهذا نراه كثيراً ما يُفَنِّد آراء المعتزلة والشيعة، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه واعتقاده[2]

كان الإمام الألوسي: شافعي المذهب، إلا أنه في كثير من المسائل يُقلِّد الإمام أبا حنيفة النعماني، وكان في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد[3]

شيوخه

تلقى العلامة الألوسي العلم يافعا، وحرص على الازدياد منه، فجالس العلماء وأجازه الفضلاء وتلقى من أهل الأدب والحديث والتفسير حتى اجتمع له شيوخ أهل زمانه، وأخذ عنه طلاب عصره وأوانه. وقد أخذ العلم من عدد من أهل ذلك الزمان أشهرهم.

أ-أبوه السيد عبد الله بن محمود الألوسي

ب-على بن مُحَمَّد بن سعيد بن عبد الله بن الحسين السويدي

ج-علي علاء الدين الأفندي الموصلي

د-الشيخ أبو البهاء خالد بن الحسين ضياء الدين النقشبندي

هـ- الشيخ محي الدين المروزي العمادي وغيرهم[4]

([1]) أنظر: معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن مُحَمَّد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ)(815/3)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، عدد الأجزاء: 13

([2]) أنظر: التفسير والمفسرون د. مُحَمَّد حسين الذهبي (253/1) مكتبة وهبة، الطبعة الثامنة، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (1454/3).

([3]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي (39/1).

([4]) أنظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: 1351هـ)(3/1).

مؤلفاته

ترك الإمام الألوسي ثروة علمية ضخمة، ومن هذه المؤلفات[1]:

- الأجوبة العراقية عن الأسئلة الأهورية، ألفها سنة 1254هـ
- الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية، ويحتوي على ثلاثين مسألة مهمة في الفقه والتفسير واللغة والمنطق
- حاشيته على القطر لم يكملها، وبعد وفاته أتمها ابنه السيد نعمان الألوسي
- سفر الزاد لسفرة الجهاد
- شهى النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم أحمد عارف حكمت
- الأهوال من الأخوال
- شرح السلم فى المنطق، وقد فُقِد
- قطف الزهر من روض الصبر
- ودرة الغواص فى أوهام الخواص
- زجر الزهر من روض الصبر
- نشوة الشمول في السفر إلى إستانبول.
- نشوة المدام في العودة إلى دار السلام
- غرائب الاغتراب
- في الرحلات
- دقائق التفسير [2]

تلامذته

ممن تتلمذ العلم على يدي الشيخ عدد لا يحصى، أشهر تلاميذ الإمام الألوسي:-

---

([2]) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، الشيخ عبد الرزاق البيطار، (3/ 1455) دار صادر بيروت1993م.

أ- ابنه أبو البركات نعمان خير الدين

ب- وعبد الفتاح بن الحاج شواف زاده[1]

ج- مُحَمَّد أمين أفندي

د-عبد السلام الحاج سعيد البغدادي الحنفي وغيرهم.[2]

وفاته

توفي رحمه الله في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة (1270هـ)، ودُفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخى في الكرخ[3][4] فرضي االله عنه وأرضاه.

الحالة السياسية

كان الإمام الألوسي في هذا العصر الذي فيه كثير من التقلبات السياسية والفتن المذهبية، والانقلابات داخل الدولة العراقية، فتارة فيه يغزو حدودها الجيران من إيران، وتارة يزحف عليها الجيش البريطاني، فكثرت الاضطرابات في بغداد، وقد كان في التاسع عشر الميلادي يسطير الأتراك العثمانيون، وهم حكموا بغداد وما حولها حتى جاءها المماليك، وفي هذا الوقت ظهرت الفتن المذهبية والعصبية العرقية[5] والتهديدات الإيرانية على حدود العراق، وكثرت التدخلات السياسية فيه، وقد عاصر الإمام عددا من القادة السياسين الذين تعاقبوا على بغداد[6] فمن أشهرهم:

1-داود باشا والى بغداد الذي تولى في الفترة من (1817م-1831م)

2-علي رضا باشا، والى بغداد من قبل السلطان العثماني

([1]) عبد الفتاح الشواف: عبد الفتاح بن سعيد البغدادي، الشهير بالشواف، أديب، ناثر، ناظم، مؤرخ، من آثاره: حديقة الورد في مدائح شيخه أبي الثناء شهاب الدين الألوسي في جزئين توفي سنة 1262 هـ. ولم يبلغ من العمر الثلاثين عاما.أنظر:الأعلام لخير الدين الزركلي (4/ 36) ومعجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن مُحَمَّد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (279/5)) الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت

([2]) منهج الإمام الألوسي في التفسير، الطيب أحمد عبد الله، ص: 38، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية.

([3]) الكرخ: بالفتح ثم السكون وخاء معجمة وهي نبطية، يقولون كرخت الماء وغيره من البقر والغنم إلى موضع كذا جمعته فيه في كل موضع وهي بالعراق. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله،(4/ 447) الناشر: دار الفكر – بيروت

([4]) أنظر: معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن مُحَمَّد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ) (12/ 175)

([5]) موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شبلي، (594/7) مكتبة النهضية المصرية، القاهرة، مصر، 1982م.

([6]) تاريخ العرب الحديث، عبد العزيز سليمان نور، ص 87، بدون تاريخ طبع.

3-نجيب باشا الذي تولى بغداد في الفترة (1265م)[1]

الحالة العلمية

كانت بغداد حاضرة العالم الإسلامي، حتى غشاها التتار ودمروها، وأحرقوا مكتبتها وقتلوا علماءها، فجاء الأتراك العثمانيون فأعادوها سيرتها الأولى. وفي دور الإمام الألوسي اهتم الأتراك بالعلم وحفزوا العلماء وفتحوا دور العلم وانشأوا المدارس الدينية، وجعلوا نظام التعليم وكان التدريس باللغة العربية والفارسية والتركية. وكانت للشيعة مدارسهم الخاصة التي يدرسون فيها مبادئ المذهب وأصوله[2]

([1]) تاريخ العرب الحديث، عبد العزيز سليمان نور، ص 122، بدون تاريخ طبع.

([2]) المصدر السابق، ص 140.

النقطة الثانية: التعريف بتفسيره (روح المعانى)

ذكر مؤلف هذا التفسير في مقدمته أنه منذ عهد الصغر، لم يزل متطلباً لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم، مترقباً لارتشاف رحيقه المختوم، وأنه طالما فرق نومه لجمع شوارده، وفارق قومه لوصال خرائده، لا يرفل في مطارف اللهو كما يرفل أقرانه، ولا يهب نفائس الأوقات لخسائس الشهوات كما يفعل إخوانه، وبذلك وفَّقه الله للوقوف على كثير من حقائقه، وحل وفير من دقائقه، وذكر أنه قبل أن يكمل سنه العشرين، شرع يدفع كثيراً من الإشكالات التي ترد على ظاهر النظم الكريم، ويتجاهر بما لم يظفر به في كتاب من دقائق التفسير، ويعلق على ما أغلق مما لم تعلق به ظفر كل ذى ذهن خطير، وذكر أنه استفاد من علماء عصره، واقتطف من أزهارهم، واقتبس من أنوارهم، وأودع علمهم صدره، وأفنى في كتابة فوائدهم حبره ... ثم ذكر أنه كثيراً ما خطر له أن يحرر كتاباً يجمع فيه ما عنده من ذلك وأنه كان يتردد في ذلك، إلى أن رأى في بعض ليالى الجمعة من شهر رجب سنة 1252 هـ (اثنتين وخمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة)، أن الله جَلّ شأنه أمره بطى السماوات والأرض، ورتق فتقهما على الطول والعرض، فرفع يداً إلى السماء، وخفض الأخرى إلى مستقر الماء، ثم انتبه من نومه وهو مستعظم لرؤيته، فجعل يفتش لها عن تعبير، فرأى في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير، فشرع فيه فى الليلة السادسة عشرة من شهر شعبان من السنة المذكورة، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة، وذلك في عهد السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان، وذكر في خاتمته أنه انتهى منه ليلة الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة 1267 هـ (سبع وستين ومائتين بعد الألف)، ولما انتهى منه جعل يفكر ما اسمه؟ وبماذا يدعوه؟ فلم يظهر له اسم تهتش له الضمائر، وتبتش من سماعه الخواطر، فعرض الأمر على وزير الوزراء علىّ رضا باشا. فسمَّاه على الفور[1]

وعندما نقرأ هذا التفسير نجد أن المؤلف رحمه الله التزم بما أوصى به في مقدمته من ضروريات لعلم التفسير، وحتى يتسنى لنا معرفة منهجه في التفسير نسوق جملة من الشواهد من مواضيع شتى من تفسيره:

([1]) روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للإمام الآلوسي، مقدمة تفسير روح المعاني "بتصرف" ص4-5

عنايته بالمكي والمدني

ويُقصد بالقرآن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، والاعتبار في هذا القول للزمن وحده من منهجه: أنه يورد مكان نزول السور والآيات، سواء في مكة، أو المدينة، ويسوق آراء المفسرين المتعددة، وقد يناقش ويرد بعض ما يرد، وسنعرض لأمثلة من تفسيره توضح ذلك:

– عند تفسيره لسورة الأنعام يقول: كما أخرج أبو عبيد[1] والبيهقي[2] وغيرهم، عن ابن عباس، أنها نزلت بمكة ليلاً جملة واحدة، وأخرج النحاس[3] في ناسخه عن الحبر، أنها مكية إلا ثلاث آيات منها فإنها نزلت بالمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4]والتي بعدها.

وقيل: نزلت سورة الأنعام كلها بمكة إلا آيتين نزلت بالمدينة في رجل من اليهود وهو الذي قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[5]وقيل نزلت سورة الأنعام كلها بمكة إلا: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[6]فإنها مدنية، وقال غير واحد، كلها مكية إلا ست آيات: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ

([1]) أبوعبيد: الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، صنف التصانيف التي سارت بها الركبان، له مصنف في القراءات، وأخرى في فضائل القرآن، توفي نجله 224 هـ. أنظر سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) (183/9)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة (1405هـ /1985م).

([2]) البيهقي: الإمام الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، انفرد بالإتقان والضبط والحفظ صاحب التصانيف التي لم يسبق إليها، كالسنن الكبرى والصغرى وشعب الإيمان والأسماء والصفات ودلائل النبوة والبعث والآداب والدعوات والمدخل والمعرفة والترغيب والترهيب والزهد والمعتقد وغير ذلك مما يقارب ألف جزء، ولد سنة أربع وثمانين وثلاث مائة في شعبان. أنظر تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين مُحَمَّد الذهبي(1132/3)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى،

([3]) النحاس: أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري ،له تصانيف مفيدة منها تفسير القرآن الكريم وكتاب إعراب القرآن وكتاب الناسخ والمنسوخ ،وكتاب في النحو اسمه التفاحة، (ت سنة338)وقيل سنة (337)أنظر: طبقات المفسرين، أحمد بن مُحَمَّد الأدنروي (72/1)الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1997، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.

([4]) سورة الأنعام، رقم الآية:151

([5]) سورة الأنعام، رقم الآية:91

([6])سورة الأنعام، رقم الآية: 111

أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1] إلى تمام ثلاث آيات (قل تعالوا أتل) إلى أخر الثلاث[2].

عنايته بأسماء السور

أورد الإمام الألوسي أسماء متعددة لكثير من السور، وقد ينقل أحياناً الحكم على الأحاديث والآثار الواردة فيها:

أ-في معرض تناوله لسورة الكهف يقول: "ويقال سورة أصحاب الكهف، وروى البيهقي من حديث ابن عباس مرفوعاً أنها تدعي في التوراة الحائلة تحول بين قارئها وبين الناس: إلا أنه قال: إنه منكر"[3]

ب- عند تفسيره لسورة النحل يقول: "وتسمى سورة النعم، قال ابن الفرس[4]لِما عدد الله من النعم على عباده"[5]

اهتمامه بعلم المناسبات

لم يُغفل الإمام الألوسي علم المناسبات، فنجده يعرض لعلم المناسبات من خلال ربط السور مع بعضها في نسق واحد:

-ففي معرض تفسيره لسورة النحل يقول: "ولما ذكر في آخر السورة السابقة المستهزئون المكذبون له صلى الله عليه وسلم ابتدئ هنا بعد قوله جل وعلا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[6]المناسب لذلك على ما ذكر غير واحد في معناه، وسبب نزوله،

([1]) سورة الأنعام، رقم الآية: 91

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (72/4)

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي (189/8)

([4]) ابن الفرس: عبد الرحمن بن عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد ابن ال فرس الحافظ اللغوي أبو يحيى بن القاضي النحوي أبي محمد الخزرجي الأندلسي؛ أحد الأعلام وأبوه وجده وجد أبيه أئمة أجلاء صنّف كتابا في غريب القرآن. مات سنة663 هـ. أنظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (2 /83)، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(849-911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي (132/8)

([6]) سورة النحل، رقم الآية:1

وفي بيان وجه الارتباط، إنه تعالى لما قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] كان ذلك تنبيهاً على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما فعلوه في الدنيا فقيل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ فإن المراد به على قول الجمهور يوم القيامة.

وذكر الجلال السيوطي أن آخر الحجر شديدة الالتئام بأول هذه فإن قوله سبحانه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2] الذي هو مفسر بالموت ظاهر المناسبة بقوله سبحانه هنا بلفظ المضارع وفي المتأخرة (أتى) بلفظ الماضي لأن المستقبل سابق على الماضي كما تقرر في محله"[3]

عدد آيات السور

لم يهمل الإمام الألوسي: ذكر عدد آيات السور مع عزوه لكل ما يتبناه في هذا السياق:

-ففي معرض تفسيره لسورة (ص) يقول: "وهي ثمان وثمانون آية في الكوفي، وست وثمانون آية في الحجاز، والبصرة والشامي، وخمس وثمانون آية في عد أيوب المتوكل وحده، قيل ولم يقل أحد إن (ص) وحدها آية كما قيل في غيرها من الحروف في أوائل السور"[4]

ترتيب السور

عني الإمام الألوسي ببيان ترتيب سور القرآن، فعبر عن موقفه واضحاً وجلياً بالقول أن ترتيب سور القرآن توقيفياً "وسواء أكان ترتيب السور توقيفياً أم اجتهادياً فإنه ينبغي احترامه، خصوصاً في كتابة المصاحف، لأنه عن إجماع الصحابة، والإجماع حجة، وأن خلافه يجرّ إلى الفتنة، وورد الفتنة وسدُ ذرائع الفساد واجب"[5]

-فعند تفسيره لمطلع سورة الأنفال يقول: "والظاهر أن وضعها هنا توقيفي، وكذا وضع براءة بعدها، وهما من هذه الحيثية كسائر السور وإلى ذلك ذهب غير واحد"[6]

الإحالة وعدم التكرار

تبين من خلال تتبع واستقراء كثير من المواضع في تفسير روح المعاني أن الإمام الألوسي لا يكرر أحياناً، وإنما يحيل إلى المواضع الذي تقدم ذكرها، ومن أمثله ذلك:

-في مطلع سورة مريم، يحيل الكلام على معاني الأحرف المقطعة، في قوله تعالى (كهيعص) إلى سورة البقرة، فيقول ما نصه: "وقد تقدم تمام الكلام في ذلك وأمثاله في أول سورة البقرة فتذك"[7]

([1]) سورة الحجر، رقم الآية: 92

([2]) سورة الحجر، رقم الآية: 99

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(133/8)

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي (236/13)

([5]) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: 1367هـ)(302/1) ، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالث.

([6]) روح المعاني للإمام الآلوسي (147/5)

([7]) روح المعاني للإمام الآلوسي (378/8)

عنايته بالتفسير بالمأثور

من معالم تفسير الإمام الألوسي في كتابه روح المعاني التفسير بالمأثور، وهو بيان مراد الله تعالى في آياته من القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة والتابعين.

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

حيث يجمع المفسرون المعتبرون، والعلماء المحققون، على أن أعظم واجل ما يفسر به القرآن، إنما هو القرآن ذاته، ومن ثم فقد نصوا على أن تفسير القرآن بالقرآن إنما يعد المصدر الأول للتفسير، بل وينقل الإمام السيوطي إجماعهم على هذا قائلاً: "قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز فإنه يطلبه أولاً من القرآن فما أُجمل منه في مكان، فقد فسر في مكان آخر، وما اختصر منه في موضع فقد بسط في موضع آخر"[1]

وهذا ما نعرض له من خلال تفسير روح المعاني:

-عند تفسيره تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[2]يقول: الانشقاق: أي بالغمام ويشهد له قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾[3]فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، وقيل: تنشق لهول يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[4][5]

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة

ونعني به موقف الإمام الألوسي من تفسير القرآن بالسنة، من حيث كونها الخطوة الثانية، والمرحلة التالية بعد تفسير القرآن بالقرآن، وهذا ما نعرض له من تفسير الإمام الألوسي، من خلال الأمثلة التالية:

-عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾[6]يقول: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾أي إطلاق مصاحب له من جبر الخاطر، وأداء الحقوق، وذلك إما بأن لا يراجعها حتى تبين، أو يطلقها الثالثة (وهو المأثور) فقد أخرج أبو داود، وجماعة عن أبي رزين الأسدي أن رجلاً قال: يا رسول الله ﷺ إني سمعت الله تعالى يقول :﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾فأين الثالثة؟ فقال: (التسريح بإحسان هو الثالثة) وهذا يدل على معنى﴿مَرَّتَانِ﴾ اثنتان[7][1]

([1]) الإتقان في علوم القرآن أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (2 /548)، دار النشر: مجمع الملك فهد،الطبعة الأولى.

([2]) سورة الإنشقاق، رقم الآية: 1

([3]) سورة الفرقان، رقم الآية: 25

([4]) سورة الحاقة، رقم الآية: 16

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي (286/15)

([6])سورة البقرة، رقم الآية: 229

([7]) روح المعاني للإمام الآلوسي (204/2)

ثالثاً: تفسير القرآن بقول الصحابة

يتفق الإمام الألوسي: مع ما يذهب إليه المفسرون المعتبرون، من أن أعظم وأجل ما يفسر به القران بعد تفسيره بكل من القران والسنة، إنما هو تفسيره بآثار الصحابة ﷺ، وذلك لأنهم يثبتون للراجح من تفسير الصحابة في حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ، وهذا ما نعرض له من تفسير الإمام الألوسي، من خلال الأمثلة التالية:

-عند تفسيره لقوله تعالى:﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[2]

يقول: "عن ابن عباس: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر، وكرانيفها[3] ذهب أحمر، وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد وليس له عجم" وحكمه حكم المرفوع [4]

رابعاً: تفسير القرآن بقول التابعي

يتفق الإمام الألوسي رحمه الله: كذلك مع ما يذهب إليه أغلب المفسرين، من أن أعظم وأجل ما يفسر به القران بعد تفسيره بكل من القران والسنة وآثار الصحابة ﷺ، إنما هو تفسيره بآثار التابعين، وهذا ما يشير إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: بقوله: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عند الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبير فإنه كان آية في التفسير، وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى بن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، وغيرهم من التابعين رضى الله عنهم" بل يذهب ابن تيمية: إلى ما هو أبعد من ذلك، حينما يشير إلى تابعي التابعين ومن بعدهم مؤكداً رجوع كثير من علماء الأمة وأئمتها إلى أقوالهم في التفسير بعد أسلافهم من التابعين، فهو بعد أن يسمي بعض هؤلاء التابعين نراه يردف ذلك بقوله: وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم [5]

([1]) سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي،(4/4) كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، 1386 – 1966، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني، عدد الأجزاء : 4

([2]) سورة الرحمان، رقم الآية: 68

([3]) يعني أنه كان مكتوبا عليها قبل جمعه في الصحف. لسان العرب (297/9)

([4]) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)(516/2)، باب تفسير سورة الرحمان بسم الله الرحمان الرحيم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى(1411 – 1990)

([5]) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمه (ت 728هـ - 1328م)(44/1) تحقيق: محب الدين الخطيب- ط الثانية - المطبعة الس لفية ومكتبتها- القاهرة(1385-هـ1965م)

مما يتعين على الألوسي أن يسير على هذا النهج وتلك الحقيقة المقررة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما عليه أهل العلم المعتبرين، والتي تثبت ما لهؤلاء التابعين من الخيرية والفضل والسبق والرضوان من حيث تتلمذهم على يد الصحابة رضوان الله عليهم وإتباعهم، إضافةً إلى أنهم خير الناس بعدهم.

رأي الباحثة

وأياً كان الأمر فإننا نرى أن أقوال التابعين هي جزء لا يتجزأ من التفسير بالمأثور، الذي يتحتم على علماء الأمة رجوعهم إليه، وضرورة اعتمادهم عليه، إزاء تفسيرهم للقرآن بعد رجوعهم واعتمادهم على تفسيره بالقرآن والسنة وآثار الصحابة ﷺ، وهذا ما يعرض له من تفسير الإمام الألوسي، من خلال الأمثلة التالية:

-عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[1] يقول: "ولم يعقب" أي ولم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار، قال الشاعر:

فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا[2]

وهذا مروي عن مجاهد، وقريب منه قول قتادة[3]

اهتمامه بأسباب النزول

من آيات القرآن الكريم ما كانت تنزل لسبب يقتضي نزولها، ومن خلال الأسباب التي نزلت الآيات بشأنها كما نقل عن رسول الله وصحابته الكرام، فقد عرف العلماء أسباب النزول أنه: ما نزل قرآن بشأن وقت وقوعه كحادثة أو سؤال، ومعلوم أن الآية قد يتضح معناها ببيان سببها، وسنعرض مواضع لأسباب النزول من تفسير الإمام الألوسي، من خلال الآتي:

-عند تفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[4] يقول: ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي مقدراً مكتوباً في اللوح قبل وقوعه .. عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ وعن ابن عباس قال: قال

([1]) سورة النمل، رقم الآية: 10

([2]) وقد ذَكَرَ هذا البيت دون عزوه لصاحبه كلاً من: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) (3/ 355)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة –(1407 هـ) والبحر المحيط، مُحَمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (55/7)،دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت –(1422هـ – 2001م) الطبعة الأولى. واللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ) (188/15)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي مُحَمَّد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى،(1419 هـ – 1998م)

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي (159/10)

([4])سورة القمر، رقم الآية: 49

رسول الله ﷺ: صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية، نزلت فيهم أية في كتاب الله ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[1][2]

عنايته بالناسخ والمنسوخ

اهتم الإمام الألوسي بذكر الناسخ والمنسوخ في تفسيره فمثلا:

-عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾[3]يقول: فالآية على ما قررنا محكمة، وادعى بعضهم أنها منسوخة محتجاً بما أخرجه أحمد، ومسلم عن أبي هريرة قال: "لما نزلت على رسولﷺ اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب فقالوا: يا رسول اللهﷺ كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصوم والجهاد والصدقة وقد أنزل الله تعالى عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال الرسول ﷺ: "أتريدون أن تقولوا كما قال الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" فلما اقترأها القوم وزلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في إثرها -أمن الرسول- الآية فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4][5]

اهتمامه بالبلاغة

إن للقرآن الكريم نظمه العجيب وتركيبه الفريد الذي يأخذ بالألباب ويسوق إليه أعناق البيان، وعلم البلاغة من الدعائم الأساسية التي يقوم عليها علم التفسير، لذا نجد عناية فائقة لدى المفسرين بهذا الفن، وقد ربط الزمخشري بين القدرة على التصدي لعلم التفسير والبلاغة في علمي البيان والمعاني حيث قال في مقدمة تفسيره: "لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني، وعلم البيان"[6] وقد جاءت البلاغة من الفنون التي أعتمدها الألوسي في تفسيره، بل وأعتبرها من الفنون التي يحتاج إليها المفسر، فيقول "علم المعاني والبيان والبديع، ويعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من اختلافها،

([1]) سنن الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمزي(ت279هـ) (44/8) باب ما جاء في القدرية، حديث رقم(2075) تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى1996م،

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(93/14)

([3]) سورة البقرة، رقم الآية: 284

([4]) سورة البقرة، رقم الآية:286

([5]) جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)(60/2) تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى

([6]) تفسير الكشاف للزمخشري(1 96)

وبالثالث وجوه تحسين الكلا م، وهو الركن الأقوم والألزم الأنظم، في هذا الشكل كما لا يخفى ذلك على من ذاق معنى العلوم، ولا بطرف اللسان"[1]

وسنعرض مواضع لأنواع شتى من البلاغة من تفسير روح المعاني من خلال الآتي:

-عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2] يقول: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ التفات إلى خطاب أولئك بعد أن عدو قبائلهم المستدعية لمزيد سخطه تعالى عليهم، والإنكار إذا وجه إلى المخاطب كان أبلغ من توجهه إلى الغائب[3]

والذي يقرآ تفسير الإمام يجد أن أكبر اهتمامه في تفسيره هو إبراز الوجوه البلاغية وذكر محاسن البيان وهذا هو الذي شجعني على اختيار جزء من هذا الجانب وهو الاحتباك في هذا التفسير وأن الإمام كيف أبرز وجوه الاحتباك في آيات القرآن الحكيم.

اهتمامه بالنحو

يمثل النحو خطوة كبيرة في العناية والمحافظة على سلامة أداء النص القرآني، من خلال ضبط الكلمات، ومعرفة المرفوع، والمنصوب، والمجرور منه، وكذلك معرفة المعرب والمبني ويعد النحو والإعراب من أبرز معالم تفسير روح المعاني،

-عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[4] يقول: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ صفه (مائدة) و لنا خبر كان و (عيداً) حال من الضمير في الظرف، أو في (تكون) على رأي من أجاز إعمالها في الحال، وجوز أن يكون (عيداً) الخبر ولنا حنيئذ إما حال من الضمير في (تكون) أو حال من عيداً لأنه صفة له قدمت عليه ، والعيد العائد مشتق من العود ويطلق على الزمان المعهود لعوده في كل عام بالفرح والسرور"[5]

اهتمامه بالتفسير الإشاري

التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة.

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي (15/1)

([2]) سورة البقرة، رقم الآية: 28

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي (339/1)

([4]) سورة المائدة، رقم الآية: 114

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي (58/4)

يقول الإمام الألوسي: "وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية وحاشى سادتنا من ذلك كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا لا بد منه أولا إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر، فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب"[1]

ولقد كان الألوسي ميالاً في تفسيره إلى التفسير الإشاري ملتزماً بما ذكره في مقدمته، وهذا ما أُخذ عليه؛ فهو بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات، تُراه يذكر لها تفسيراً إشارياً، أي يفسرها تفسيراً يخرج بها عن ظاهرها إلى باطنها[2] وهذا منه ما هو مقبول وفق الشروط التي تتناسب والأحكام الشرعية، ومنه ما هو مردود، لا يوافق عليه.

وسنعرض مواضع للتفسير الإشاري للآيات من تفسير روح المعاني، من خلال الآتي:

-عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[3]يقول: "ومن الإشارة (المر) أي الذات الأحدية، واسمه العليم، وأسمه الأعظم، ومظهره الذي هو الرحمة (بغير عمد ترونها) أي بغير عمد مرئية بل بعمد غير مرئية، وجعل الشيخ الأكبر (قدس سره) عمادها الإنسان الكامل

وقيل: النفس المجردة التي تحركها بواسطة النفس المنطبعة، وهي قوة جسمانية سارية في جميع أجزاء الفلك، لا يختص بها جزء دون جزء لبساطته، وهي بمنزلة الخيال فينا وفيه ما فيه، وقيل: رفع سموات الأرواح بلا مادة تعمدها بل مجردة قائمة بنفسها (ثم استوى على العرش) بالتأثير والتقويم، وقيل: عرش القلب بالتجلي (وسخر الشمس) شمس الروح بإدراك المعارف الكلية واستشراف الأنوار العالية (والقمر) قمر القلب بإدراك ما في العالمية والاستمداد من فوق ومن تحت، ثم قبول تجليات الصفات"[4]

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي (17/1)

([2]) وها هو يدافع وينافح عن التفسير الباطني للآيات فيقول "فلا ينب غي لمن له أدنى مسكة من عقل بل أدنى ذرة من إيمان أن ينكر اشتمال القرآن على بواطن يفيضها المبدأ الفياض على بواطن من شاء من عباده وياليت شعري ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى (وتفصيلا لكل شيء) وقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ويا الله العجب كيف يقول بإح تمال ديوان المتنبي وأبياته المعاني الكثيرة ولا يقول بإشتمال قرآن النبي وآياته وهو كلام رب العالمين على ما شاء الله تعالى من المعاني المحتجبة وراء سرادقات تلك المباني (سبحانك هذا بهتان عظيم) مقدمة روح المعاني للإمام الآلوسي (18/1)

([3])سورة الرعد، رقم الآية: 1-2

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي (123/7)

الباب الأول: مفهوم الاحتباك وبيان ضوابطه، وشروطه، وأشباهه في آثار أهل العلم.وفيه فصلان:

الفصل الأول: مفهوم الاحتباك وشروطه، وفوائده البلاغية، وبيان ضوابطه.

الفصل الثاني: أنواع الاحتباك، وبيان علاقته بالإيجاز، وأشباهه في آثار أهل العلم.

الفصل الأول

مفهوم الاحتباك وشروطه، وفوائده البلاغية، وبيان ضوابطه.

مفهوم الاحتباك

الاحتباك لغة:

الاحتباك من الحبك ومعناه (الشُّد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب)[1]، وجاء في لسان العرب: (الحبك الشُّد، واحتبك بإزاره: احتبى به وشدَّه إلى يديه، والحبكة أن ترخي من أثناء حجزتك من بين يديك لتحمل فيه الشيء ما كان، وقيل الحبكة: الحجزة بعينها ومنها اخذ الاحتباك بالباء وهو شُّد الإزار)[2]

ومما جاء بهذا المعنى ما روي عن عائشة رضي الله عنها إنها كانت تحتبك تحت الدرع في الصلاة، أي تشد الإزار وتحكمه[3]قال الإمام أبو عبيد[4] (ت 226هـ): (الاحتباك: شد الإزار وإحكامه، يعني أنها كانت لا تصلي إلا مؤتزرة، وكل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته ويروى في تفسير قوله ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ**﴾[5] حسنها واستواؤها)[6]

([1]) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: 817هـ)،(22/3)، مادة حبك، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة (1426 هـ - 2005 م).

([2]) لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (407/10)

([3]) السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، (ت458هـ)، (332/2) تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت (1424هـ-2003 م)

([4]) هو القاضي أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله البغدادي، مولى الأزد،كان أبوه مملوكا روميا إمام حافظ مجتهد متفنن، دين حسن الإعتقاد، ولي قضاء طرسوس، كان يقسم الليل أثلاثا، فيصلى ثلثه وينام ثلثه، ويضع الكتب ثلثه، صنف المصنفات النافعة الحسنة منها، غريب القرآن، ومعاني القرآن والقراءات، والناسخ والمنسوخ وغيرها. توفي بمكة سنة (226هـ). تذكرة الحفاظ، مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي(5/2) دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى (1419هـ- 1998م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)(418/1) تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

([5]) سورة الذاريات، رقم الآية:7.

([6]) غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي(المتوفى:324هـ)،(312/4) تحقيق: د. مُحَمَّد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، (1384 هـ - 1964 م)، والفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) (257/1) تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي -مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية.

قال الإمام الجوهري[1] (ت 398هـ) (الحباك والحبيكة: الطريقة في الرمل ونحوه ... وحبك الثوب يحبكه – بالكسر – حبكاً أي: أجاد نسجه، قال الإمام ابن الأعرابي[2]: كل شيءٍ أحكمته وأحسنت صنعه فقد احتبكته)[3]

وجاء في العين (حبكته بالسيف حبكا، وهو ضرب في اللحم دون العظم ويقال: هو محبوك العجز والمتن إذا كان فيه استواء مع ارتفاع قال الأعشى:

على كل محبوك السراة كأنه عقاب هوت من مرقب إذا تعلت[4]

أي: ارتفعت، وهوت: انخفضت، والحباك: رباط الحضيرة بقصبات تُعَرض ثم تُشَد كما تحبك عروش الكرم بالحبال، واحتبكت إزاري شددته)[5]

فالاحتباك في اللغة يأتي في معنى الشد والإحكام والتحسين.

الاحتباك اصطلاحا

([1]) أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام في اللغة والأدب والنحو والصرف، عدة الحموي من أذكياء العالم، صنف الصحاح في اللغة، وكتابا في العروض، ومقدمة في النحو، توفي سنة 398هـ.معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ج2ص205)، الناشر دار الكتب العلمية-بيروت-سنة النشر 1411 هـ - 1991م، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ) (ص66)، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1421هـ- 2000م بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) (ج1ص446)،محقق :مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيداعدد الأجزاء: 2.

([2]) هو إمام اللغة النسابة مُحَمَّد بن زياد بن الأعرابي مولى بني هاشم أبو عبد الله، معروف ب: ابن العربي، ولد بالكوفة (150هـ) وتوفي سنة(231هـ)، ومؤلفاته تفسير الأمثال، أسماء الخيل وفرسانها، تاريخ القبائل وغير ذلك.وكان رجلاً صالحاً ورعاً زاهدا صدوقاً وحفظ من الغريب والنوادرما لم يحفظه غيره. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) (308/4) ، تهذيب اللغة، مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) (21/1)،تحقيق: مُحَمَّد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م الأعلام،خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) (131/6)،

([3]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ)(1578/4)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت- الطبعة الرابعة(1407هـ-1987هـ)

([4]) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، 240 بيت رقم (13)، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع،2012.

([5])كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (66/3)، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، الناشر : دار ومكتبة الهلال. وينظر أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، (ص111) تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى،(1419 هـ - 1998 م).

أما في الاصطلاح البلاغي فقد بَيَنَ الإمام جلال الدين السيوطي الصلة بينه وبين المعنى اللغوي فقال: (مأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وأحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه من أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل يطرقه فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق)[1]

فعند سماع لفظ (الاحتباك) لأول مرة يتراءى للذهن تلك الصورة من تداخل خيوط نسج الثوب أو قطع القصب مع بعضها وتفاوتها عن بعضها، كما توحي اللفظة بتراص الخيوط مع بعضها بحيث تندثر بينها الفرج التي تبدو عند عملية النسج البدائية، من خلال سحب هذه الخيوط بأصابع اليد، فهو عملية نسج من غير ترك فروج بين الخيوط أو قطع القصب أو مما ينسج منه.

عُرِفَ الإحتباك عند العلماء بأكثر من اسم، وعرفوه بأكثر من تعريف، فقد عرفه الإمام الزركشي[2] (ت 794هـ) بالحذف المقابلي وعرفه بقوله: (هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كُل واحدٍ منهما مقابله لدلالة الآخر عليه)[3] وذكره الإمام علي الجرجاني[4] (ت816) (باسم (الاحتباك) وورد عنده

([1]) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)،(3/ 205 -206)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى (1394هـ/ 1974 م). ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) : (1/ 243-242)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان الطبعة الأولى (1408 هـ - 1988 م).

([2]) بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر عبد الله الزركشي، ولد سنة (745هـ)، وهو تركي الأصل، عني بالتفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه والأصول، درس وأفتى، وكان منقطعا في منزله لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب، وله تصانيف كثيرة في فنون عديدة ،فمنها: تفسير القرآن العظيم وصل فيه إلى سورة مريم، والبرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط في أصول الفقه وغيرها، توفي سنة (794هـ).الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) (ج5ص133)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م. طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ) (ج2ص162)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

([3]) أنظر: البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله (129/3) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار المعرفة - بيروت، 1391. ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.احمد مطلوب (1/ 57-55)مكتبة لبنان، الطبعة الأولى(1403هـ-1984م).

([4]) هو علي محمد بن علي الحنفي، المعروف بالشريف الجرجاني، صاحب الكتاب المعروف بالتعريفات، ولد سنة 740هـ، ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمورلنك سنة 789هـ فر الجرجاني إلى سمرقند، ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمورلنك، فأقام إلى أن توفي. له خمسين مصنفا، منها: شرح مواقف الإيجي، ومقاليد العلوم، وتحقيق الكليات، وغير ذلك. أنظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (196/2)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى816هـ) (328/5)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت. الأعلام للزركلي(7/5).

بكلام الإمام الزركشي نفسه[1] وكل من جاء بعد الإمام الجرجاني سماه (الاحتباك)، وقال عنه الإمام البقاعي—رحمه الله— (ت 855)[2] في أحد المواضع: (أن يؤتى بكلامين يحذف منهما شيءٌ إيجازاً يدل ما ذكر على ما حذف من الآخر)[3] وذكره الإمام السيوطي(ت 911) في تعريفه بأنه: (أن يحذف من الأول ما اثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما اثبت نظيره في الأول)[4] أما من المعاصرين فقد ذكره عبد الفتاح الحموز قائلا: (أن يحذف من الأول ما اثبت في الثاني، ومن الثاني ما اثبت في الأول)[5] وذكر الشيخ الشعراوي –رحمه الله– للاحتباك اسماً أخر وهو (تربيب الفائدة) وقال عنه: (وهذا ما يسميه العلماء احتباكاً، وهو أن يأتي المتكلم بأمرين كل أمرٌ فيه عنصران المتكلم يريد أن يربي الفائدة بإيجازٍ دقيق فيجيء من العنصر الأول عنصر ويحذف مقابله من العنصر الثاني، ويجيء من العنصر الثاني عنصرٌ ويحذف مقابله في الأول)[6]

وهذه التعاريف لا نراها شاملة، لأَ ن بعضها قيد الإحتباك بين الجمل المتقابلة، وبعضها قيدها بالتناظر، والآخر بالمثل أو المتشابه، والإحتباك أصلاً يشمل هذه الأنواع كلها، فيقع بين الألفاظ الضدية، وبين الألفاظ المتشابهة، أو المتناظرة، أو بين المنفية والمثبتة، وقد يشترك نوعان منها في نص واحد فيكون احتباكاً مشتركاً، وربما عنى العلماء بالتقابل والتناظر والتشابه، التناظر الوزني بين الجملتين لا العلاقات الضدية

([1]) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني،(ص25) تحقيق : إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1405،. وينظر معجم علوم اللغة العربية، محمد سليمان عبد الله الأشقر (ص2)الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى، سنة النشر(1415هـ-1995م). وروائع الإعجاز في القصص القرآني،محمود السيد حسن: (ص313)،الناشر:غزة- المكتبة المركزية1982. وإعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : 1403هـ)(446/1)، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة الرابعة (1415 هـ).

([2])هو برهان الدين أبو الحسن أبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي،(809-885هـ-1406-1480م) أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق.الأعلام للزركلي(56/1).

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى : 885هـ) (263/4)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

([4]) الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (204/3)، تحقيق : مركز الدراسات القرآنية، دار النشر : مجمع الملك فهد البلد : السعودية، الطبعة الأولى. ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(المتوفى 911 هـ)(242/1)، ومعجم الشامل:معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، محمد سعيد اسبربلال جنيدي،(ص53) الناشر: دار العودة-بيروت-(1985)،الطبعة الثانية. والوسيلة الأدبية للعلوم العربية، الشيخ حسين المرصفي (ص٩٤)الناشر:دار المنهاج للنشر والتوزيع(1443هـ-2021م) ،كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ص57)دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – 1419هـ - 1998م)تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري وكشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي النجار وفي التهانوي (ص57)، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون-بيروت-سنة الطبع : 1996 م.

([5]) معجم الأفعال التي حذف مفعولها غير الصريح في القرآن الكريم، عبد الفتاح الحموز(ص18)الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع،1986. والتأويل النحوي في القرآن الكريم، عبد الفتاح أحمد الحموز. (1/ 432)،دار الانبار للطباعة والنشر2022.

([6]) المنتخب من تفسير القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي، (100/3-101)، الناشر:دار العودة 1989.

والمتناظرة ... الخ، أي إذا حذف من الجملة الأولى شيء عوض عنه في الجملة الثانية وإذا حذف من الجملة الأولى شيء عوض عنه في الجملة الأولى ما يدل عليه، ولذلك يحصل نوع من التوازن كما هو الحال في كفتي الميزان، ومنه تستنبط دلالة التقابل، أما كلام الإمام البقاعي فنراه الأقرب وذلك لأَّنه لم يحده بنوع معين من العلاقة بين الجمل المذكورة والمحذوفة، ولكن مع هذا يحتاج تعريفه إلى التوضيح والتبيين، ولهذا قمنا بوضع تعريف نراه شاملاً وموضحاً للاحتباك إلى حدٍ كبير، ونحن عند وضع هذا التعريف لا يعني أننا نأتي بشيءٍ جديد، ولكن هذا التعريف مستسقى من كلام معظم العلماء الذين ذكروا الاحتباك، مع التأليف بين النصوص لوضع صورة كاملة للاحتباك فنقول هو: (أن يؤتى بكلامين في النص في كل منهما متضادان أو متشابهان، أو متناظران، أو منفيان، أو يشترك نوعان منهما في نصٍ واحد، فيحذف من أحد الكلامين كلمة، أو جملة إيجازًا يأتي ما يدل على المحذوف في الثاني، ويحذف من الثاني كلمة أو جملة أيضاً قد أتى ما يدل عليها في الأول، فيكون باقي كُل منهما دليلاً على ما حذف من الأخر، ويكمل كل جزءٍ الجزء الأخر ويتممه ويفيده من غير إخلال في النظم ولا تكلف)[1]

الاحتباك عند العلماء قديماً وحديثاً

تناول علماء البلاغة المتأخرون هذا الفن بشيءٍ من التفصيل والاهتمام لا سيما في كتب التفسير كالإمام البقاعي (855هـ) والإمام الألوسي (ت 1025هـ)وغيرهما، إلاّ أن هناك من أشار إليه من طرفٍ خفي، ربما كان له بهذه الإشارة الفضل في التنويه به والتنبيه عليه، ويمكن أن نتابع ذلك عبر التسلسل التاريخي ونستطيع أن نعد سيبويه[2] (180هـ) أول من أشار إليه إشارة عابرة من غير تنظير أو استفاضة عند وقوفه على قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3] إذ قال: (لم يشبهوا بما ينعق إنما شبهوا بالمنعوق به، وإنما المعنى: ومثلكم ومثل الذين كفروا

([1]) أنظر: بلاغة الحذف التركيبي في القرآن الكريم الاحتباك أنموذجا، د.عدنان عبد السلام الأسعد،(ص17) أستاذ البلاغة المساعد في كلية التربية للبنات جامعة الموصل–العراق.

([2]) عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب، أبو بشر، وقيل: أبو الحسن، فارسي، نشأ في البصرة، معروف بسيبوية، وتعني بالفارسية، رائحة التفاح، كان يطلب الآثار والفقه، فاستملي على حماد بن سلمة فلحن، فعابه حماد، فأنف من ذلك، فصحب الخليل ولازمه فبرع في النحو، وصنف"الكتاب " الذي أصبح عمدة في بابه، وتلقاء علماء العربية بالشرح والقبول، واختلف في سنة وفاته فقيل: سنة 180هـ،وقيل 194هـ، وقيل غير ذلك.معجم الأدباء أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (499/4)،وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)(229/2)،

([3]) سورة البقرة، رقم الآية:171.

كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى)[1] وهذا هو الاحتباك بعينه حيث حذف من الأول (داعي الكافرين) لدلالة (الذي ينعق) عليه في الثاني، وحذف من الثاني (المنعوق به) لدلالة الأول عليه وهو (الذين كفروا).

ثم ذكر المفسرون تباعاً بعد سيبويه إشارات لا يمكن أن ترقى إلى مستوى التنظير، منها ما ذكره الإمام الطبري (310هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2] ما في معناه وهذا يعني قالت اليهود كونوا هوداً تهتدوا، وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا([3]) وهذا من الاحتباك أيضاً لأنه حذف من الأول (تهتدوا) لدلالة (تهتدوا) الثانية عليه، وحذف من الثاني (كونوا) لدلالة (كونوا) في الأول عليه، إذ المعلوم أن اليهودية تكفر النصرانية ولا تجوزها والنصرانية تكفر اليهودية ولا تجوزها، فلا يجوز أن يراد به التخيير[4]

أما إمام ابن عطية[5] (ت 378هـ) فقد وردت عنده إشارة واضحة إلى الإحتباك في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[6] إذ قال: (تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم، والتوبة موازية لتلك الإدامة، وثمرة التوبة تركهم دون عذاب، فهما درجتان إقامةٌ على نفاق أو توبة منه، وعنهما ثمرتان تعذيبٌ أو رحمة، فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هذين ودل ما ذكر على ما ترك ذكره)[7] وبهذا القول تصبح الآية من الاحتباك

([1]) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي(29/1) دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت.

([2]) سورة البقرة: رقم الاية:135.

([3]) جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)(652/1)، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى،(1420 هـ - 2000 م).

([4]) التفسير الكبير، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)(89/4)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ.

([5]) ابن عطية (481-542هـ-1088-1148م)،عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي أبو مُحَمَّد :مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش المسلمين، وتوفي بالورقة، له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)في عشر مجلدات(ثم طبع)(وبرنامج في خزانة الرباط)(المجموع 1301ك)في ذكر مروياته وأسماء شيوخه، وقيل في تاريخ وفاته سنة378هـ.الأعلام للزركلي (546).

([6])سورة الأحزاب، رقم الآية:24.

([7])المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الإمام الحافظ أبو بكر غالب، بن عبد الرحمن، بن غالب، بن عبد الرؤوف، بن تمام، بن عبد الله، بن تمام، بن عطية، بن خالد، بن عطية الأندلسي،(44/12)، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد.،الناشر : دارالكتب العلمية . بيروت، سنة الطبع : 1422 هـ.

لأ ن الحذف وقع من الطرفين فذكر (العذاب) أولاً يدل على (الرحمة) والنعيم ثانياً، وذكر (التوبة) ثانياً يدل على (عدم التوبة) أولا.

وجاء بعده الإمام الزمخشري[1] (ت538هـ) فقد وردت عنده إشارة واضحة إلى الاحتباك في تفسيره الكشاف عند وقوفه على قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2] بقوله: (فإن قلت: لم ذكر المس في أحدهما والإرادة في الثاني قلت: كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا: الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريده منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك)[3] وهذا من أول وأهم الإشارات الواضحة على الاحتباك وذلك لأَّنه حذف من الأول (الإرادة) لدلالة الثاني عليه (يردك)، وحذف من الثاني (المس) لدلالة الأول عليه (يمسسك) .

وجاء بعد صاحب الكشاف الإمام الرازي (ت 606هـ) وذكر عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾[4]، أن معناها: (أنا ادعوكم إلى الإيمان الذي يوجب النجاة وتدعونني إلى الكفر الذي يوجب النار)[5] وهذه الآية من الاحتباك لأَّنه ذكر النجاة الملازمة للإيمان أولا دليلاً على حذف الهلاك الملازم للكفران ثانياً، والنار ثانياً دليلاً على حذف الجنة أولا.

([1]) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم، (467 – 538 هـ / 1074 – 1143 م)، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، أشهر كتبه (الكشاف –ط) ، و (مقدمة الأدب –خ) في اللغة و (الفائق –ط) في غريب الحديث. انظر : معجم الشعراء العرب المؤلف: تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية نشر في 29 يوليو،2019 (676/1)

([2])سورة يونس، رقم الآية: 107.

([3])الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)(479)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة (1407 هـ)

([4])سورة الغافر، رقم الآية:41.

([5]) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)(71/27)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة (1420 هـ)

أما الإمام القرطبي (ت671هـ) فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[1] (أي لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن)[2] وهذا مما عُد من الاحتباك أيضاً لأَّنه حذف من الأول (على الرجال) لدلالة (عليهن) في الثاني عليه وحذف من الثاني (للرجال) لدلالة (لهن) في الأول عليه.

وأما الإمام النسفي (ت710هـ) فقد ذكر عند وقوفه على قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[3] أَّنه (إذا قيل بياتاً : ليلاً ، أي ليلاً وهم نائمون أو نهارًا وهم قائلون) [4]وعلى هذا تكون الآية من الاحتباك أيضاً وذلك لأَّنه حذف من الأول(نائمون) لدلالة الثاني عليه (قائلون)، وحذف من الثاني (نهارًا) لدلالة الأول عليه وهو (بياتاً أي ليلاً).

هذه أبرز الإشارات التي وردت عند علمائنا الأوائل والتي كانت الأساس والنواة في تأسيس الاحتباك.ثم بعد ذلك نضجت الفكرة من خلال هذه الإشارات ونمت حتى أن الإمام أبا حيان الأندلسي(ت745هـ)الذي يعد من الأوائل الذين بينوا الاحتباك ووضحوه بياناً مفصلاً إلا أَّنه لم يسمه بالإحتباك، فعندما فسر الآية التي مرت أنفاً عند الإمام القرطبي وهي قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[5] قال معلقا عليها: (هذا من بديع الكلام إذ حذف شيئاً من الأول أثبت نظيره في الآخر، وأثبت شيئاً في الأول حذف نظيره في الآخر، وأصل التركيب ولهن على أزواجهن مثل الذي لأزواجهن عليهن، فحذفت على أزواجهن لإثبات: عليهن، وحذف لأزواجهن لإثبات لهن)[6] ومن هذا الكلام نستنتج أن أبا حيان فرق بين الألفاظ المحذوفة، وهو أول من ذكر الاحتباك ونظر له من غير أن يسميه، وعده من الفصاحة والبيان، ومن بديع الحذف والكلام، فكل من جاء بعده نقل عنه وأخذ الفكرة ولم يذكر أنه نقل عنه، وبهذا يعد أبو حيان هو المنظر الأول– إذا صح التعبير– لمفهوم الاحتباك إلاّ أنه لم

([1])سورة البقرة، رقم الآية:228.

([2]) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671 هـ)(82/3)،تحقيق: سمير البخاري الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (1423 هـ/ 2003 م).

([3])سورة الأعراف، رقم الآية:4.

([4]) مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي)، عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي،(355)، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، (1419 هـ - 1998 م).

([5])سورة البقرة، رقم الآية:228.

([6]) البحر المحيط، مُحَمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي،(200/2)، تحقيق : صدقي مُحَمَّد جميل ،الناشر : دار الفكر . بيروت سنة الطبع : 1420 هـ.

يطلق عليه مصطلحاً، والذين جاءوا من بعده أخذوا الفكرة منه كما قلنا ثَّم وضعوا له مصطلحات أشهرها الاحتباك.

وهذا الإمام ابن القيم (ت751هـ) رحمه الله تعالى- جعله من الإيجاز الحسن من غير أن يسميه عند تعليقه على عدد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] فقال إن هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الاخر، لكونه تبعاً له، ومعنى من معانيه، فإذا ذكر أغنى عن ذكره لأَّنه يفهم منه فعلى هذا يكون الأصل في الآية: (إن الله قريب من المحسنين وإن رحمة الله قريبة من المحسنين)[2]وعند قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[3] قال: (ومصدر بتل إليه (تبتلاً) كالتعلم والتفهم، ولكن جاء على (التفعيل) مصدر (تفعل) لسرٍ لطيف فإن في هذا الفعل إيذاناً بالتدريج والتكلف والتعملَ والتكثر والمبالغة، فأتى بالفعل الدال على أحدهما، وبالمصدر الدال على الآخر فكأنة قيل: بتل نفسك إلى الله تبتيلا وتبتل إليه تبتلا، ففهم المعنيان من الفعل ومصدره. وهذا كثير في القرآن، وهو من حسن الاختصار والإيجاز)[4] فإبن القيم في هذين الموضعين يبين المحذوف والمذكور ويدل عليهما ويجعله من الإيجاز الحسن.

وجاء بعد الإمام ابن القيم الإمام الزركشي (ت794هـ)فذكره بالبرهان وأطلق عليه اسم (الحذف المقابلي) وقال عنه: (هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه)[5]

أما بعد الإمام الزركشي فقد اخذ العلماء يسمونه بالاحتباك وأول من ورد عنده هذا الاسم علي الجرجاني المعروف بالشريف الجرجاني (ت 816هـ) في كتابه التعريفات وأورد له نفس كلام الزركشي[6] ومن بعد علي الجرجاني جاء الإمام برهان الدين البقاعي (ت855) رحمه الله– الذي اهتم به كثيراً، حتى إن تفسيره

([1])سورة الأعراف، رقم الآية:56.

([2]) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،(30/3) الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، 1416 – 1996،تحقيق : هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد.التفسير القيم لابن القيم، جمع وترتيب: محمد أويس الندوى(272)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.

([3]) سورة المزمل، رقم الآية:8.

([4]) تفسير القرآن الكريم ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: (555/1). تحقيق : مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف شيخ ابراهيم رمضان تفسير بعض آيات القرآن الكريم، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت 1410

([5]) البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله (3/ 129).

([6]) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ص25).

(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ورد فيه الاحتباك بكثرة، ونظر له أيضاً فقال في أحد المواضع (هو أن يحذف من جملة شيءٌ إيجازاً ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه)[1]، ولم يكتف بذكره في تفسيره بل صنف له كتاباً خاصاً وسماه (الإدراك لفن الاحتباك) كما يقول هو: (وقد جمعت فيه كتاباً حسناً ذكرت فيه تعريفه ومأخذه من اللغة وما حضرني من أمثلته من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء وسميته (الإدراك لفن الإحتباك). وبعد البحث عن هذا الكتاب لم نعثر عليه ولعله من كتبه المفقودة، وينسب بعض العلماء هذا الفن إليه[2] بسبب اهتمامه به، فهو كثيراً ما يقف على الآيات الكريمات التي فيها احتباك ويذكر ويبين ما حذف وما ذكر من الأخر من حيث التضاد والتشابه والنفي...الخ .

وكل من جاء بعد الجرجاني والبقاعي أخذ يذكره باسمه ولكن بحدودٍ مختلفة، فبعد البقاعي ذكره الإمام السيوطي(911هـ) باسمه وجعله واحداً من أقسام الحذف في كتبه[3] ونظر له وعده من أجمل أنواع الحذف والإيجاز وعزاه إلى البقاعي فقال عنه: (هو من ألطف الأنواع وأبدعها وقل من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى لرفيقه الأندلسي وذكره الزركشي في البرهان ولم يسمه هذا الاسم بل سماه الحذف المقابلي وأفرده في التصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي. قال الإمام الأندلسي في شرح البديعية: من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِي يَنعِقُ﴾ الآية التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه. وقوله: ﴿وأَدخِل يَدَكَ فِي جَيبِكَ تَخرُج بَيضَاءَ﴾ التقدير تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء فحذف من الأول تدخل غير بيضاء ومن الثاني وأخرجها. وقال الإمام الزركشي: وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى : 885هـ) (263/4).

([2]) الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(204/3).

([3]) الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (204/3)، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (242/1).

مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى: (أَم يَقُولُونَ افتَرَاهُ قُل إِن افتَرَيتُهُ فَعَلي إِجرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِما تُجرِمُونَ) التقدير: (إن افتريته فعلى إجرامي وأنتم برآء منه وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون)[1]

أما من جاء بعد الإمام السيوطي فلم يضيفوا شيئاً على ما ذكره العلماء آنفاً في الاحتباك مكتفين غالباً بالأمثلة التي أوردها الذين من قبلهم، منهم الإمام الآلوسي، والإمام القاسمي، والإمام القنوجي، والشيخ الصاوي، والإمام ابن عاشور، والإمام الشنقيطي[2] والشيخ الصابوني، وعبد الفتاح الحموز، أما الشعراوي فقد ذكر له اسماً أخر مع الاحتباك وهو(ترتيب الفائدة) فقال: (وهذا ما يسميه العلماء احتباك، وهو أن يأتي المتكلم بأمرين كل أمر فيه عنصران المتكلم يريد أن يربي الفائدة بإيجاز دقيق فيجيء من العنصر الأول عنصر ويحذف مقابله من العنصر الثاني، ويجيء من العنصر الثاني عنصرٌ ويحذف مقابله في الأول)[3]

شروط الاحتباك

لا بد للاحتباك من شروط تسوغه منها ما هو عام ومنها ما هو خاص بالاحتباك فمن الشروط العامة للحذف التي ينبغي توفرها في الاحتباك:

1-أن يدعو إليه داعٍ بلاغي يجعل الحذف أبلغ من الذكر

2-أن يكون في الكلام بعد الحذف دليلٌ على المحذوف[4]

أما الخاصة بالإحتباك:

1- وجود متقابلين في كُل من الجملتين في الكلام

([1]) الإتقان في علوم القرآن أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،(3/204-205)، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، في إعجاز القرآن، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (1/243-242).

([2]) مُحَمَّد الأمين ين مُحَمَّد المختار الجكني الشنقيطي، ولد بشنقيط بموريتانيا (1325هـ) مفسر فقيه، أصولي لغوي، سلفي العقيدة، قوي الاستدلال، من مصنفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومذكرة في أصول الفقه، ومنع جواز المجاز وغيرها،توفي بمكة(1393)،ترجمة الشيخ الشنقيطي لتلميذه الشيخ العطية سالم في مقددمة أضواء البيان(ج1ص3).الإعلام لخير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)(ج6ص45)، دار العلم للملايين،الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.معجم المؤلفين عمر بن رضا بن مُحَمَّد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ)(ج2ص628)، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت،عدد الأجزاء: 13. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)(4/417)، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : (1415 هـ - 1995 م)

([3]) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر،(3/101-100)الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، 1416 هـ - 1995 م

([4]) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، (1/478)، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، (1423 هـ - 2002 م).

2- حذف من كلتا الجملتين ما أثبت في الأخرى

3- دلالة ما بقي على ما حذف من الأخرى

هذه هي الشروط التي يجب أن تتوفر في النص ليكون فيه احتباك وإلاّ كان في النص نوعٌ من التكلف [1]

فوائد الاحتباك البلاغية:

اللغة العربية من أكثر اللغات إيجازاً، و (الاحتباك) ضرب من ضروب إيجاز الحذف، وهو فن بديع بليغ، فالإيجاز من أكثر الأساليب دقة وحكمة، وأحسنها بلاغة، وأغزرها معنى، وتتجلى فائدته في:

1-إحكام النظم وتهذيب العبارة، بحذف فضول الكلام، وهو نوع في الكلام الشريف، لا يتعلق بها إلا فرسان البلاغة؛ لعلو مكانته، وتعذر إمكانه، فهو يختص بالمعاني؛ فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير[2]

2-صيانة الكلام من الثقل والرهل اللذين يحدُثان من ذكر ما تدل عليه القرينة[3]

3-إثارة الفكر والحس بالتعويل على النفس في إدراك المعنى[4]

4-بيان فصاحة وبلاغة العربية؛ لأن ترك الذكر أفصح من الذكر في بعض الأحيان[5]

5-الانسجام الصوتي في بعض أنواع الكلمات والكلام[6]

6-إمتاع الذهن بما تذهب إليه النفس في تقدير المحذوف المطوي في ثنايا الكلام[7]

ضوابط الاحتباك

عند دراسة هذا الفن تحسن الإشارة إلى ضوابطه؛ حتى تتضح خصوصيته التي تُميزه عن غيره من أنواع الحذف الأخرى، ومن هذه الضوابط ما يلي:

1. تحقق شرط وجود الدليل

([1]) بلاغة الحذف التركيبي في القرآن الكريم الاحتباك أنموذجا، د.عدنان عبد السلام الأسعد،(ص31) أستاذ البلاغة المساعد في كلية التربية للبنات جامعة الموصل- العراق.

([2]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الموصلي (68/2)، تحقيق : مُحَمَّد محيي الدين عبدالحميد ، دار النشر : المكتبة العصرية – بيروت- 1995، الطبعة الثانية.

([3]) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مُحَمَّد مُحَمَّد أبو موسى، ص161، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة السابعة.

([4]) المصدر السابق ص161.

([5]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الموصلي (219/2).

([6]) أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: 542هـ)،(82/1)، تحقيق: الدكتور محمود مُحَمَّد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، (1413 هـ - 1991 م).

([7]) المصدر السابق(83/1)

2. تحقق شرط التقابل أو التناظر بين المحذوفين والمذكورين
3. تحقق شرط النسبة بين الجمل المحذوفة والمذكورة، بمعنى: أن يكون المذكور له علاقة بالمحذوف من قرب أو بعد
4. وجود فقرتين مذكورتين، وأخريين محذوفتين؛ يحذف مقابل أو نظير كل فقرة من الفقرات أن يكون وراء الحذف غرض بلاغي [1]

([1])أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ومواقعه في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، أمينة بنت سعود بن خيشان العواضي القرشي،(ص23) الممكلة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، شعبة الأدب والبلاغة والنقد.(1430هـ-2009م).

الفصل الثاني

أنواع الاحتباك، وبيان علاقته بالإيجاز وبالبلاغة

أنواع الاحتباك

للاحتباك في القرآن الكريم أمثلة كثيرة وأنواعه متعددة، وهذا التنوع والاختلاف يرجع إلى تقدير المحذوف، والمحذوف نفسه يفهم غالباً من السياق أو بوجود قرينة تدل عليه، ومن خلال دراستنا للاحتباك، وتقدير المحذوف، وكلام العلماء وتعاريفهم له يمكن أن نقسم الاحتباك إلى خمسة أقسام، الأول اصطلحنا على تسميته ب (الاحتباك الضدي) وهو ما كان تقابل الألفاظ فيه بالتضاد، والثاني (الاحتباك المتشابه) وهو ما كان تقابل الألفاظ فيه بالتشابه، والثالث (الاحتباك المتناظر) وهو ما كان تقابل الألفاظ فيه بالتناظر(التشابه ببعض الصفات)، والرابع (الاحتباك المنفي المثبت) وهو ما كان تقابل الألفاظ فيه بالنفي والإثبات، والخامس (الاحتباك المشترك) الذي يشرك نوعين في كل موضع، وهذه الأنواع دائماً يحذف فيها عنصرٌ من الأول لدلالة الثاني عليه، ومن الثاني لدلالة الأول عليه وحسب القرائن السابقة تضاد تشابه[1] وفيما يأتي بيان لهذه الأنواع.

أ–الاحتباك الضدي

هو الذي يقع بين ألفاظ العلاقة بينهما قائمة على التضاد، والضد كما يقول ابن السكيت: [2] (خلاف الشيء)[3]، ويقول ابن فارس[4] (المتضادان الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقتٍ واحدٍ كالليل والنهار)[1]

([1])الاحتباك في القرآن الكريم– رؤية بلاغية –د.أحمد فتحي رمضان، عدنان غبد السلام أسعد، جامعة الموصل–كلية الآداب– مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية2006.

([2]) هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت، (186هـ–244هـ=802–848م) إمام في اللغة والأدب، أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه، ثم قتله لسبب مجهول، وهو مات في بغداد. ومن كتبه: إصلاح المنطق، وشرح ديوان قيس ابن الخطيم وغريب القرآن وغير ذلك. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (195/8).

([3]) إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: 244هـ)(ص28)،تحقيق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (1423 هـ , 2002 م)

([4]) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي القزويني، كان شافعيا ثم تحول مالكيا، كان محدثا متقنا،ونحويا على طريقة أهل الكوفة، ولغويا بارعا،وأحد أئمة المرجوع إليهم، صنف جامع التأويل في تفسير القرآن، ومعجم مقاييس اللغة وغيرها، قال الذهبي أصح ما قيل في وفاته سنة 395هـ.أنظر :معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(533/1)دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (1411هـ–1991م)، والتدوين في أخبار قزوين لعبد الكريم بن

فالضد إذن هو كل شيءٍ يتضاد مع الآخر بحيث لا يجتمع معه في وقتٍ واحد[2] ونحن أطلقنا هذا الاسم على هذا النوع من الاحتباك من خلال كلام عدد من العلماء عند تعليقهم على الآيات القرآنية التي فيها احتباك بين ألفاظٍ متضادة منهم –الإمام البقاعي– عندما يقول: حذف من الأول ما اثبت ضده في الثاني ومن الثاني ما اثبت ضده في الأول[3]

ومن خلال هذا العرض اليسير يمكن القول إن الاحتباك الضدي: هو أن يؤتى بكلامين في كلٍ منهما متقابلان متضادان لما في الآخر، فيحذف في الأول ما اثبت ضده في الثاني ومن الثاني ما اثبت ضده في الأول، ويعد هذا النوع من أغنى أنواع الاحتباك دلالة– لما يضيفه التضاد من عمق في المعاني–وأكثرها وروداً في القرآن الكريم مقارنةً بالأنواع الأخرى، وفيه يظهر حسن التقابل بين الألفاظ المذكورة والمحذوفة فبضدها تتميز الأشياء، ونعني بالألفاظ المتقابلة بالضدية، أي بين لفظة وضدها–معنى ودلالة–بين الأسماء والأسماء، والأفعال والأفعال، أو بين الأفعال والأسماء مثل (الجنة والنار) و(يؤمن ويكفر) و(آمنوا والكافرون) وغيرها من الألفاظ الواردة في الآيات القرآنية، وسنتناول من هذا النوع بالتحليل والدراسة لنبين فيه مواطن الاحتباك وبلاغته وجماليته، وحسن موقعه في الكلام، ومن السياقات التي ورد فيها هذا النوع من الاحتباك في القرآن[4]

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[5]نزلت هذه الآية رداً على اليهود عندما جمعهم رسول الله ﷺ، بعد غزوة بدر وحذرهم من أن يصيبهم ما أصاب مشركي قريش يوم بدر، فقالوا لا يغرنك انك أصبت أغماراً[6]، لئن قاتلتنا لعلمت أننا نحن الناس، فنزلت[7]

محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: 623هـ)(215/2)،تحقيق :عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، (1408هـ–1987م)عدد الأجزاء: 4.
وطبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ)(60/1)،دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: 2.

([1]) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(360/3)،تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر(1399هـ - 1979م)

([2]) التقابل والتماثل في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، الدكتور فايز عارف القرعان،(ص18)، جامعة اليرموك، جدار للكتاب العالمي، 2006

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي،(169/16)

([4]) الاحتباك في القرآن الكريم، رؤية بلاغية، د. أحمد فتحي رمضان، عدنان عبد السلام أسعد،(ص12) جامعة الموصل كلية الآداب،2006

([5]) سورة آل عمران، رقم الآية:13

([6]) الأغمار: "الأغمار جمع غمر بالضم وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور" لسان العرب، لإبن منظور (32/5)، مادة (غمر)

([7]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)(150/1)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ.

والفئتان في الآية هما المسلمون ومشركوا مكة، وقد ذكر في جانب المسلمين إنهم يقاتلون(في سبيل الله) وفي جانب المشركين أنها (كافرة) فلم يأت النظم الكريم بين لفظتين متقابلتين تماماً، فلم يقل: فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى تقاتل في سبيل الطاغوت، ولا فئة مؤمنة وأخرى كافرة، بل قال الحق: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾، فوقع بهذا حذف من الطرفين على سبيل الاحتباك.[1]

قال الإمام أبو حيان: (حذف من الأولى ما اثبت مقابله في الثانية، ومن الثانية ما اثبت مقابله في الأولى، فذكر لازم القتال وهو(القتال في سبيل الله)، وذكر في الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان وهو الكفر)[2] فذكر الكافرة في الثانية أفاد بأن الفئة الأولى مؤمنة، وبقوله ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾أن الأخرى تقاتل في سبيل الطاغوت[3]وإذا أخذنا بأقوال العلماء، ووضعنا المحذوف موضعه في الكلام نجد بأن الآية تصبح متقابلة تقابلاً تاماً بين ألفاظها، ويكون تقدير الآية الكريمة:

قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله

وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت يرونهم مثليهم رأي....

وفي هذا الإيجاز تظهر بلاغة الاحتباك في نظم الآية، وذلك لأنه ذكر في الجملة الأولى لازم الإيمان وهو (القتال في سبيل الله)، وحذف مؤمنة مدحاً لهم، لأن المسلمين كانوا في أعلى درجات الإيمان حينها، ومدحا لهم كذلك بما يليق بالمقام ورمزاً إلى الاعتداد بقتالهم، ووصفت الأخرى بـ: الكافرة ملزوم القتال، بغير الصفة التي وصفت بها الفئة الأولى إسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وتحقيراً لهم[4].

([1]) الاحتباك في القرآن الكريم، رؤية بلاغية، د. أحمد فتحي رمضان، عدنان عبد السلام أسعد،(ص13) جامعة الموصل كلية الآداب،2006

([2]) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (411/2).

([3]) التحبير في علم التفسير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ)(ص474)الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ-2001م.

([4]) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)(342/1)، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت. وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل(95/3)، الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت.

وثمة لطيفة بلاغية أخرى وقعت في نظم الآية في (وأخرى كافرة) ولم يقل(وفئة كافرة)إشعاراً بأن الطائفتين ليستا متساويتين، وإهمالا للثانية وتصغيراً لشأنها أن تقرن بالمؤمنة، وفي تنكير(آية) في بداية الآية دلالة على التفخيم والتهويل، أي آية عظيمة، وفي تقديم لكم على (آية) للاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر[1].

وحقق الإلتفات من ضمير المفرد في قوله: (وأخرى كافرة)إلى صيغة الجمع في قوله:﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾العموم والشمول، وإن كل واحدٍ من أفراد المشركين كان يرى المسلمين مثلى عددهم[2]، ومما يدل على أن الرؤية كانت عينية جناس الاشتقاق الذي وقع بين(يرونهم) و(رأي العين) فضلاً عن التصريح بلفظ العين جارحة البصر.

ب–الاحتباك المتشابه

وهو نوع آخر من أنواع الاحتباك البلاغي نحاول الوقوف على مفهومه من خلال التأمل في شواهده القرآنية الكريمة، يقع الحذف فيه بين ألفاظٍ متشابهة، والشبه: المثل، ويقال هذا مثله أي شبهه[3] فالكلمة التي تذكر في الجملة الأولى يحذف مثلها من الثانية، ومن الثانية يحذف مثلها في الأولى، وأطلقنا عليه هذا الاسم من خلال الألفاظ المذكورة والمحذوفة التي دل عليها كلام العلماء مثل قولهم، فحذف من الأول ما اثبت مثله في الثاني ومن الثاني ما اثبت مثله في الأول[4] ولعل أوضح مفهوم له هو: أن يؤتى بكلامين في كلٍ منهما متقابلان متشابهان–أي أن يكون التقابل بين الألفاظ المتشابهة لفظاً ومعنى، فيحذف من الأول ما اثبت في الثاني، ومن الثاني ما اثبت في الأول، ويدل ما بقي على ما حذف في كلٍ منهما، ويأتي الاحتباك المتشابه بين الألفاظ المذكورة والمحذوفة يكون بين إسمٍ وإسم نحو(الجنة–الجنة)، أو فعلٍ وفعل نحو(يؤمنون–يؤمنون) أو إسم وفعل نحو(يغفر–الغفور)...إلخ من الألفاظ المذكورة في القرآن الكريم تحت هذا النوع، ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من الاحتباك الآية التي يطلب فيها من رسول الله ﷺ تحريض المؤمنين على القتال في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ

([1]) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (173/1)، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى (1417 هـ - 1997 م)

([2]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي (342/1)

([3]) لسان العرب لإبن منظور (610/11)

([4]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (322/8)

الصَّابِرِينَ﴾[1] يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن يحرض المؤمنين ويرغبهم بالصبر في القتال في سبيله والذود عن دينه بمقاتلة المشركين، كيف لا وهو كما وصفه الرسول ﷺ (رَأْسُ الْأَمْرِ فَالْإِسْلَامُ، وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ، وَأَمَّا ذِرْوَةُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ)[2] والجهاد هو درع الإسلام الذي يحميه من المخاطر والعوارض، فضلاً عن أنه شعيرة ترفع صاحبها في الجنة درجات، وما حل بالأمة اليوم من ذل وهوان، إلا بسبب البعد عن الدين وترك الجهاد كما قال رسول الله ﷺ: (لَئِنْ تَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ، وَتَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، لَيُلْزِمَنَّكُمُ اللَّهُ مَذَلَّةً فِي رِقَابِكُمْ، لاَ تَنْفَكُّ عَنْكُمْ حَتَّى تَتُوبُوا إِلَى اللهِ وَتَرْجِعُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ)[3]

وبين ﷻ في الآية الأولى أن المسلمين إن صبروا سيغلبوا عشرو أضعافهم وكان ذلك في بداية الإسلام، وكان هذا يشق عليهم، فخفف الله عنهم العدد فجعل الواحد مقابل الاثنين بعد أن كان الواجب على الواحد أن لا يفر من العشرة رحمةً بهم[4]

وذكر سبحانه في الآية الأولى على سبيل الإيجاز لفظ (الصبر) في الجملة الأولى وذكر لفظ(الذين كفروا) في الجملة الثانية وحذف مثليهما في كلٍ من الجملتين على سبيل الاحتباك، قال الإمام أبو حيان: (والتقييد بالصبر في أول كل شرط لفظاً هو محذوف من الثانية لدلالة ذكره في الأولى، وتقييد الشرط الثاني بقوله من الذين كفروا لفظاً هو محذوف من الشرط الأول في قوله: يغلبوا مائتين، فانظر إلى فصاحة هذا الكلام إذ أنه أثبت قيدٌ في الجملة الأولى، وحذف نظيره في الثانية، وأثبت قيدٌ في الثانية وحذف من الأولى)[5]

ووضح غيره من العلماء والمفسرين هذا الكلام وقال إن الآية من الاحتباك إذ أنه ذكر وصف(الصبر) في الجملة الأولى دليلاً على حذفه من الثانية، وذكر الكفر في الجملة الثانية دليلاً على حذفه من الجملة الأولى[6] وهذا في غاية الفصاحة والإيجاز ولا يخفى، وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين من الذين كفروا

وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفا من الذين كفروا

([1]) سورة الأنفال، رقم الآية (65-66)

([2]) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)(86/2)، كتاب الجهاد، حديث رقم 2408، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى (1411 – 1990)

([3]) مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى : 241هـ)(42/2)، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب،حديث رقم 5007، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، الناشر : عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى (1419هـ 1998 م)

([4]) الاحتباك في القرآن الكريم، رؤية بلاغية، د. أحمد فتحي رمضان، عدنان عبد السلام أسعد، (ص18) جامعة الموصل كلية الآداب،2006

([5]) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(511/4) تحقيق صدقي محمد جميل، الناشر : دار الفكر . بيروت، القرن الثامن، سنة الطبع : 1420 هـ.

([6]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(322/8)، وروح المعاني للإمام الآلوسي (32/10)

ولما كان الصبر من أكثر عوامل النصر في المعركة كان شديد الطلب، ولهذا ذكره في جانب المؤمنين أولاً إشعاراً بأهمية هذا الأمر، وإنه لم يذكر الذين كفروا إيجازاً واختصاراً فقد دل ما ذكر على ما حذف.

وهناك احتباكا ثانياً في الآية الثانية إذ (ذكر في الأول صابرة دلالة على حذفه ثانياً، وذكر ثانياً الإذن دليلاً على حذفه أولاً)[1] أي أنه حذف في آية التخفيف من الجملة الأولى (بإذن الله) لدلالة الثانية علبها، و (الصابرة) ثانياً لدلالة الصابرة الأولى عليها، وتقدير الآية الكريمة:

إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بإذن الله

وإن يكن منكم ألف صابرون يغلبوا ألفين بإذن الله

ومن خلال هذين الاحتباكين تظهر فصاحة هذا الكلام وجماليته ونظارة بلاغته في الإيجاز والاختصار البليغ، وقد أوثر التعبير ب (الحض) بدلاً من غيرها من الألفاظ، لما فيها من الدلالة على المبالغة في الحث على هذا الأمر وهو-الجهاد-وهو مأخوذ من (الحرض)، وهو أن ينهك المرض صاحبه فيتبالغ فيه حتى يشفى على الموت، فجاءت هذه اللفظة مناسبة لهذا الموضع لأهميته أي فكأنه ينسبه إلى الهلاك لو تخلف عن المأمور به[2]

ج-الاحتباك المتناظر

هو الذي يقع بين ألفاظٍ بينها صفات مشتركة، أي التشابه في بعض الصفات وليس تشابهاً كلياً لفظاً ومعناً، بل تشابهاً جزئياً، فعندما يقال: التقى وزير الدولة بنظيره وزير الدولة الأخرى، فهما ليسا نفس الشخص بل هما مشتركان في صفة هي إن كليهما وزير، وهذا الذي نعني ب (التناظر)، وأفدنا من تعريف الإمام السيوطي للاحتباك في وضع اسمه وتعريفه، وهو قوله: (هو أن يحذف من الأول ما اثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما اثبت نظيره في الأول)[3] وهذا النوع من الأنواع القليلة التي وردت في القرآن الكريم، ولقلة شواهده ارتأينا أن نحلل أغلب شواهده الاحتباكية ويكون بين الأسماء والأسماء نحو (يوم الجمع- العذاب) وبين الفعال والأفعال(تبتل-بتل) وبين الأفعال والأسماء نحو(استغفره-غفاراً) وغيرها من الألفاظ المتناظرة، ومن أمثلته بيان ما للزوجة من حق وما عليها في قوله تعالى: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4]

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (326/8)

([2]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للإمام الزمخشري (419) وفتح القدير، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) (465/2)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت، الطبعة الأولى 1414 هـ.

([3]) الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي(204/3)

([4]) سورة البقرة، رقم الآية 228

تعد هذه الآية من أهم الآيات التي بينت ورسمت الحقوق فيما بين الزوج والزوجة، فبين سبحانه وتعالى أن للزوجة حقوقا على الرجل، كما للرجل حقوقٌ على المرأة، ولكن هذه الحقوق حسب طبيعتهما، فالرجل عليه مسؤوليات تقتضيها طبيعة الرجل، والمرأة عليها حقوق تقتضيها طبيعتها[1] وفي معنى هذه الآية يقول الرسول-ﷺ- فيما أخرجه أهل السنن: (أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ)[2]

لقد أنطوى جزءٌ من هذه الآية على إيجاز بالحذف على سبيل الاحتباك، في قوله تعالى:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، فقد وقع حذفٌ من الطرفين ودل بالمذكور على المحذوف في كلٍ منهما، فحذف من الأول على الرجال لدلالة نظيره عليه في الثاني وهو (عليهن)، وحذف من الثاني للرجال لدلالة نظيره عليه في الأول وهو (لهن)[3] وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

ولهن من الحقوق على أزواجهن مثل الذي لإزواجهن عليهن من الحقوق[4]

ولا يخفى لطف الاحتباك في هذه الآية وجماليته فيما بين الزوج والزوجة[5] فهذا كلام يشمل جميع ما يجب للنساء على الرجال من حسن المعاشرة صيانتهن وإزاحة عللهن، وكل ما يؤدي إلى مصالحهن، كما يشمل ما يجب للرجال على النساء من طاعة الأزواج وحسن المشاركة في السراء والضراء والسعي إلى مرضاته وحفظ غيبتهم وصيانتهم عن خيانتهم[6] وفيه إيجاز وبيان لا يخفى على المتمكن من علوم البيان[7]

ومثل هذا الإيجاز هو الذي تهتم به العربية وتسعى لتحقيقه فهو عنصر من عناصر بلاغة الكلام[8] لأنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر[1]

([1]) أنظر: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، محمد متولي الشعرواي (2/ 1002-1001)

([2]) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) (459/3) كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم (1163)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، الطبعة: الثانية، (1395 هـ - 1975 م)

([3]) أنظر: البحر المحيط، لأبو حيان الأندلسي (2 /200)،ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (301/3)، وروح المعاني للإمام الآلوسي(2/ 134) ، والتحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (2/ 396)، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع تونس 1997 م.

([4]) أنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (543/2) ، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)،(132/1) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ: والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (272/1) ، والجامع لإحكام القرآن، للإمام القرطبي (82/3).

([5]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (134/2)

([6]) بلاغة الإيجاز في العربية، أمال بنت مت زين،(ص36) بحث تكميلي مقدم لاستيفاء شروط لنيل إجازة الماجستير، كلية الدراسات الإسلامية الجامعة الوطنية الماليزية باغي 1997

([7]) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (131/1)، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى، (1417 هـ - 1997 م).

([8]) أنظر: في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. خليل أحمد عمايره (ص135)، الناشر عالم المعرفة جدة، الطبعة الأولى (1404هـ-1984م)

كما أنَّ هذا التركيب على طريقة الاحتباك بإضمار (الأزواج ومالهم) للاعتناء بذكر ما للنساء من الحقوق على الرجال، وتشبيهه بما للرجال على النساء، لأنه كما هو معلومٌ أن حقوق الرجال على النساء كثيرة ومشهورة، مسلمةٌ بها من أقدم العصور، أما حقوق المرأة فلم تكن موجودة، ولم يلتفت إليها، حتى إن وجدت فكان متهاونٌ بها، وموكولة إلى مقدار حظوة المرأة عند زوجها، حتى جاء الإسلام فأقامها، وأعظم ما أسست به هو ما جمعته هذه الآية[2]

وكان ابن عباس ﷺ يقول في معنى هذه الآية: (إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي)[3]

وفي تقديم الظرف (لهن) في بداية الجملة، للإهتمام بالخبر، لأنه من الأخبار التي لا يتوقعها السامعون، فقدم ليصغي السامعون إلى المسند إليه، بخلاف ما أخر فقيل : ومثل الذي عليهن لهن بالمعروف وفي هذا إعلان لحقوق النساء، وإصداعٌ وإشارةٌ بذكرها ومثل ذلك من شأنه أن يتلقى بالاستغراب، فلذلك كان محل الاهتمام[4]

د-الاحتباك المنفي المثبت

هو الذي يقع بين ألفاظٍ العلاقة بينها قائمة على النفي والإثبات، وفي هذا النوع يحذف من الأول كلمة مثبتة لدلالة نفيها عليها في الثاني، ومن الثاني كلمة مثبتة لدلالة نفيها عليها في الأول، أو بالعكس يبقى المنفي ويحذف المثبت، وأفدنا من كلام الإمام البقاعي في بيان هذا النوع في قوله: (حذف من الأول ما اثبت نفيه في الثاني، ومن الثاني ما اثبت نفيه في الأول)[5]

وهذا النوع من الأنواع القليلة التي ذكرت في القرآن الكريم، ومن ألفاظه (يشفقون- لا يشفقون) (يستعجلون-لا يستعجلون) كما في قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[6] فهذه الآية قابلت بين الفريقين، ولكن ليس تقابلاً تاماً بين الألفاظ، ففي جانب الكفار ذكر أنهم يستعجلونها، ولم يذكر أنهم لا يشفقون منها، وفي جانب المؤمنين ذكر الإشفاق ولم يذكر عدم استعجالهم منها، فوقع حذفٌ من الطرفين

([1]) أنظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي أبو بكر (ص122)، الناشر مكتبة الخانجي مطبعة المدني 2009.

([2]) التحرير والتنوير، لإبن عاشور (396/2)

([3]) معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس(198/1)، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى مكة المرمة، الطبعة الأولى، 1409، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي(123/1)

([4]) أنظر: التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور(397/2).

([5]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (283/17)

([6]) سورة الشورى، رقم الآية 18

على سبيل الاحتباك[1] فذكر الاستعجال أولاً دليلاً على حذف نفيه ثانياً وهو (لا يستعجلونها)، وذكر الاشفاق ثانياً دليلاً على حذف نفيه أولاً وهو (لا يشفقون) منها[2] وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فلا يشفقون منها والذين آمنوا

مشفقون منها ولا يستعجلونها ويعلمون أنها الحق من ربهم

ومن بلاغة الاحتباك في هذه الآية، أنه لم يذكر عدم شفقتهم منها، وذلك لأنهم لا يؤمنون بها أصلاً، بل يستهزئون منها، فكيف يشفقون منها إن كان هذا حالهم، فذكر الاستعجال ليناسب حالهم، أما في جانب المؤمنين ذكر الاشفاق ولم يذكر عدم استعجالهم منها، وذلك لعلمهم وإيمانهم بوقوعها لا محالة، فهم لا يستعجلونها﴿ويعلمون أنها الحق من ربهم﴾، وهم يعلمون كذلك ما بها من أهوال فناسب ذكر الإشفاق الذي يدل على عناية ممزوجة بخوف حالهم وموقفهم منها.واستخدم القرآن لفظ (الذين لا يؤمنون) بدلاً من الكافرين لغرضين، الأول ليتحقق طباق السلب بين (لا يؤمنون) و(آمنوا)، والثاني عبر عنهم بالموصول لأن الصلة تدل على سبب استعجالهم بها وهي عدم إيمانهم[3]

وإذا كان ذكر الكافرين (الذين لا يؤمنون) تقدم على ذكر المؤمنين في الآية، فإن التعبير القرآني قد جبر تأخر ذكرهم بإيثار الصيغة الاسمية للتعبير عن موقفهم من الساعة وهو (مشفقون) ليفيد ثبوت الصفة لهم[4] وزيد ذلك بذكر صفة أخرى لهم وهي (يعلمون أنها الحق من ربهم) بتعريف (الحق) تعريف الجنس، وهو يفيد قصر المسند على المسن إليه قصر مبالغة لكمال الجنس في المسند إليه، أي يوقنون بأنها الحق كل الحق، وذلك لظهور وقوعها حتى كأنه لا حق غيره[5]

هـ–الاحتباك المشترك

([1]) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ) (291/12)، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا بَيروت، عام النشر: (1412 هـ - 1992 م)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (283/17)

([3]) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور (70/25)

([4]) سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية، عبد القادر عبد الله الحمداني(ص285)، الناشر دار الكتب العلمية (1434هـ 2011م).

([5]) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور (70/25)

هذا النوع يختلف عن الأنواع الأخرى حيث إنه لا يلتزم بنوع واحدٍ من الاحتباك بل يجمع نوعين في الآية الواحدة، فهو يشرك جميع الأنواع فيما بينها فيحذف من الأول ما يدل عليه نفيه في الثاني، ومن الثاني ما يدل عليه ضده في الأول، أو يحذف من الأول ما يدل عليه مثله في الثاني، ومن الثاني ما يدل عليه ضده في الأول، أو بين المتشابه والمتناظر... الخ، أو بالعكس، وأطلقنا هذا النوع ب(الاحتباك المشترك) لأنه يجمع ويشرك جميع الأنواع الماضية (الضدي والمتشابه والمنفي والمتناظر) في الكلام الواحد، فتكون إحدى الألفاظ المذكورة ضدية والأخرى منفية أو متشابهة أو متناظرة، وبالعكس. ومن أمثلته قوله تعالى مبينا حال من يستجيب للإيمان وحال من صد عنه في قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1]

قابل ﷻ في هذه الآية بين الأحياء والأموات، وأراد بهما المؤمنين والكافرين، ولكن هذه الآية لم تكن متشابه في اختيار الألفاظ المتقابلة، فلم يذكر(الأحياء) في مقابل (الأموات)، ولا(لايسمعون) في مقابل (يسمعون)، بل ذكر صفة من صفات الأحياء وهي السمع ولم يذكرهم صراحةً، في حين ذكر في المقابل (الأموات) صراحةً ولم يذكر عدم سماعهم، فحصل بذلك احتباك بحذف من الطرفين، فحذف من الأول (الأحياء) لدلالة ضده عليه في الثاني وهم (الأموات)،وحذف من الثاني(لايسمعون) لدلالة نفيه عليه في الأول وهو (يسمعون)[2]، وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

إنما يستجيب للإيمان الأحياء الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله وهم لا يسمعون

وبهذا الحذف جمعت الآية بين الاحتباك الضدي والمنفي والمثبت، فأصبح من الاحتباك المشترك. وأفاد هذا الإيجاز بالاحتباك بلاغة، حيث إنه ذكر في جانب الأحياء أنهم يسمعون من غير التصريح بهم، لأنه الغرض المطلوب وعن طريقه تكون الهداية، فذكره لأهميته، وبما أن الميت لا يسمع، ذكره بدلاً من الكافر تهكماً به وازدراءً عليه، لأنه لا ينتفع بهذه النعمة، كما في تسميتهم بالموتى إقناط للرسول ﷺ من إيمانهم وهدايتهم[3]

([1]) سورة الأنعام، رقم الآية 36

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(102/7)

([3]) محاسن التاويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) (2295/6)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ

وفي الآية استعارة في إطلاق (الأموات) على الكفار، استعارة تصريحية حيث أنه شبه كفرهم وجهلهم بالموت. [1]من حيث إنهم لا ينتفعون بعقولهم وأسماعهم ومواهبهم في أهم الأشياء وهو ما يرضى الله ﷻ، وعلى هذه الاستعارة يكون بعثهم حقيقة، وهو ترشيحٌ للاستعارة، لأن البعث من ملائمات المشبه به في العرف، وإن كان الحي يخبر عنه بأنه يبعث بعد موته، ولكن العرف لا يذكر البعث إلا باعتبار وصف المبعوث بأنه ميت[2]

من خلال عرض الآيات وكلام العلماء عليها تبين لنا أن الاحتباك ينحصر حسب فهمنا واجتهادنا في خمسة أقسام وهي:

الاحتياك الضدي: وهو أن يحذف من الأول ما اثبت ضده في الثاني ومن الثاني ما اثبت ضده في الأول.

الاحتباك المتشابه: وهو أن يحذف من الأول ما اثبت مثله في الثاني ومن الثاني ما اثبت مثله في الأول.

الاحتباك المتناظر: وهو أن يحذف من الأول ما اثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما اثبت نظيره في الأول.

الاحتباك المنفي المثبت: وهو أن يحذف من الأول ما اثبت منفيه في الثاني ومن الثاني ما اثبت منفيه في الأول.

الاحتباك المشترك: وهو النوع الذي يجمع كل الأنواع التي ذكرت آنفاً، فيحذف من الأول ما اثبت ضده في الثاني ومن الثاني ما اثبت منفيه في الأول، أو يحذف من الأول ما اثبت ضده في الثاني ومن الثاني ما اثبت مثله في الأول، أو يحذف من الأول ما اثبت مثله في الثاني ومن الثاني ما اثبت نظيره في الأول... الخ

بيان علاقة الاحتباك بالإيجاز، وعلاقته بالبلاغة.

علاقة الاحتباك بالإيجاز

الاحتباك باب جزل المقطع، شبيه بالسحر، جمّ في دلالاته، دقيق في إدراك محاسنه، ذو نُسب ووصل

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي (379/2)، وروح المعاني للإمام الآلوسي(142/7)

([2])التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور (208/7)

بالإيجاز؛ لكونه قائمًا على الحذف الفني المتخير في بنائه الذي تظهر معه القيمة الجمالية، فالبراعة في تبصر جمال الصورة التركيبية الدلالية لأسلوب الاحتباك تكمن في لطائف المعاني وتذوق صور الإيجاز. فالعلاقة بين الاحتباك والإيجاز تتمثل في سخاء دلالة الألفاظ لاكتناز التراكيب بالمعاني؛ لأنَّ الإيجاز في مباني الألفاظ يُثمرُ لفظًا في الدلالة على المعاني، ودقةً في نمط تراكيبها، فالمعول عليه في إدراك المزايا والأسرار: الذوق الذي شطره الإحساس بقيمة المحذوف، وتجنب ذكره،"... وتجتهد أن لا يدور في خلدك، ولا يعرض لخاطرك، وتراك كأنك تتوقاه توقي الشيء تكره مكانه، والثقيل تخشى هجومه" [1] فالاحتباك هدفه تعميق المعاني وتكثيفها في أصل ألفاظها؛ لتثبيت القيم في النفوس، والأخذ بأيدي الناس إلى مقام الطاعة والقرب من رب العالمين، وهذا من محاسن جمال الإيجاز، الذي لزم صور الاحتباك، فما من نمطٍ تركيبي وقع فيه الاحتباك أو شبهه إلا والإيجاز من أسمى علاماته، وأحد دوافعه [2]

علاقته بالبلاغة

يُعدُّ هذا النوع من الحذف مطلبًا مهمًا من مطالب البلاغة الآخذة بأيدي الناس إلى مقام المحبة الممزوجة بالمهابة والإجلال؛ لما يحققه من جلائل المعاني الإحسانية اللطيفة في مدلولاتها، العميقة في دلالاتها، "فإنه من القول الجميل ذي الطلاوة والبهجة والعذوبة، الجزلِ المقطع، الغريبِ المنزع، اللذيذ المسموع ؛ لما بين أجزائه من الارتباط، لما للنفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النِّسَبِ والوُصَلِ بين الأشياء" [3]

فهذا النَّوع من الحذف اختلف العلماء في تحديد بابه، فمنهم من أدخله في باب علم المعاني، تحت اسم (**حذف التقابل**)، من أمثال: السجلماسي في (المنزع البديع)، والمراكشي في (الروض المريع)، والإمام الزركشي في (البرهان)، وكان المحور الأهم في مناط نظرهم التركيز على ما يحققه الحذف من تأثير جليّ في بناء الأساليب المتقابلة، وهذا أقرب إلى علم المعاني؛ إذ إنه يهتم بدراسة تراكيب الأساليب وكيفية بنائها.

([1]) دلائل الإعجاز، أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي ،(ص146)وما بعدها، قرأه وعلَّق عليه، أبو فهر محمود محمَّد شاكر، الناشر: جده ، دار المدني القاهرة، مطبعة المدني ، الطبعة الثالثة ، (1413هـ-1992م).

([2]) أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ومواقعه في القرآن الكريم دراسة بلاغية، دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد، أمينة بنت سعود بن خيشان العواضي القرشي،(ص24) وزارة التعليم العالى جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، شعبة الأدب والبلاغة والنقد،(1430هـ-2009م).

([3]) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمَّد القاسم السجلماسي،تحقيق علامة الغازي، (ص195)، مكتبة المعارف،1980.

وأدخله آخرون في باب علم البديع، تحت اسم (**احتباك**)، من أمثال أصحاب البديعيات[1] ومن أبرزهم: الإمام السيوطي في (نظم البديع في مدح خير شفيع). ولعلَّ من أطلق عليه اسم (**احتباك**) كان ناظرًا له باعتباره أحد ألوان البديع، وكان مناط نظرهم الأهم التركيز على ما يحمله الحذف من قيم جمالية ذات أثر فعَّال في النفوس، وهذا أقرب إلى علم البديع؛ إذ إنه يهتم بدراسة الأثر الناتج عن تأمل الأساليب.

(1) أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ومواقعه في القرآن الكريم دراسة بلاغية، دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد، أمينة بنت سعود بن خيشان العواضي القرشي،(ص25) وزارة التعليم العالى جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، شعبة الأدب والبلاغة والنقد،(1430هـ-2009م).

الفصل الثالث

الاحتباك في آثار أهل العلم

إن للعلماء–كما يعلم–آثارًا، البحث فيها ذو مسالك عدة، ألطفها وأدقها: ما خفي من تلك المسالك؛ لقلة من وقفوا عليها؛ لذا ينبغي التأمل في دقائق تلك المسالك محاولين استقصاء حقائق منهج القول في بيان ما يتعلق بكل جزء يراد بحثه، فالبحث عن مناهج أهل العلم في تراثهم هو البحث عن عقول هؤلاء الأجلاء في استنطاق أفكارهم، وهذا يتطلب مزيد جهد، وإدمان نظر، وقوة تحمل، وإمعان فكر؛ لمعرفة المراد من كل قول، وتبين المنهج الذي اتُّخِذَ في بناء تلك الأقوال.

فإذا كان القول بالاحتباك في بعض الآثار جليًا، فإنه في أخرى خفي لا يدرك إلا بالتبصّر. والثابت الذي يسار عليه في بيان حقيقة هذا الفصل هو الكشف عن مناهج أهل العلم في كيفية التعرض لهذا الفن البلاغي، وبيان طرائقهم في توجيهه لمعرفة حقيقته، وكيف نما على أيدي العلماء من إشارات بسيطة إلى أن استوى في صورته الكاملة، إلى جانب الإشارة السريعة إلى مواضعه عند بعض العلماء –من المتأخرين– الذين كثر عندهم القول به، سواءٌ تمثل ذلك القول في تسميته– احتباكاً–أو في طريقة التقدير.

الاحتباك في آثار النُّحاة

1– سيبويه[1]: (180هـ)

لعلَّ أوَّل إشارة إلى هذا الحذف تمثَّلت في قول سيبويه في باب: (استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام وللإيجاز والاختصار) حيث يقول: "ومثله في الاتساع قوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2] فلم يشبِّهوا بما يَنْعِقُ، وإنما شُبّهوا بالمنعوق به. وإنما المعنى: مَثَلُكم وَمَثَلُ الذين كفروا كمثل النَّاعق والمنعوق به الذي لا يسمع، ولكنه جاء على

([1]) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز(148–180هـ=765–796)، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المسمى((كتاب سيبوية))في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله، ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي، وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم وعاد إلى الأهواز فتوفي بها، وقيل: وفاته وقبره بشيراز. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)(81/5)

([2]) سورة البقرة، رقم الآية 171

سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطَب بالمعنى"[1] هذا فيه إشارة صحَّ حملها على الاحتباك عند أغلب العلماء الذين عنوا به تمام العناية، ما بين موضح وشارحٍ له ومكملٍ عليه؛ لهذا أصبح القول بالاحتباك فيها ظاهرًا جليًا.

2- الزَّجَّاج:[2] (311هـ)

أشار الزجَّاج إلى هذا النوع من الحذف عند بيانه قول سيدنا عمر بن الخطاب إذ يقول: (لتُذَكِّ لكم الأَسَلُ والرماحُ والسِّهامُ، وإياي وأَنْ يحذِفَ أَحدُكُمُ الأَرنبَ) وتعني " لتذبح لكم الرماح والسهام، مع التحذير من وأَنْ يحذِفَ أَحدُكُمُ الأَرنبَ أي: يرميه بحجر أو أي أداة غير شرعية لا تحله. حيثُ قال: أصله إياي وحذف الأرنب، وإياكم وحذف الأرنب، فحذف من كل جملة ما أثبت في الأخرى [3]

3- أبوجعفر النحاس[4] (338هـ)

وردت عند النحاس إشارة صح حَمْلُهَا على الاحتباك عند بعض المتأخرين، تمثلت في التقدير الذي كَشَفَ طريقته، وذلك في (معاني القرآن)، عند تأويله قول الحق: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ

---

(1) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه(المتوفى: 180هـ)(212/1)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، (1408 هـ - 1988 م)

(2) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ولد ومات في بغداد (241 - 311 هـ = 855 - 923م)عالم بالنحو واللغة.كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة. وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره. من كتبه (معاني القرآن - خ) و (الاشتقاق) و (خلق الإنسان - ط) و (الأمالي) في الأدب واللغة، و (فعلت وأفعلت - ط) في تصريف الألفاظ و (المثلث - خ) في اللغة، مهيأ للنشر في بغداد، و (إعراب القرآن - ط) ثلاثة أجزاء. ويلاحظ أن في خزانة الرباط (333 أوقاف) مخطوطة. الأعلام للزركلي(40/1).

(3) أغلب العلماء الذين ذكروا رأي الزجاج لم يشيروا إلى مصدره الحقيقي، وإنما ذكروه نقلاً عن بعض العلماء، ومنهم : ابن يعيش علي بن أبي السرايا، في (شرح المفصل)، (26/1)بيروت عالم الكتب مكتبة المتنبي، بدون طبعة (1408هـ-1988م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (287/2) تحقيق: رجب عثمان محمد، تحقيق رمضان عبد التواب القاهرة مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى(1418هـ-1998م)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي المعروف بابن أم قاسم، (70/4)، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة دار الفكر العربي الطبعة الأولى (1422هـ-2001م).

(4) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس، مفسر، وأديب مولده ووفاته بمصر(338هـ-950م)، كان من نظراء نفطوية وإبن الأنباري، زار العراق واجتمع بعلمائه وصنف: تفسير القرآن، وإعراب القرآن، ومعاني القرآن وغير ذلك. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) (29/1) تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت. البداية والنهاية، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (774 هـ)(11/ 222)، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الناشر: هجر للطباعة والنشر – الجيزة، الطبعة: الاولى (1417هـ - 1997 م).

قَائِلُونَ﴾[1] يقول: "المعنى: فجاءهم العذاب على غفلةٍ بالليل وهم نائمون، أو نصف النهار وهم قائلون" [2] فهذا احتباك.

4- إسماعيل بن مُحَمَّد الغرناطي[3]: (771هـ)

أشار الإمام الغرناطي إلى الاحتباك، وذلك عند تأويله قول الحق: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4] حيثُ قال: "والاحتباك ظاهر، منه قوله:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ والتقدير: ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداء. فحذف (داعي)؛ لدلالة (ينعق) عليه، و(مدعوه)؛ لدلالة (الذين كفروا) عليه" [5]

5- ويقول في بيانه قول ابن مالك[6]:

"مُصَلِّياً عَلَى النَّبِيِّ المصْطَفَى وَآلِهِ المسْتَكْمِلِينَ الشَّرَفَا" [7]

"والصلاة من الله رحمَةٌ، ومن الملائكة استغفارٌ، ومنَّا دُعَاءٌ، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[8] فإنه من قال بتعميم اللفظ المشترك فلا إشكال، وأما من منع من تعميم اللفظ المشترك فإنه يجعل من باب ما حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن

([1]) سورة الأعراف، رقم الآية 4.

(2) معاني القرآن الكريم، أبي جعفر النحاس، تحقيق مُحَمَّد علي الصابوني، (9/1) مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989م). والتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مُحَمَّد بن عبد الله بن عمر التميمي الرازي (21/15)، التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي مُحَمَّد بن أحمد الغرناطي (29/2)، لبنان، دار الكتاب العربي الطبعة الرابعة (1403هـ-1983م)

([3]) هو أحمد بن علي (وقيل ابن مُحَمَّد) الأندلسي الغرناطي الرندي، (917 - 1013 هـ = 1511 - 1605م) أبو العباس، المعروف بحبيب: متصوف صالح، من كتّاب الرسائل فيهم. نزل بفاس، وكان له فيها كتاب يقرئ فيه الصبيان ووفاته بها. له تأليف، منها (يواقيت الأحكام فيما يتعلق بقواعد الإسلام) ورسالة في (القطب عند الصوفية - خ) في خزانة الرباط (المجموع 112 ك) و (لامية في التصوف - خ) في الرباط (المجموع نفسه) و (قصائد في التصوف - خ) في المجموع.الأعلام للزركلي(180/1)

([4]) سورة البقرة، رقم الآية 171

([5]) أنظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي،(25/1)

([6]) هو أحمد بن عمر الحمامي العلواني الخلوتي: متصوف، من فضلاء الشافعية. من أهل حماة(1017 هـ - 1608 م)، تعلم بها وتصوف على يد شيخ يدعى ابن علوان، فنسب إليه. ثم انتقل إلى حلب وكان يتكسب بالحياكة. واقبل على اقراء المبتدئين ألفية ابن مالك في النحو وشرح القطر. وتوفي بحلب.له كتب، منها (أعذب المشارب في السلوك والمناقب - خ) في أوقاف بغداد (4713) و (مناقب الشيخ أبي بكر بن أبي الوفاء - خ) في الظاهرية (الرقم 7847) الأعلام للزركلي(188/1).

([7]) أنظر: متن الألفية، مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي(3/1)، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، بدون طبعة ، (1410هـ-1989م)

([8])سورة الأحزاب، رقم الآية 56

الثاني ما أثبت نظيره في الأول، فيكون التقدير: إن الله يصلي و(إن) ملائكته يصلون، فحذف (يصلي) من الأول لدلالة (يصلون)، و(إن) من الثاني لدلالة (إن) الأولى عليه، وهذا من أفصح ما جاء عن العرب وأجمعه وأوجزه، ويسمى في ألقاب البديع: الاحتباك[1]

6- الإمام أحمد السجاعي[2]: (1197هـ)

وردت عن الإمام السجاعي إشارة إلى شبه الاحتباك عند بيانه نظم ابن مالك في ألفيته، يقول ابن مالك في باب المقصور والممدود:

"فَلِنَظِيرِهِ المعَلِّ الآخِرِ ثُبُوتُ قَصْرٍ بِقِيَاسٍ ظَاهِرِ

كَفِعَلٍ وَفُعَلٍ فِي جَمْعِ مَا كَفِعْلَة وفُعْلَةٍ ،نَحْوُ الدُّمَى " [3]

حيثُ قال: "وفي الكلام شبه احتباك" [4]

الاحتباك في آثار المفسرين:

مما لا شك فيه أنَّ القول بالاحتباك له شأنه، لما خفي من جليل أسراره، ودقيق لطائفه، فلقد كثُر في كتب التفسير وروده-قياساً بغيرهم من العلماء-، وهذا أمرٌ متوقَّع؛ لأنَّ المائدة التي قام عليها علم التفسير، مائدة الكتاب المنزَّل الذي لا يخلق على كثرة الرد، مائدة لها دقيق أسرارها، ولطيف دقائقها، المتفتحة للناظر فيها، والمتكشفة للمتأمل في خباياها، والمعجزة للكيان البشري في الوقوف على جلِّ أسرارها، قال الله تعالى:﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[5]

([1])هو: «أن يقدم قبل الشروع في الكلام ما يُمهد المراد ، وهو على وجوه» التبيان في البيان، شرف الدين الحسين بن مُحَّد بن عبد الله الطيبي، (ص306) تحقيق : توفيق الفيل، وعبد اللطيف لطف الله، الكويت، ذات السلاسل، الطبعة الأولى (1407هـ-1986م)

([2]) احمد السجاعي (1197 هـ- 1783م) أحمد بن أحمد بن مُحَّد السجاعي، الشافعي الازهري (شهاب الدين) عالم مشارك في كثير من العلوم.توفي بالقاهرة في صفر له مؤلفات كثيرة منها: فتح المنان في بيان مشاهير الرسل التي في القرآن، النور الساري على متن مختصر البخاري لابن ابي جمرة، الكافي بشرح متن الكافي في العروض والقوافي. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن مُحَّد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ)(154/1)الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

([3]) شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي،(2/120) مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي.

([4])حاشية فتح الجليل، أحمد السجاعي على شرح ابن عقيل على متن الألفية لابن مالك، (ص359) القاهرة طبع بمصر، بدون طبعة (1290هـ-1870م)

([5])سورة البقرة، رقم الآية 255

فكثرة وروده في هذا المبحث، لا يُعْنَى بها كثرة التحدث عنه بلاغةً، والتنقيب عن أسراره؛ لأنها لم تحظ إلا بقدرٍ قليلٍ من العناية والاهتمام، وإنما كَثُرَ ذكر الاحتباك مفهومًا، وتفاوت العلماء في البيان والكشف عنه، فلعلَّ أول ما يصف صورة الاحتباك عند المفسرين، هو: إشارات ترد في أسفارهم، وبين ثنايا أقوالهم، والتي يمكن تأويلها بما يتفقُ مع المعنى في سياقه القرآني على الاحتباك.

ومن أبرز العلماء الذين يمكن حمل أقوالهم على الاحتباك

1-الإمام الطبري: (310هـ)

وَرَدَ عند الإمام الطبري نوع من الحذف الذي يكون فيه المحذوف المقدر مساويًا للمذكور، وذلك في كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، حيثُ يقول في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]"قالت اليهود -لمحمدﷺ وأصحابه من المؤمنين:-كونوا يهودًا تهتدوا وقالت النصارى لهم: كونوا نصارى تهتدوا" [2]

فالناظر في طرفي التقدير يلحظ أنَّ المحذوف الذي تم تقديره واقع في الطرفين، ففي الطرف الأول المحذوف: (تهتدوا)حُذِفَ لدلالة مثله عليه في الطرف الثاني (تهتدوا)، وفي الطرف الثاني المحذوف: (كونوا)حُذِفَ لدلالة مثله عليه في الطرف الأول (كونوا)، فكل من المحذوف والمذكور في الطرفين مثيل للآخر. وهذا وجه من وجوه فهم المعنى يُمكِنُ حمله على الاحتباك؛ لتحقق أهم شرائطه، وهو: حذف المقابل لدلالة مقابله عليه في الطرفين، ولكن لم يتبين لي أنَّ أحدًا من العلماء —خصوصًا المتأخرين- أَوْلى هذا المعنى مزيد عناية [3]

وللعلماء آراء في توجيه معنى (أو) في الآية، فمنهم من جعلها للتفصيل على أن المعنى: "وقالت اليهود كونوا هودًا، وقالت النصارى كونوا نصارى، فالمجموع قالوا للمجموع لا أنَّ كل فرد أمر باتباع أي الملتين"[4]. وامتنع كونها للتخيير "فلا يجوز أن يكون المراد به التخيير، إذ المعلوم من حال اليهود أنها لا تجوز اختيار النصرانية

([1])سورة البقرة، رقم الآية 135

(2)تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (589/2) بيروت دار الفكر، بدون طبعة (1408هـ-1988م)

([3]) أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ومواقعه في القرآن الكريم دراسة بلاغية، دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد، أمينة بنت سعود بن خيشان العواضي القرشي،(ص38) وزارة التعليم العالى جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، شعبة الأدب والبلاغة والنقد،(1430هـ-2009م).

(4) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (577/1) تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (1422هـ-2001م)

على اليهودية، بل تزعم أنه كفر، والمعلوم من حال النصارى أيضًا ذلك، بل المراد أنَّ اليهود تدعو إلى اليهودية والنصارى إلى النصرانية، فكل فريق يدعو إلى دينه ويزعم أنه الهدى"[1] ومنهم من جعلها للتقسيم بعد الجمع[2]؛ لأنَّ السامع يرد كلًّا إلى من قاله[3] وعليه فالجمع في: قالت اليهود والنصارى، والتقسيم بـ (أو) في: (هودًا تهتدوا، ونصارى تهتدوا).

والمتَّضحُ –والله أعلم– أنَّ المعنى: وقالت اليهود كونوا هودًا تهتدوا، وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا من قبيل اللف والنشر المرتب[4]، فاللف أتى في: (قالت اليهود والنصارى)، والنشر أتى على طريقة اللف في: (كونوا هودًا تهتدوا، وكونوا نصارى تهتدوا).

2– الإمام القشيري[5]: (344هـ)

يقول في قول الحق: ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾[6]: "قال القشيري : والشكر على نعم الدفع أتم من الشكر على نعم النفع، ولا يعرف ذلك إلا كل موفق كيس؛ فالآية من الاحتباك: ذكر الإنعام أولًا –لأنه السبب الحقيقي– دليلًا على حذفه ثانيًا، والشكر ثانيًا –لأنه السبب الظاهر– دليلاً على حذفه أولًا" [7]

3–الإمام الكرماني:[8] (505هـ)

وردت عند الكرماني في (غرائب التفسير وعجائب التأويل) إشارة لطيفة إلى هذا النَّوع من الحذف .

---

[1] التفسير الكبير للإمام الرازي(73/4)، وروح المعاني للإمام الآلوسي(393/1)

[2] هو: «جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو العكس تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم» المطول –شرح تلخيص مفتاح العلوم– ،سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (ص 658) تحقيق : عبد الحميد هنداوي، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (1422هـ–2001م)

[3] أنظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(7/1)

[4] هو: «ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه» المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم– ،سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (ص654).

[5] هو بكر بن محمد بن العلاء بن محمد ابن زِيَاد، أبو الفضل القشيري،(260 – 344 هـ = 874 – 955م)ويقال له بكر بن العلاء: قاض من علماء المالكية من أهل البصرة. انتقل إلى مصر قبل سنة 330 وتوفي بها عن نيف وثمانين سنة. له كتب، منها (أحكام القرآن) و (الرد على المزني) و (الأشربة) و (أصول الفقه) و (القياس) و (مسائل الخلاف) و (الرد على القدرية) قال القاضي عياض: ورأيت له كتاب (مآخذ الأصول) وكتاب (تنزيه الأنبياء عليهم السلام). الأعلام للزركلي (69/2).

[6] سورة القمر، رقم الآية 35

[7] لطائف الإشارات =تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) (55/6)،تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، الطبعة الثالثة، نظم الدرر للإمام البقاعي(125/19)

[8] هو محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني،(505 هـ = 1110م)ويعرف بتاج القراء: عالم بالقرآآت. نقل في (التفسير) آراء مستنكرة، في معرض التحذير منها، كان الأولى إهمالها. أثنى عليه الجزري وذكر بعض كتبه، ومنها (لباب التفاسير – خ) في شستربتي (4147) وهو المعروف بكتاب (العجائب والغرائب) في مجلدين، ضمنه أقوالا في معاني بعض الآيات.الأعلام للزركلي(168/7).

يقول في قول الحق: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]: "فيه أقوال : ...والثاني: مثل الذين كفروا معك يا مُحَمَّد كمثل الناعق مع الغنم ، فحذف من كل طرف ما يدل عليه في الطرف الآخر، وله في القرآن نظائر وهو أبلغ ما يكون من الكلام" [2] وبالتتبع لسفره العظيم بناءً على قوله السابق الجليل لم يتبين لي ما يمكن حمله على هذا الحذف غير هذا الموضع.

4-الإمام الزمخشري: (538هـ)

يُعَدُّ (الكشاف) تفسيرًا بلاغيًا للقرآن الكريم، والبلاغة ظهرت فيه ظهورًا كاشفًا في جوانب عدَّة [3] أمَّا هذا اللَّون البلاغي فلم يَنَل من الإمام الزمخشري عناية تجعلنا نقول: إنه عني به، أو بَانَ في ثنايا ذلك السفر العظيم، وهذا أمر راجع إلى طبيعة هذا اللون البلاغي الذي لم ير النُّور مصطلحا إلا في أواخر القرن السابع الهجري، وأوائل الثامن الهجري، ولكن بالنظر والتقصي يُعْثَرُ على إشارات ووقفات يمكن اعتبارها من قبيل الاحتباك.

ولعلَّ من بين تلك الإشارات التي يمكن حملها على الاحتباك من غير إخلال بجوهر المعنى، قول الحق:﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[4] يقول: "... فإن قلت: لِمَ ذُكِرَ المسّ في أحدهما والإرادة في الثاني؟ قلت: كأنَّه أراد أن يذكر الأمرين جميعًا: الإرادة، والإصابة، في كل واحد من الضرّ والخير، وأنه لا رادَّ لما يريده منهما، ولا مزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المسّ وهو الإصابة في أحدهما، والإرادة في الآخر؛ ليدلّ بما ذكر على ما ترك"[5] فهذا احتباك، فتق أفانين القول في بيانه بأسلوب دقيق، فيه ربط بين المذكور والمحذوف والمراد والمراد منهما.

5-الإمام ابن عطية: (546هـ)

---

[1] سورة البقرة، رقم الآية 171

[2] غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، (191/1) تحقيق : شمران سركال يونس العجلي، جدة دار القبلة ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، (1408هـ-1988م)

[3] أنظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مُحَمَّد حسنين أبو موسى (ص5) وما بعدها، القاهرة ، دار الفكر العربي، بدون طبعة.

[4] سورة يونس، رقم الآية 107

[5] الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ناصر الدين أحمد بن مُحَمَّد ابن المنير الإسكندري المالكي(256/2) بيروت لبنان، دار المعرفة، بدون طبعة.

عُني ابن عطية في تفسيره المسمى بـ (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، بالإشارة إلى هذا الحذف مفهومًا، وتقديرًا، وبلاغةً. فمن خلال النظر في المحرر الوجيز تتحرر حقيقة هذا القول، وننتهي فيه إلى أنَّ المحرر يُعدُّ أول كتاب في التفسير بدأت فيه تباشير فن الاحتباك تأخذ طريقها في الظهور–مفهوما، وتقديرا، وبلاغة–لهذا نجده عند تأويله للآية التي وقع فيها مثل هذا الحذف يشيد ببلاغته الباهرة، ومدى دقَّته المتناهية، بألفاظ في غاية الدقَّة مترابطة، فيقول فيه تارة:"هذه نهاية الإيجاز"وأخرى: "هذه غاية البلاغة والإيجاز[1] فتأمَّل تصل إلى أنَّ الإيجاز قوام لهذا الحذف البلاغي الموجز، ففيه يصل الإيجاز نهايته وتبلغ به البلاغة غايتها .

فمن أوائل الآيات التي وقف عليها، وأبان القولَ فيها، قال الله: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2]مناط النَّظر الأهم في بيان هذه الآية يكمن في طرفي التشبيه؛ لأنَّه محل القول بالاحتباك، وقليل من العلماء من وقف على بيانه يقول ابن عطية: "معناه: المثال القائم في النفوس من إنفاقهم الذي يعدونه قربة وحسبة وتحنثًا، ومن حبطه يوم القيامة وكونه هباء منثورًا، وذهابه؛ كالمثال القائم في النفوس من زرع قوم نبت واخضَرَّ وقَويَ الأمر فيه فهبت عليه (ريح فيها صِرٌّ) محرق فأهلكته، فوقع التشبيه بين شيئين وشيئين، ذكر الله أحد الشيئين المشبهين، وترك ذكر الآخر، ثم ذكر أحد الشيئين المشبه بهما وليس الذي يوازي المذكور الأول، وترك ذكر الآخر، ودلَّ المذكوران على المتروكين، وهذه غاية البلاغة والإيجاز ..."[3]

في هذه الآية كشف عن الاحتباك مفهومًا، حيثُ أوجز القول في بيانه بلغة واضحة المعالم، فيها الإشارة إلى مثل هذا الحذف بارزة، ثم عقب على ذلك بالكشف، عن بلاغته وحسن موقعه في النفس.

6– الإمام أبو الحسن الحرالي:[4] (638هـ)

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمَّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي،(63/2) فاس ، المجلس العلمي، بدون طباعة، (1395هـ-1975م) .

(2) سورة آل عمران، رقم الآية 117

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)(494/1)

(4) هو علي بن أحمد بن الحسن الحرالّي التجيبي، أبو الحسن مفسر، من علماء المغرب، أطال الغبريني في الثناء عليه وإيراد أخباره، وقال: ما من علم إلاَّ له فيه تصنيف، أصله من "حرالة " من أعمال مرسية، ولد (638 هـ - 1241م) ونشأ في مراكش. ورحل إلى المشرق وتصوف، ثم استوطن بجاية، وعاد إلى المشرق، فأخرج من مصر، وتوفي في حماة (بسورية) من كتبه " مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل - خ " في التفسير. الأعلام للزركلي(256/4)

منهج الحرالي في (بيان أسنان الإنسان في الصعود في درج الإيمان والتردي في درك الكفران) منهج قائم على تأمل البيان القرآني وتبصر لطيف خطاباته، حيثُ جاء الخطاب فيه على مستويات بحسب الحظ من الإسلام، والإيمان، والإحسان، فتارة جاء الخطاب بذكر (الإنْسَان)، و(النَّاس)، و(الذِينَ آمَنُوا)، و(الذِينَ يُؤمِنُونَ)، و(المؤمِنينَ)، و(المؤمِنينَ حَقًّا)، و(المحسِنينَ)، وهذا مقصد الحرالي بقوله:" أسنان القلب أسابيع"[1]، وكذا الحال في مراتب التقوى، فإنَّ أدناها (الذينَ اتَّقَوا)، وأعلاها (المتَّقِينَ حَقًّا)، ومراتب الإحسان أدناها (الذِينَ أَحسَنُوا)، وأعلاها (المحسِنِينَ حَقًّا). وفي مقابل درج الإيمان درك الكفران، فإنَّ لها مراتب كما أنَّ لدرج الإيمان مراتب، فالكفر، والفساد، والشرك، والإجرام أدنى مراتبها (الذينَ كَفَروا)، و(الذينَ أفسَدوا)، و(الذينَ أشرَكُوا)، و(الذِينَ أَجرَمُوا)، وأعلاها (الكَافرينَ)، و(المفسِدينَ)، و(المشركينَ)، و(المجرمينَ) .

ومن الضروري في تلك المراتب التفريق بين مستويات الخطاب في البيان القرآني؛ لأنَّ عدم التبصرة بهذه المراتب والأحوال يحرم القلوب من تدبر القرآن "فمن لم يتحقق أسنان القلب وتفاوت خطابها لم ينفتح له الباب إلى فهم القرآن" [2] فالعمل بتلك المراتب والأحوال له ضوابط، أهمها: أنها توجه لكل سن حسب سن قلبه، فلا يصحُّ خطاب كل سن إلَّا له، ويتقاصر عنه دونه، ولا يحتاج إليه من فوقه. وبهذا يتبصَّر المرءُ درجات التنقل في الطاعة والقرب من ربه تبصرًا يرتقي به في مقامات القرب منه، فينتقل في مدارج الطاعات إلى بلوغ درجة أهل الإحسان. إنه بالوقوف على بعض النُّصوص التي ذكرها الحرالي لفهم القرآن الكريم، والتي جُمِعَتْ في سفر عظيم عني بتراث أبي الحسن الحرالي في التفسير، تبدو إشاراته إلى مثل هذا الحذف غامضة دقيقة أحسن فهمها الإمام البقاعي، فاستفاد كثيرًا من تلك الإشارات في بيان الاحتباك .

فمن الآيات التي وقف عليها الإمام البقاعي، وأبان عن الاحتباك فيها مستندًا إلى ما يقوله الحرالي قول الحق: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[3] يقول الحرالي: "والدنيا: فُعلى من الدنو، وهو الأنزل رتبة، في مقابلة عليا، ولأنه لزمتها العاجلة، صارت في مقابلة الأخرى

---

[1] تراث أبي الحسن الحَرَالِّي المراكشي في التفسير، الحرالي أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي (المتوفى: 638هـ)(ص35)، تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان، الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط، الطبعة الأولى، (1418 هـ - 1997 م)

[2] المرجع السابق، ص36 .

[3] سورة البقرة، رقم الآية86

اللازمة للعلو، ففي الدنيا نزول قدر وتعجل، وفي الأخرى علو قدر وتآخر، فتقابلتا على ما يفهم تقابلين من معنى كل منهما"[1] فهذا هو الاحتباك؛ لأنَّ "ذكر الدُّنيا يدلُّ على حذف العليا، وذكر الآخرة يدلُّ على حذف العاجلة"[2] فحقيقة القول بالاحتباك اتَّضحت لدى الحرالي، وأمَّا البقاعي فليس له في هذا الموضع إلَّا تسمية ما أضمر الحرالي.

7- الإمام القرطبي: (671هـ)

أشار الإمام القرطبي إلى طريقة الاحتباك، وذلك في (**الجامع لأحكام القرآن**) من خلال تقديره للمحذوف.

– يقول في قول الحق: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]: "مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة فأنبتت الحبة سبع سنابل، يعني أخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، فشبه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر"[4] فهو احتباك، أي: مثل المنفق وصدقته كمثل زارع حبة، فالمنفق مذكور قابله محذوف، وهو: الزارع، وصدقته أو نفقته محذوفة قابلها مذكور وهو حبة.

8- الإمام ابن المنير[5]: (683هـ)

وردت عند الإمام ابن المنير في (الانتصاف) إشارة إلى هذا النوع من الحذف، يقول في قول الحق: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[6] –يقول في حواشي الكشَّاف–: "ويحتمل أن تكون هذه الآية قسيمة الأولى، أي: فمن أوتى كتابه بيمينه فهو الذي يبصره ويقرؤه، ومن كان في الدنيا أعمى غير مبصر في

([1]) تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير ، الحرالي أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي (المتوفى: 638هـ)،(ص237)

([2]) نظم الدرر للإمام البقاعي(14/2)

([3]) سورة البقرة، رقم الآية 261

([4]) الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (303/3) تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة دار القلم، الطبعة الثالثة، (1386هـ–1966م)

([5]) هو أحمد بن مُحَمَّد بن منصور: ولد(620 – 683 هـ = 1223 – 1284 م)، وهو من علماء الإسكندرية وأدبائها. ولي قضاءها وخطابتها مرّتين. له تصانيف، منها (تفسير) و (ديان خطب) و (تفسير حديث الإسراء) على طريقة المتكلمين، و (الانتصاف من الكشاف – ط) رأيت الجزء الأول منه مخطوطا في مكتبة مغنيسا بالرقم 105 وعليه: (من كتب الفقير يوسف بن عمر بن علي بن رسول في شوال 660) وله نظم ، الأعلام لخير الدين الزركلي(220/1)، فوات الوفيات(72/1).

([6]) سورة الإسراء، رقم الآية 71–72

نفسه ولا ناظر في معاده فهو في الآخرة كذلك غير مبصر في كتابه بل أعمى عنه، أو أشد عمى مما كان في الدنيا على اختلاف التأويلين، والله أعلم" [1]

9- الإمام البيضاوي: (691هـ)

حَظِي تفسير البيضاوي (**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**) بعناية كبيرة من العلماء الذين وقفوا عليه، وأفردوا فيه المصنَّفات، فلقد احتوى من قواعد البلاغة وأصول الفصاحة أهمها، ومن شعب البلاغة والبراعة وفنون البدائع أدقها وأسناها فيه إشارات لهذا الحذف اللطيف الرفيع بانت حقائقها، وأخرى خفيت بعض جوانبها فاستكملها العارفون بها من أمثال أصحاب الشروح التي أُقِيمت على ذلك السفر الجليل. فمن بين تلك الإشارات التي ظهرت وبانت قوله في قول الحق: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[2] "وأصله: (أَنبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ) إنباتًا فنبتم نباتًا، فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزامية"[3] إنه احتباك، أبان عنه بتقدير المحذوف الواقع في أربع كلمات، في الطرف الأول: (أنبتكم) و(إنباتا)، وفي الطرف الثاني: (نبتم) و(نباتا).

10-الإمام أبوحيان الأندلسي[4]: (745هـ)

وقف أبو حيَّان الأندلسي أمام هذا النوع من الحذف فأظهر كثيرًا من جوانبه، لهذا كان لدراسته ميزات خاصة تربو على سابقيه في الكشف والتفصيل. وهذا متمثِّل في تلك المادة الوفيرة الواضحة لكل نظر دقيق، والتي حوت على بيان هذا الحذف مفهومًا، وتقديرًا، ولم يُبن عن المصطلح لهذا الحذف، وإنما اكتفى فيه بإيراد ألقاب تدلُّ على دقته، وجليل وقعه في الكلام العلي، ومن هذه الأوصاف قوله: هو"نوع من البلاغة"[5] وهو "من بديع الكلام" وهو"غاية البلاغة والإعجاز"، وهو"من بديع الحذف وجليل الفصاحة"، "وهذه طريقة بليغة"[6] فالنَّاظر إلى تلك الأوصاف يُدركُ أثر هذا النوع من الحذف في الكلام الذي لا يصل إليه إلا العارف بجواهره، المتفهم لحقائق ما يقع فيه من بيان.

([1]) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري(460/2) نظم الدرر للإمام البقاعي (479/11) وروح المعاني للإمام الآلوسي(124/15)

([2]) سورة نوح، رقم الآية 17

([3]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، (394/5) ونظم الدرر للإمام البقاعي(444/20)

([4]) هو مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حبان الغرناطي الأندلسي الجياني، أبو حبان، من كبار علماء بالعربية والتفسير والحديث واللغات. بغية الوعاة(121/1).

([5]) البحر المحيط، للإمام أبو حيان الأندلسي (142/2)

([6]) المرجع السابق (214/7)

والمتبادَر إلى الذهن أنَّ هذه الأوصاف التي وُصِفَ بها هذا النوع من الحذف تجعل الواصف بها يُجهدُ نفسه في البحث عن اسم تندرج تحته، وبالنَّظر الدقيق فيما قاله أبو حيَّان نتلمَّس ظلالَ تسمية هذا الحذف بـ (حذف التقابل) تختبئ خلف سطور كلامه –رحمه الله–، إلى جانب هذا فلقد ظهرت شخصية المتمرس لهذا الحذف العارف حقيقته في بيانه، فكأنَّه درسه واعتنى به عناية خاصة [1].

– يقول في قول الحق: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2] "وكان التقسيم يقتضي أنَّ من اتَّبع الهدى لا خوف ولا حزن يلحقه، وهو صاحب الجنَّة، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن، وهو صاحب النار، فكأنَّه حذف من الجملة الأولى شيئًا أثبت نظيره في الجملة الثانية، ومن الثانية شيئًا أثبت نظيره في الجملة الأولى"[3] فتحقق شرط حذف التقابل في كلامه؛ لذا صحَّ حملُه على الاحتباك .

11–الإمام ابن قيم الجوزية: (751هـ)

أشار الإمام ابن قيِّم الجوزية لهذا النوع من الحذف قي تفسيره في آيات مبثوثة في أسفاره، وذلك في بعض المواضع التي ظهر فيها حسه البلاغي، فكان له الفضل في بيان وجه هذا الحذف في آية لعله تفرد بتلك الإشارة فيها؛ لأنه لم يتبين أنَّ أحدًا سبقه إلى القول فيها، وهي قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4]، يقول: "أنَّ هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر، لكونه تبعًا له ومعنى من معانيه، فإذا ذكر أغنى عن ذكره لأنه يفهم منه.... فعلى هذا يكون الأصل في الآية: (إنَّ الله قريبٌ من المحسنينَ)(وإنَّ رحمةَ الله قريبةٌ من المحسنينَ) فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الموجود، وسوّغ ذلك ظهور المعنى، وهذا المسلك مسلك حسن إذا كسي تعبيرًا أحسن من هذا، وهو مسلك لطيف المنزع دقيق على الأفهام وهو من أسرار القرآن، والذي ينبغي أن يعبر عنه به: أن الرحمة

([1]) الخيط الذي نستل منه حقيقة القول بأنَّ أبا حيَّان درس هذا الأسلوب وتعرف عليه هو تلك الإشارة التي ظهرت في تأويله لقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(البقرة:171،).حيث قال : ... وذهب إلى تقرير هذا الوجه جماعة من أصحابنا، منهم أبو بكر بن طاهر(580هـ– 1184م) ، وتلميذه أبو الحسن بن خروف(610هـ–1213م)، وأبو علي الشلوبين(645هـ–1247م). أنظر: المرجع السابق (483/1)، غير أنه لم يتبين ما استدل به على بيان هذا الحذف عند هؤلاء العلماء؛ وذلك لعدم العثور على أي مصدر يذكر مثل هذا القول .

([2]) سورة البقرة، رقم الآية 38–39

([3]) البحر المحيط، للإمام أبو حيان الأندلسي (170/1) نظم الدرر للإمام البقاعي (302/1)، وروح المعاني للإمام الآلوسي(241/1)

([4]) سورة الأعراف، رقم الآية 56

صفة من صفات الرب، تبارك وتعالى، والصفة قائمة بالموصوف لا تفارقه؛ لأن الصفة لا تفارق موصوفها فإذا كانت قريبة من المحسنين فالموصوف تبارك وتعالى أولى بالقرب منه، بل قرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى من المحسنين... ففي حذف التاء ههنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة، وأن الله تعالى قريب من المحسنين، وذلك يستلزم القربين قربه وقرب رحمته ولو قال إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعالى منهم؛ لأنَّ قربه تعالى أخص من قرب رحمته والأعم لا يستلزم الأخص، بخلاف قربه؛ فإنَّه لما كان أخص استلزم الأعم، وهو قرب رحمته فلا تستهن بهذا المسلك، فإن له شأنا، وهو متضمن لسر بديع من أسرار الكتاب، وما أظن صاحب هذا المسلك قصد هذا المعنى ولا ألمَّ به، وإنَّما أراد أنَّ الإخبار عن قرب الله تعالى من المحسنين كاف عن الإخبار عن قرب رحمته منهم"[1]

فهذه إشارةٌ ظاهرةٌ إلى الاحتباك "تدلُّ على ما في القرآن الكريم من بلاغة الإيجاز التي هي سمة من سماته، فالرحمة صفة من صفات الرب، والصفة قائمة بالموصوف، وملازمة له لا تفارقه، فإذا كانت هذه الصفة قريبة من المحسنين، فالموصوف –وهو الله– أولى بالقرب. فالتعبير البديل (إن الله قريب من المحسنين، وإن رحمة الله قريبة من المحسنين)، ففيه جملتان مكونتان من مسند إليه ومسند (إن الله قريب)، (إنَّ رحمةَ الله قريبة)، بينما الآية القرآنية جملة واحدة (إنَّ رحمةَ الله قريب)، فاستغنى بخبر المحذوف (قريب)، وهو خبر عن لفظ الجلالة (الله) المحذوف، عن خبر الموجود (قريبة) وهى خبر عن (رحمة الله) المذكورة. وهذا ضرب من الإيجاز الذي امتاز به النظم في القرآن، يسمى الاحتباك" [2] فتحقق في قول ابن القيم بروز القول بالاحتباك؛ إذ ذكر أهمَّ خاصية من خواصِّ الاحتباك، وهي: الاستغناء عن أحد الأركان لدلالة الآخر عليه من كل طرف، وهذا ما كشف عنه بالتقدير للآية الكريمة، إلى جانب هذا فقد أشاد ابن القيم بِعِظَمِ ما يُحققه هذا اللون البلاغي من حسن وحبكة وإيجاز في النظم.

([1]) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)(ص272)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال بيروت الطبعة الأولى (1410 هـ). وبدائع الفوائد، أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، تقريظ وتقديم الدكتور وهبة الزحيلي،(27/3)حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه معروف مصطفى زريق ، وآخرون، دمشق دار الخير ، بدون طبعة، (1414هـ- 1994م)

([2]) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، ص92 .

12- الإمام السمين الحلبي[1]: (756هـ)

أشار الإمام السَّمينُ الحلبيُّ إلى هذا الحذف في (الدرِّ المصون في علوم الكتاب المكنون) في عدَّة مواضع التقى في أغلبها مع سابقيه، ولكن وجدت عنده إشارة إلى موضعين لم يتبين أنَّ أحدًا سبقه إلى القول فيها، وهما:

- يقول في قول الحق: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾في (إنْ) قولان، أحدهما: أنها شرطية وجوابُها محذوفٌ تقديرُه: إنْ كنتُمْ مؤمنينَ فلِمَ فَعَلْتُم ذلك، ويكونُ الشرط وجوابُه قد كُرِّر مرتين، فَحُذِفَ الشرطُ من الجملةِ الأولى وبقي جوابُه، وهو: فَلِمَ تقتلون، وحُذِفَ الجوابُ من الثانيةِ وبقي شرطُه، فقد حُذِفَ مِنْ كلٍّ واحدةٍ ما أُثْبت في الأخرى"[3] فهذا احتباك تحقَّق من خلال الإشارة إلى حذف الشرط (إنْ كُنتُم مُؤمِنين)؛ لدلالة الجواب عليه في الطرف الأول، وحذف الجواب: (فلم فعلتم ذلك)؛ لدلالة الجواب في الطرف الثاني.

- ويقول في قول الحق: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي* اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[4]

يقول:"وذكر المذهوب إليه في قوله: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ وحذفه في الأول في قوله: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ اختصارًا في الكلام، وقيل: أُمِرا أولاً بالذهابِ لعمومِ الناسِ، ثم ثانيًا لفرعون بخصوصه، وفيه بعد؛ بل الذهابان متوجهان لشيءٍ واحدٍ، وهو: فرعون، وقد حذف من كلٍ من الذهابين ما أثبته في الآخر: وذلك أنه حذف المذهوبَ إليه من الأول وأثبته في الثاني، وحذف المذهوبَ به، وهو (بِآيَاتِي) من الثاني وأثبته في الأول" [5] فهذا احتباك .

([1]) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: ولد(756 هـ-1355م)هو مفسر، عالم بالعربية والقرآت، شافعيّ، من أهل حلب، استقر واشتهر في القاهرة، من كتبه ((تفسير القرآن) عشرون جزءا، و(القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز - خ) الجزء الأول منه، و (الدر المصون - خ) في إعراب القرآن، مجلدان ضخمان، و(عمدة الحفاظ، في تفسير أشرف الألفاظ -خ) في غريب القرآن، منه تصوير ثلاثة أجزاء في 6 مجلدات، بجامعة الرياض كتب سنة 995 وكان في عشرين مجلدة رآها ابن حجر بخطه.الأعلام للزركلي(274/1)

([2]) سورة اليقرة، رقم الآية 91

([3]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)(517/1)،تحقيق: الدكتور أحمد مُحَمَّد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

([4]) سورة طه، رقم الآية42-43

([5]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)(42/8)

13-ابن عرفة:[1] (803هـ)

وقف ابن عرفة أمام هذا النوع من الحذف فأبان عنه مصطلحًا، ومفهومًا، وتقديرًا، وذلك في تفسيره الذي طبع منه إلى نهاية سورة البقرة، وأما باقي ذلك السفر فهو ما يزال مخطوطًا، أو في طور التحقيق-والله أعلم- والمهم في هذا أنَّ ابن عرفة عرف هذا الحذف، وأطلق عليه مصطلح: (حذف التقابل) وهو ما يسمى بالاحتباك .

فمن خلال الوقوف على ما قاله في تأويل بعض الآيات اتضح المفهوم لذلك المصطلح، أما التقدير له فهو جلي ظاهر فيما وقف عليه.

-يقول في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[2]: "فيه عندي حذف التقابل؛ لأنَّ التوبة لا تقابل العذاب وإنما تقابل المعصية فالتقدير: أو يتوب عليهم فيرحمهم، أو يدوموا على كفرهم فيعذبهم، فحذف من الأول نقيض ما ذكر في الثاني، ومن الثاني نقيض ما ذكر في الأول" [3] فهنا اتضح المصطلح لهذا الحذف مفهومًا، وتقديرًا.

14-الإمام أبو السعود: (951هـ)

أشار أبو السعود إلى هذا النوع من الحذف، في: **(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)** بإشارات التقى في بعضها مع سابقيه، والأخرى انفرد بها.

يقول في قول الحق: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[4] "ومقتضى الظاهرِ أن يقال: كما سألوا موسى؛ لأن المشبَّه هو المصدرُ من المبني

([1]) مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها،(716 - 803 هـ = 1316 - 1400 م) تولى إمامة، الجامع الأعظم سنة 750 هـ، وقدم لخطابته سنة 772 وللفتوى سنة 773، من كتبه (المختصر الكبير - ط) في فقه المالكية، و(المختصر الشامل - خ) في التوحيد، و(مختصر الفرائض - خ) و(المبسوط) في الفقه سبعة مجلدات، قال فيه السخاوي: شديد الغموض، و(الطرق الواضحة في عمل المناصحة - خ) و(الحدود - ط) في التعاريف الفقهية. ولمحمد بن قاسم الرصاع، كتاب (الهداية الكافية - ط) في سيرته ومسائله.الأعلام للزركلي(43/7).

([2]) سور آل عمران، رقم الآية 128

([3]) تفسير ابن عرفة، مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)(408/1)، تحقيق: جلال الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2008 م.

([4]) سورة البقرة، رقم الآية 108

للفاعل أعني سؤالية المخاطبين لا من المبني للمفعول، أعني مسؤوليةَ الرسول ﷺ وحتى يُشبَّه بمسؤولية موسى عليه السلام فلعله أريد التشبيهُ فيهما معًا، ولكنه أوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائليةَ، وفي جانب المشبَّه به المسؤولية، واكتُفي بما ذكر في كل موضع عما تُرك في الموضع الآخر ..." [1]. ذكر في الطرف الأول السائلية، وحذفها من الطرف الثاني، ثم ذكر في الطرف الثاني المسئولية، وحذفها من الطرف الأول، وهذا احتباك.

15- الإمام الآلوسي: (1270هـ)

أشار الإمام الآلوسي إلى الاحتباك في تفسيره **(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)**

-يقول في قول الحق: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[2] "...أو في الكلام صنعة الاحتباك، والأصل فالذين آمنوا وصدقوا بآياتنا وعملوا الصالحات في جنات النعيم، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا وعملوا السيئات فأولئك لهم عذاب مهين، خلاف الظاهر كما لا يخفى" [3]

16-مُحَمَّد رشيد رضا: (1354هـ).

أشار مُحَمَّد رشيد رضا في **(تفسيره المنار)** للاحتباك.

يقول في قول الحق: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾[4] " ولعل في الجملتين احتباكًا والتقدير: وما جعلناك عليهم حفيظًا تحفظ عليهم أعمالهم لتحاسبهم عليها، ولا وكيلاً تتولى أمورهم وتتصرف فيها، وما أنت عليهم بوكيل ولا حفيظ بملك ولا سيادة، أي ليس لك ما ذكر من الوصفين بأمرنا وحكمنا، ولا لك ذلك الفعل كما يكون نحوه لبعض الملوك بالقهر أو التراضي" [5]

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبو السعود (144/1)وما بعدها .

(2) سورة الحج، رقم الآية 56-57

(3) روح المعاني للإمام الآلوسي(187/17)

(4) سورة الأنعام، رقم الآية 107

(5) تفسير المنار، مُحَمَّد رشيد رضا (662/7)

الاحتباك في الدراسات البلاغية، والنقدية

لأصحاب الدراسات البلاغية والنَّقديَّة وقفاتٌ وإشاراتٌ إلى هذا النوع من الحذف، جاء أغلبها تعليقًا على كلام السابقين، وبعضها انفردوا بذكرها في مجالهم والبلاغي والنقدي، ولعل من أبرزهم:

1-المرزوقي:[1] (421هـ)

وردت عند المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة إشارة إلى حذف التقابل، وذلك عند بيانه لقول أبي عطاء السندي:

فإِنْ كَانَ سِحْرًا فاعْذِرِينِي على الْهَوَى وإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَكِ الْعُذْرُ

يقول: "إن كان ما بي سحرًا فلي عذرٌ في هواك، لأنَّ من يسحر يحبب، وإن كان داءً غيرَ السحر فالعذر لك، لأني وقعت فيه بتعرضي لك، وفكري في محاسنك، والدلالة على أن (فاعذريني) في موضع (فلي عذر)، ما قابله به من قوله: (فلك العذر)" [2] فصورة الاحتباك هنا تمثَّلت في كون المحذوف من الطرف الأول: (فلي عذر) لما دلَّ عليه من (فلك العذر)، ومن الطرف الثاني: (إن كان غير السِحْر)، لما دلَّ عليه من (إن كان سِحْرًا) .

2- السكاكي:[3] (626هـ)

أورد السكاكي في (مفتاح العلوم) شاهدًا، يقول فيه: "ومن الإيجاز قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4] أصل الكلام: خلطوا عملاً صالحًا بسيئ، وآخر سيئًا بصالحٍ؛ لأنَّ الخلط يستدعي مخلوطًا ومخلوطًا به، أي: تارة أطاعوا وأحبطوا

([1]) أحمد بن محمد بن الحسن، أبو علي المرزوقي: ولد (421 هـ = 000 - 1030 م) عالم بالأدب، من أهل أصبهان، كان معلم أبناء بني بُوَيْه فيها. من كتبه (الأزمنة والأمكنة - ط) مجلدان، و (شرح ديوان الحماسة ل أبي تمام ط) اربعة مجلدات، منه مخطوطة متقنة كتبت سنة 523 هـ في خزانة مغنيسا (الرقم 2751) و(شرح المفضليات - خ) و (الأمالي - خ) قطعة منه، و (القول في ألفاظ الشمول والعموم والفصل بينهما - ط) رسالة 1.الأعلام للزركلي(212/1).معجم المؤلفين(91/2).

([2]) شرح ديوان الحماسة، أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي، (58/1) نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الثانية(1387هـ-1967م)

([3]) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والأدب، مولده ووفاته بخوارزم (555 - 626 هـ = 1160 - 1229م). من كتبه " مفتاح العلوم - ط " و" رسالة في علم المناظرة - خ " 2(222/8) الأعلام للزركلي(222/8)

([4]) سورة التوبة، رقم الآية 102

الطاعة بكبيرة، وأخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة"[1]فتحقق من خلال التقدير بروز خاصية التقابل بين المعاني؛ إذ حُذِفَ من الأول: (بسيئ) لما دلَّ عليه في النظم ثانيًا، ومن الثاني: (بصالح) لما دلَّ عليه أولًا، وتأويل السكاكي يدخل في الاحتباك؛ لتحقق نسبة الأول إلى الثاني، والثالث إلى الرابع، والمهم في هذا الباب أن هذا النوع من الحذف برز عند السكاكي في هذا الموضع، ولم يصرح بالمصطلح له، وإنما اكتفى بتقديره، ووصفه بأنه من الإيجاز.

3- ابن أبي الإصبع المصري[2]: (654هـ)

أورد ابن أبي الإصبع إشارةً تمثَّلت في الكشف عن وجه التقدير، وذلك عند بيانه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾[3] يقول في باب التعطّف[4]: "وقد وقع التعطّف منها مقابلة معنويةٌ خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف، فإنَّ مقتضى البلاغة أن يكون تقدير ترتيب النظم: قل هل تربَّصون بنا إلَّا إحدى الحسنيين أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا فحذف -لتوخّي الإيجاز- تفسير الحسنيين من الجملة الأولى، وأثبت الثانية فرارًا من تكرار اللفظ وتكثيره، كما حذف الحسنيين من الجملة الثانية استغناء بذكرها أولًا طلبًا للاختصار..." [5] .

فصورة التَّقدير المشار إليها لم تكشف عما قاله: «حذف الحسنيين من الجملة الثانية استغناء بذكرها أولًا»، وبناء على هذا يكون التقدير على الأرجح: قل هل تربصون بنا إلَّا إحدى الحسنيين أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم، ونحن نتربص بكم إحدى الحسنيين أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا؛ لكونه

([1]) مفتاح العلوم، أبي يعقوب يوسف بن محمّد بن علي السكاكي، (ص392) حققه وقدم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (1420هـ-2000م) تبعه الإمام الزركشي في (البرهان) (130/3)وما بعدها، والإمام السيوطي في (الإتقان)(171/2)

([2]) هو عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصْبع العدوانيّ، البغدادي ثم المصري: شاعر، من العلماء بالأدب. مولده ووفاته بمصر (595 - 654 هـ = 1198 - 1256 م). له تصانيف حسنة، منها " بديع القرآن - ط " في أنواع البديع الواردة في الآيات الكريمة، و" تحرير التحبير - ط " و" الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح - خ " أي فواتح القرآن، منه نسخة في المكتبة العربية بدمشق و" البرهان في إعجاز القرآن - خ " في شستربتي (4255) و" المختارات - خ " أدب، في جامعة الرياض (156) 1. الأعلام للزركلي(30/4).

([3]) سورة التوبة، رقم الآية 52

([4]) «والتعطّف كالترديد في إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام، أو البيت من الشعر، والفرق بينهما قرب الكلمتين من الترديد، وكونهما في طرفي الجملة وفي كليهما، وهما في التعطّف مفترقتان ،كلّ لفظة منهما في طرف من الكلام». بديع القرآن المجيد، لإبن أبي الإصبع المصري(ت654)(ص97)، حفني محمّد شرف، الناشر نهضة مصر للنشر.

([5]) بديع القرآن المجيد، لإبن أبي الإصبع المصري(ت654)(ص97).

أكثر دقة من حيثُ الصياغة، فما قال به ابن أبي الأصبع لم يفصح تمامًا عما أشار إليه في كلامه، ثم إن هذا التقدير هو الأقرب إلى طبيعة حذف التقابل.

4-السجلماسي[1]: (704هـ)

كانت له جهودٌ متميزةٌ في الكشف عن هذا النوع من الحذف، وذلك في (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) فحدد له قانونًا معينًا نظر فيه إلى أهم خصائص الحذف، وأدقِّ ضوابطه[2] فسماه: (الحذف المقابلي)، أو(الاكتفاء بالمقابل)، يقول فيه: هو: "القول المركب من أجزاء فيه متناسبة، نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع، أوْ ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك، فاجتزئ من كل متناسبين بأحدهما لقطع الدلالة مما ذكر على ما ترك"[3] ثم أشار بما لهذا الحذف من قيم بلاغية معنوية تدل على دقة مسلكه، ولطف موقعه، وروعة إيجازه، وعِظم أثره في نفس سامعه، لهذا شرع في وصفه بألفاظ تقطر حلاوة هي خلاصة ما أحسه من جمال وقع هذا الأسلوب في نفسه، يقول: "هو من القول الجميل ذي الطلاوة والبهجة والماء والعذوبة، الجزل المقطع، الغريب المنزع، اللذيذ المسموع؛ لما بين أجزائه من الارتباط؛ لما للنفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النِّسَبِ الوُصَلِ بين الأشياء، ثم بإبراز ما في القوة من ذلك إلى الفعل، والشعور به، فذلك تَوفَّرَ عليه من المزية ما تراه يباين به سائر النظوم"[4] فالقاعدة المستخلصة تكمن في الاستحسان الذي هو ثمرة الطبع والدُّربَة؛ لأن الأريحية التي تجدها النفس مرجعها إلى ما وقع في الكلام من حذف.والملاحَظ أنَّ السجلماسي أورد عدَّة شواهد[5] للحذف المقابلي اتبع في تحليلها منهجًا واحدًا غلب عليها الفكر الفلسفي الرياضي.

([1])هو القاسم بن مُحَمَّد بن عبد العزيز الأنصاري، أبو مُحَمَّد السجلماسي: أديب. ولد ونشأ بسجلماسة(000 – بعد 704 هـ = 000 – بعد 1305 م)، ورحل إلى فاس فأخذ عن علمائها ودرّس في القرويين. وصنف " المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع – خ " أنجزه إملاء سنة 704 (4) الأعلام للزركلي(181/5)

([2]) مثل هذا يلحظ عند ابن البناء المراكشي الذي أوجز التعريف له بقانون رياضي دقيق: «يُكتفى في الأشياء المتناسبة بذكر الطرفين ويحذف الوسطان، فيكتفى بالمقدم من إحدى النسبتين، وبالتالي من الأخرى؛ لأن الطرفين حاصران للوسطين ويدلان عليهما لأجل ارتباط التناسب، والتي يُكتفى بمقدمتها ويُحذف تاليها وهي (الأولى أبدا) في مشاكلة التناسب وإن كانت مُتأخرة في الخطاب»، الروض المربع شرح زاد المستقنع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: 1051هـ)(ص143)ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبد القدوس مُحَمَّد نذير، الناشر: دار المؤيد – مؤسسة الرسالة.

([3]) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو مُحَمَّد القاسم السجلماسي (ص195)، تحقيق، علال الغازي، دار النشر: مكتبة المعارف الرباط 1980م.

([4]) الموضع السابق (ص195)

([5]) في خمسة مواضع من القرآن الكريم: وهي: البقرة(222)، هود(35)، الأنبياء(5)، النمل(12)، الأحزاب(24). ومن الشعر بيتًا واحدًا كثر الاستشهاد به على هذا النوع من الحذف ، وهو : (وَإِنِي لَتَعْرُونِي لِذكراكِ فَتْرَةٌ) . ومن النصوص : نقل نصين لسيبويه ، الأول : من(باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام

يقول في قول الحق: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾[1] "فهذا قول مركب من أجزاءٍ أربعة: نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع، غير أن بعضها متروك لقطع دلالة ما بقي عليه، وتقديره بردّ المحذوفات منه إلى التصريح: إن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم براءٌ منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون، فنسبة قوله: (فعليّ إجرامي) -وهو الأول- إلى قوله: (وعليكم إجرامكم) -وهو الثالث- كنسبة قوله: (وأنتم براء منه) -وهو الثاني- إلى قوله: (وأنا بريء مما تجرمون) -وهو الرابع- واجتزئ من كل متناسبين بأحدهما"[2] فكلامه هنا فيه إشارة واضحة لحذف التقابل؛ إذ فصَّل القول في بيان النسبة والتقدير معًا.

5-ويقول في قول أبي صخر الهذلي

وإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ فَتْرَةٌ كما انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ

"تقدير محذوفاته: (وإني لتعروني لذكراك فترة بعد انتفاضة كما انتفض العصفور بلله القطر ثم فَتَرَ) فنسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع، وهي نسبة طباق، وذلك أنه عَرَضَ لهذا النوع في هذه المادة ما عَرَضَ له في الآية المتقدمة الذكر-النمل- من مناسبة الطباق دون مناسبة النظير، فلذلك لم نَحفِل بها وأجرينا القانون على أكثرية وضعه. وإن حَمَلْنَا على نسبة النظير -وهي النسبة الأخرى- كانت نسبةُ الأول إلى الثاني كنسبة الثالث إلى الرابع، وهو المراد في توفية الفاعل -[أي : المصطلح]- بقولنا: أو ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك" [3]. وعلى حد قول السجلماسي ينعدم القول بحذف التقابل بناءً على قوله: (فنسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ، وهي نسبة طباق)؛ لعدم تحقق شرط المقابلة بين المذكور والمحذوف من كل طرف، وعليه يصبح المحذوف مقابلاً لمحذوف آخر (نسبة الثاني إلى الرابع)، والمذكور مقابل لمذكور آخر(نسبة الأول إلى الثالث).

والإيجاز والاختصار) ، والثاني : من(باب مجاري أواخر الكلام من العربية) . ومن الفلسفة والمنطق نقل لأرسطو من كتاب المقولات : (باب الثمانية المتفقة أسماؤها) . ينظر : المرجع السابق ، ص196وما بعدها .

([1]) سورة هود، رقم الآية 35

([2]) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي،(ص199). تبعه الإمام الزركشي في (البرهان)(129/3)، والإمام السيوطي في(الإتقان)(171/2)

([3]) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي، (ص198)

ويقول في قول أرسطو في صدر كتاب (المقولات) من كتاب (الثمانية المتفقة أسماؤها): "يقال: إنها التي الاسمُ فقط عامٌّ لها، فأمّا قولُ الجوهر الذي بحسب الاسم فمخالف تقديره –كما قيل– : (الأمورُ المتفقة أسماؤها يقال إنها التي الاسم فقط عامٌّ لها وواحدٌ بعينه، فأمّا قولُ الجوهر الذي بحسب الاسم فخاصٌّ ومخالف). فحذف من الثاني قوله: (خاصٌّ) وأَثبتَ مناسبَه في الأول وهو قوله: (عامٌّ)، وحذف من الأول قوله: (وواحدٌ بعينه) وأثبت مناسبه في الثاني وهو قولُه: (ومخالف)"[1] فتحقق حذف التقابل بين طرفي القول بنسبة الأول المذكور:(عام) إلى الثالث المحذوف: (خاص)، والثاني المحذوف: (وواحد بعينه) إلى الرابع المذكور: (مخالف) .

ويقول في قول سيبويه في بابٍ ترجمته: (هذا باب مجاري أواخر الكَلِمِ من العربية): "وإنما ذَكرتُ ثمانيةَ مَجَارٍ لأفرق بين ما يدخلُه ضربٌ من هذه الأربعة لِمَا يحدث فيها العاملُ وليس شيءٌ منها إلا وهو يزول عنه، وبين ما يُبْنَى عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه، والمعنى: أراد التفريق بين حرف الإعراب وحركته، وبين حرف البناء وحركته، فحذَفَ من الأول ما أَثبتَ في الثاني، ومن الثاني ما أَثبتَ في الأول، وكأنه قال: (لأُفرِّقَ بين الحرف الذي يدخله ضربٌ من هذه الأربعة وحركتِه، وبين الحركة التي يُبنى عليها الحرفُ وحرفِها) على نهج الحذف في هذا المنزع" [2] فحذف التقابل تمثل في كون المحذوف من الأول: (الحركة، أي: حركة الإعراب)؛ لدلالة ذكر حركة البناء في: (ما يُبْنَى عليه الحرفُ) في الطرف الثاني، ومن الثاني حذف: (حرف البناء، أي: تعريفة)؛ لدلالة ذكر تعريف الإعرب في: (لِمَا يحدث فيها العاملُ ...) في الطرف الأول، وهذا من قبيل حذف التقابل .

6– ابن البناء المراكشي[3]: (721هـ)

ذكر ابن البناء هذا النوع من الحذف في (الروض المريع في صناعة البديع) ضمن أقسام اللفظ من جهة دلالته على المعنى، في فصل: (الإيجاز والاختصار)؛ حيثُ قال: "وأما الإيجاز والاختصار فمنه ما يقال له الاكتفاء" [1]، وفيه عرض لمفهوم الاكتفاء ثُم أورد بعضًا من شواهده[2].

([1]) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي، ص199 وما بعدها.

([2]) المرجع السابق، (ص200)

([3]) هو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العددي، أبو العباس، ابن البناء: رياضيّ باحث، من أهل مراكش، مولدا ووفاة (654 – 721 هـ = 1256 – 1321 م) كان أبوه بناءاً، ونشأ هو منصرفا إلى العلم، فنبغ في علوم شتى. وانقطع مدة عن أكل ما فيه روح، وأصيب بحالة عصبية فحجب في بيته سنة وتعافى، له (حاشية على الكشاف) و (منتهى السلوك في علم الأصول) و(كليات) في المنطق و(شرحها) و(وكليات) في العربية و(المقالات – خ) في الحساب، و(اللوازم العقلية في مدارك العلوم) و(الروض المريع في صناعة البديع – خ) في الرباط.الأعلام للزركلي(222/1).معجم المؤلفين(253/5).

يقول في قول الحق: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3]: "نسبة داعي الذين كفروا كنسبة الذي ينعق بما لا يسمع إلى ما لا يسمع، فحذف مقدم الأولى وتالي الثانية، وليس ذلك من حذف الوَسطين، وأخذ الطرفين إن اعْتبرنا النسبتين على ما لُفِظَ بهما هنا، فوجب ردهما إلى مشاكلة التناسب فتكون: نسبة الذين كفروا إلى داعيهم، كنسبة ما لا يسمع إلى الذين ينعق به، فاكتفى بالطرفين: أحدهما، وهو الأول: الذين كفروا، والثاني، وهو الآخر: الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً، وجاءت التلاوة مُتقدم تناسُبًا، وتالي كل نسبة منهما مركبٌ فيه المقدم لأجل الألفاظ الإضافية، فهي نسبة مركبة، وإذا أبدلت المضمر في التالي بظاهره يتضح لك التركيب، وصورتها بسيطة هكذا: نسبة الذين كفروا إلى الداعي كنسبة ما لا يسمع إلا دعاء ونداء إلى الناعق" [4] فقوله: نسبة الذين كفروا إلى الداعي كنسبة ما لا يسمع إلا دعاء ونداء إلى الناعق) يكشف عن صورة حذف التقابل؛ إذ تحقق فيه شرط التقابل بين المحذوفين والمذكورين من كل طرف .

7- ابن يوسف الأندلسي[5]: (779هـ)

ذكر ابن يوسف الأندلسي هذا النوع من الحذف بمصطلح (الاحتباك) في أثناء شرحه لبيت من أبيات صاحبه شمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن جابر الأندلسي الذي نظمه في مدح خير الورى مُحَمَّد ﷺ، مستشهدًا بهذا البيت على فن من فنون البديع، وهو: (الجمع) [6] يقول الناظم -ابن جابر- :

قد أحْرَزَ الْبأْسَ والإحسانَ في نَسَقٍ والعِلْمَ والحِلْمَ قَبْلَ الدَّرْكِ لِلْحُلُمِ

([1]) الروض المربع شرح زاد المستقنع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (ص143)

([2]) في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وهي: البقرة:(171)، الأنبياء:(5)، الشعراء:(63)، القصص:(32) إلى جانب الشاهد الشعري المشهور في حذف التقابل : (وإني لتعروني...) . أنظر : الموضع السابق، ص143 وما بعدها .

([3]) سورة البقرة، رقم الآية 171

([4]) الروض المربع شرح زاد المستقنع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى، (ص144)وما بعدها تبعه الإمام السيوطي في (الإتقان)(170/2)

([5]) هو مُحَمَّد بن يوسف بن يوسف بن أحمد ابن معاذ الجهني الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، هو عالم بالقراءات، من تصنيفه: البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان بن عفان-خ في بروسة وروضة خيري مات بمصر.الأعلام للزركلي(148/7).

([6]) الجمع هو : «أن يجمع متعددًا في حكم واحد». أنظر: التبيان في البيان، الحسين بن مُحَمَّد بن عبد الله الطيبي (ص 331)، تحقيق ودراسة د. عبد الستار حسين ذموط، دار الجيل- بيروت.

حوى هذا البيت نوعًا من أنواع الحذف الذي أطلق عليه احتباك، وأشار ابن يوسف –الشارح– إلى بيان كيفية وقوعه في الكلام، فقال: "في البيت جملتان: الأولى: (قد أحرز البأس والإحسان في نسق)، وحذف منها، (قبل الدرك للحلم)، والثانية: (وأحرز العلم والحلم قبل الدرك للحلم)، وحذف منه، (في نسق) فهو من باب ما حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، وحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول، (ففي نسق) الظاهر يتعلق (بأحرز) الظاهر وقبل (الدرك للحلم) يتعلق(بأحرز) المحذوف، ولكل منهما متعلق محذوف. (فأحرز) الظاهر متعلقه المحذوف (قبل الدرك للحلم) و(أحرز) المضمر متعلقه المحذوف (في نسق)" [1]

فبعد أن أوضح الشاهد الذي من أجله سيق الكلام –الجمع– ذكر ما تضمنه البيت من فنون الجمال ولمسات البديع، فقال: "...قلت وفيه أيضًا لقب غريب من ألقاب البديع، يقال له الاحتباك، وهو عزيز عندهم، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ويحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول" [2]

– أشار إلى أنه تتبعه في الكتاب العزيز فوجده يكمن في مواضع قليلة[3]، ومن أهم المواضع التي انفرد بالإشارة إليها من بين البلاغيين قوله: ﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا* مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا* وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[4] "فإن (أَنْذَرَ) يتعدى لمفعولين، فذكر في الأول الالمفعول الثاني، وهو: (بأسًا شديدًا) فحذف منه المفعول الأول، وهو: (الذين قالوا: (اتخذ الله ولدًا)؛ لذكره في الثاني، وحذف من الثاني المفعول الثاني، وهو: (بأسًا شديدًا)؛ لذكره في الأول" [5] فتحققت خاصية التماثل واضحة بين أركان الاحتباك.

8– الإمام السيوطي: (911هـ)

([1]) طراز الحلة وشفاء الغلة، لأبي جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطس(ت779هـ) تحقيق رجاء السيد الجوهري، (ص507) الناشر: مؤسسة الثقافة الجامعية اسكندرية 1990.

([2]) المرجع السابق، (ص508)

([3]) هي: البقرة: (171)، الكهف: (2–4)، النمل: (12)، طه: (22)، الشاهد المشهور في باب الاحتباك: (وإني لتعروني...). أنظر: المرجع السابق، (ص509)وما بعدها.

([4]) سورة الكهف، رقم الآية 2–4

([5]) طراز الحلة وشفاء الغلة، لأبي جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطس(ت779هـ)(ص508)

إنَّ الإشارة إلى الاحتباك عند الإمام السيوطي لا تختلف كثيرًا عما ورد عند سابقيه في بعض المواضع[1]، فهو كثيرًا ما يفرد هذا الفن بالتصنيف في كتب[2] له عديدة، أهمها: الإتقان في علوم القرآن، ويلحظ:

– تفرد في دقة الربط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، فما فعله الإمام السيوطي يوحي بجمال وروعة الربط؛ وذلك بما أودعه فيه من معنى معنوي مغزاه يدركه البصير العارف بجواهر الكلام.

فكيف شبهت مواضع الحذف في الكلام بالفرج بين الخيوط المنسوجة في الثوب؟ وما مغزى المقابلة اللطيفة بين(حبك الثوب)، و(حبك الكلام) المؤدية إلى الحسن الذي يمنع عن كليهما الخلل مع الحسن والرونق؟ فالأولى متمثلة في سد ما بين الخيوط من الفرج، والثانية في التقدير الموجز الدقيق.

– يقول: "هذا النوع من زيادتي[3] وهو نوع لطيف، ولم نر أحدًا ذكره من أهل المعاني والبديع..." [4] وفي موضع آخر يقول:

"قلت ومنه الاحتباك يختصر من شقي الجملة ضد ما ذكر

وهو لطيف راق للمقتبس بينه ابن يوسف الأندلسي

هذه الأبيات وما بعدها إلى القسم الثاني كلها من زيادتي—[أي:السيوطي]– فمن أنواع البديع الاحتباك..." [5] فلو حمل هذا على أنه أول من قال في هذا الفن لناقض الرجل نفسه بنفسه، كيف يصح وهو الذي أشار في عدة مواضع –إلى الاحتباك– فقال:"قل من نبه عليه من أهل البلاغة"، وتارة يقول: "لم أره إلَّا في شرح

([1]) هي: البقرة: (171)، (222)، (257)، آل عمران: (13)، التوبة: (102)، هود: (35)، النمل: (12)، الأحزاب: (24)، الإنسان: (13). أنظر: الإتقان (170/2)وما بعدها، والتحبير في علوم التفسير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ص282)حققه وقدم له ووضع فهارسه: فتحي عبد القادر فريد، الرياض، دار العلوم بدون طبعة، (1402هـ-1982م).

([2]) أنظر: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، بدون طبعة، (ص133)وما بعدها، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (323/1)، والتحبير في علوم التفسير، (ص 282)وما بعدها.

([3]) لا يريد الإمام السيوطي أنه مخترع القول فيه، بل يشير إلى أنه الذي عده من فنون البديع وصرح به في منظومة، وابن جابر الأندلسي لم يسمه ولم يصرح به في منظومته البديعية، وهذا شأنه فيما يقول: «وهو من زيادتي»، فهو لا يدعي اختراع القول فيه .

([4]) التحبير في علوم التفسير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ص282)وما بعدها .

([5]) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت 911)(ص133)، دار الفكر بيروت لبنان.

بديعية الأعمى لرفيقة الأندلسي"[1]، وتارة يقول: "ذكره الزركشي في البرهان"، وأخيرًا يقول: "أفرده بالتصنيف من أهل العصر برهان الدين البقاعي" [2]، فالوجه أنه من زيادته في النَّص على إدخاله في فنون البديع، وليس من زيادته بأنه أول من قال به، فهو أجلُّ عندي من أن يزعم ذلك .

أمّا ما انفرد بذكره من شواهد الاحتباك فقول الحق: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3]: "والتقدير هنا: الله ولي الذين آمنوا وهم أصحاب الجنة، والذين كفروا ليس الله لهم بمولى وأولئك أصحاب النار، فحذف من الأولى ما أثبت نظيره في الأخرى" [4] فلم يتبين لي أن أحدًا سبقه إلى القول فيه.

9- عبدالرحيم العباسي: (963هـ)

أورد العباسي إشارة يصح حملها على الاحتباك، وذلك في (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص)، يقول في بيان قول الشاعر الحارث بن حلزة:

عِيشِي[5] بِجِدٍّ لا يَضِرْ كِ النَّوْكُ[6]ما لاقَيتِ جِدًّا
والعَيْشُ خَيْرٌ في ظِلا ل النَّوْكِ ممَّن عاش كَدَّا

"والشاهد فيه: الإخلال –إخلال اللفظ بالمعنى المراد–؛ لكونه غير واف بالمراد؛ إذ أصل مراده: أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل، ولفظه غير وافٍ بذلك" [1] فقوله: (في ظلال النوك) دلَّ على (ظلال العقل)، و(العيش الكد) دلَّ على (العيش الناعم) .

([1]) اسمها الصحيح (شرح بديعية العميان المسماة الحلة السيرا في مدح خير الورى) لشمس الدين مُحَمَّد بن جابر الأندلسي، ورفيقه المقصود هو الإمام شهاب الدين أبو جعفر الأندلسي الغرناطي، حيث وجد في مقدمة المخطوطة ما نصه، "وفيه شرح لخمسين بيتا يظهر أنه كتب في حياة الناظم والشارح الذي مات قبل رفيقه بسنة واحدة."

([2]) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) (61/2) تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1394هـ/ 1974 م)

([3])سورة البقرة، رقم الآية 257

([4]) التحبير في علوم التفسير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ص282) –هامش رقم : (1)

([5]) وورد في الديوان :

فانْعَمْ بجَدٍ لا يَضِرْ كَ النُّوْكُ ما أُعْطِيتَ جَدّا
فالنُّوكُ خيرٌ في ظِلا لِ العَيْشِ مِمَّنْ عَاشَ كَدَّا

أنظر: ديوان الحارث بن حلزة بن مكروه،(16/1) تحقيق طلال حرب، بيروت، دار صادر، بدون طبعة، (1417هـ1996م)

([6]) أي : الحمق . أنظر : لسان العرب، مادة : (ن،و،ك)(501/10)

الباب الثاني: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني. وفيه أربعة فصول.

الفصل الأول: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام)

الفصل الثاني: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الأعراف إلى نهاية سورة الكهف)

الفصل الثالث: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة مريم إلى نهاية سورة الزمر)

الفصل الرابع: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الغافر إلى نهاية سورة الناس)

([1]) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم أحمد العباسي،(308/1) حققه وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت دار الكتب، بدون طبعة، (1367هـ-1947م)

الفصل الأول

مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الفاتحة

الموضع الأول:

قال الله تعالى في سورة الفاتحة:﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[1][2]

نص ما قاله المؤلف

"قال بعضهم في الآية حذف والتقدير غير صراط المغضوب عليهم، ووردا لليهود والنصارى جميعا على الخصوص كما ذكره المستدل وإنما قدم سبحانه المغضوب عليهم على الضالين–مع أن الضلال في بادىء النظر سبب للغضب إذ يقال ضل فغضب عليه–لتقدم زمان المغضوب عليهم وهم اليهود على زمان الضالين وهم النصارى أو لأن الإنعام يقابل بالانتقام ولا يقابل بالضلال فبينهما تقابل معنوي بناء على أن الأول إيصال الخير إلى المنعم عليه والثاني إيصال الشر إلى المغضوب عليه أو لأن اليهود أشد في الكفر والعناد وأعظم في الخبث والفساد ﴿وأَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[3] ولذا ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وورد في الحديث «من لم يكن عنده صدقة فليلعن اليهود»

والنصارى دون ذلك وأقرب للإسلام منهم ولذا وصفوا بالضلال لأن الضال قد يهتدي، ومما يدل على أن اليهود أسوأ حالا من النصارى أنهم كفروا بنبيين مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلّم وعيسى عليه السلام والنصارى كفروا بنبي واحد وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضائحهم وفظائعهم أكثر مما عند النصارى، وقول النصارى بالتثليث ليس أفظع من قول اليهود إن الله فقير ونحن أغنياء وقولهم﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[4] وقولهم عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ فمن زعم أن النصارى أسوأ حالا متوكئا على ما في دلائل الأسرار لم يعرف أسرار الدلائل وهي بعد

([1]) سورة الفاتحة، رقم الآية7

([2]) ((المغضوب عليهم الذين ظهر منهم المراغمة، وتعمد المخالفة، فيوجب ذلك الغضب من الأعلى، والبغض من الأدنى، والضالين الذين وجهوا وجهة الهدى فزاغوا عنها من غير تعمد ذلك)) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، الحرالي أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي (ص151)

([3]) سورة المائدة، رقم الآية 82

([4]) سورة المائدة، رقم الآية 64

العيوق عنه وليست المسألة من الفروع ليكتفي مثلنا فيها بالتقليد المحض لا سيما وفضل الله تعالى ليس بمقصور على البعض"[1]

الدراسة والتحليل

نجد في هذه الآية شبه الاحتباك، والإمام الآلوسي يذكر جملة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بدل من الصراط المستقيم، ولم يقل: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم مستغنياً عن ذكر الصراط المستقيم، ليدل أن صراط هؤلاء المنعم عليهم هو الصراط المستقيم،و﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ تعليم لأدب جميل، وهو أن الإنسان يجمل به أن يسند أفعال الإحسان إلى الله تعالى، ويتحامى أن يسند إليه أفعال العقاب والابتلاء، وإن كان كل من الإحسان والعقاب صادراً منه، وهو أن كلا الفريقين نال حظاً من الوصفين إلا أن تعليق كل وصف على الفريق الذي علق عليه يرشد إلى أن الموصوفين بالضالين هم دون المغضوب عليهم في الظلال، فالمراد المغضوب عليهم غضباً شديداً، لأن ظلالهم شنيع، فاليهود مثل للفريق الأول، والنصارى من جملة الفريق الثاني[2] وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

غير المغضوب عليهم من اليهود ولا الضالين من النصارى

وسره أن ذلك أدل على تحقق أنهم قسمان: قسم أريد للشقاوة، فعاند في إخلاله بالعمل، فاستوجب الغضب، وقسم لم يرد للسعادة، فضل من جهة إخلاله بالعلم، فصار إلى العطب[3] ففي الحذف إشارة توجب السعى إلى الإيمان رجاء في فيض الرحمانية، وخوفاً من شدة الغضب.

فالقول بشبه الاحتباك ذو اعتلاق بالغ بدلالة السياق، لما تحقق فيه من بروز مظاهر الإنعام المطلق في الهداية إلى الصراط؛ لأنه لا يضل بمهتديه لإحاطته وشمول سريانه[4]لهذا فالقول بالحذف على نسق شبه الاحتباك ذو أثر بالعناية بالتصعيد الإيماني المقتضي إثبات استحقاق الله لجميع صفات الكمال والجلال المستلزم صرف

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(98/1)

([2]) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور(199/1)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(40/1)

([4]) أنظر: تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، أبو الحسن على بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي(ص150)

العبادة له، وهذا أصل على من أعظم أصول العقيدة الصحيحة الساعة لإقامة التوحيد[1] فثبت بالحذف إعلام البشر بحسن التزام طريق الفائزين، إيماء إلى أن الإسلام واضح الحجة قويم المحجة لا يهوى أهله إلى هوة الظلالة، وتقبيح لزوم طريق الهالكين من المغضوب عليهم والضالين، فاليهود تمردوا على أنبياءهم وأحبارهم، وبدلوا الشريعة عمداً فلزمهم وصف المغضوب عليهم، والنصارى ضلوا بعد الحواريين وأساؤا فهم معنى التقديس في عيسى، فزعموه ابن الله على الحقيقة[2] ففي تبصر دلالة الخطاب إشارات عظمى تعلى من شأن التمسك بسلوك الطريق الهدى، والصراط الأكمل، وهو المحيط المركب على الظلال الذي يعبر به عن حال من لا وجهة له، وهو ظلال ممدوح؛ لأنه يكون عن سلامة الفطرة؛ لأن من لا علم له بوجهة، فحقه الوقوف عن كل وجهة، فهو ظلال مذموم؛ لأنه ظلال بعد هدى، وهو يكون عن اعوجاج في الجبلة[3]

مواضع الاحتياك وأثره في سورة البقرة

الموضع الأول:

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[4]

نص ما قاله المؤلف

وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا لم يقل سبحانه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليقابل سابقه لما في هذا من المبالغة في ذمهم واتنبيه بأحسن وجه على كمال جهلهم لأن الإستفهام إما لعدم العلم أو للإنكار وكل منهما يدل على الجهل دلالة واضحة ومن قال للمسك أين الشذا يكذبه ريحه الطيب قيل : ولم يقل سبحانه هناك وأما الذين آمنوا فيقولون إلخ إشارة إلى أن المؤمنين أكتفوا بالخضوع والطاعة من غير

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(21/1)

([2]) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور(200/1)

([3]) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، الحرالي أبو الحسن على بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي(ص151)

([4]) سورة البقرة، رقم الآية 26

حاجة إلى التكلم والكافرون لخبثهم وعنادهم لا يطيقون الأسرار لأنه كأخفاء الجمر في الحلفاء وقيل: إن يقولون لا يدل صريحا على العلم وهو المقصود والكافرون منهم الجاهل والمعاند فيقولون إلخ أشمل وأجمع[1]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، والإمام الآلوسي يوافق مع المفسرين المتقدمين في إبراز جانب الاحتباك في الآية، فهو يذكر الاحتباك بدون اسم ولكن توضيحه يبرز الوجه البلاغي على أحسن وجه، ففي قول الحقﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ذكر العلم أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً، والاعتراض ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(فيقولون آمنا به كل من عند ربنا)؛ لدلالة ذكر﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(جهلوا عنه)؛ لدلالة ذكر﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ في الطرف الأول، فيكون تقدير الآية الكريمة:

فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم، فيقولون إذعاناً وتسليماً، آمنا به كلٌ من عند ربنا،

وأما الذين كفروا وجهلوا عنه، فيقولون اعتراضاً واستهزاءً، ماذا أراد الله بهذا مثلا[2]

وسره أنه ذكر ما يشرف أهل الإيمان للإيمان بالله في العلم الخالص، ترغيباً في الاتباع، وحقارة أهل الكفر، لكفرهم بالله في الاعتراض- مع حقيقة العلم بلأنهم خلاف الصواب، وهذا أنكأ وأبشع ما يكون منهم – ترهيباً.

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إظهار حقيقة استكبار الكافرين عن قبول الحق والاعتراف به، حيث زعموا أن الله أجل وأعظم من أن يضرب المثل بما هو حقير، تشكيكا في صدق نبوة مُحَمَّدﷺ، وهذا كامن في تساؤلهم الناتج عما طوي من جهلهم ونقصهم في معرفة الدين الحق، في مقابل إظهار حقيقة العلم المقتضي العبودية الخالصة لله؛ لكونها الأساس الصحيح لكل متبع يدرك طريق الحق، فإذا تحقق العلم الخالص بأنه حق حصل الإيمان، بصدق النبوة المحمدية، فالناتج من وراء القول بالاحتباك: المقابلة بين المؤمنين

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(206/1)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(205/1)

والكافرين؛ لكون الناس أمام هذا المثل نوعين: مؤمنين بكل ما أنزل الله، لهذا لم يعترضوا، والكافرين موقفهم الطعن في سلامة هذه الامثال والسخرية منها، اعترضوا قائلين: ماذا أراد الله بهذا مثلا[1] ثم إن في الحذف أسراراً منها: أن في المبادرة إلى قبول دعوة الحق وعدم الإعراض تأكيداً لرسوخ الإيمان في القلب، "لما كان الذين آمنوا ممن بادر فأجاب، وكان ضرب المثل تأكيد دعوةٍ وموعظةٍ لمن حصل منه توقف حصل للذين آمنوا استبصاراً بنور الإيمان في ضرب المثل، فصاروا عالمين بموقع الحق فيه، وكما استبصر فيه الذين آمنوا استغلق معناه على الذين كفروا وجهلوه، فاستفهموا عنه استفهام إنكار لموقعه"[2] وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علاقات ربط بين المعنى ترشد العقول إلى إدامة النظر وإمعان الفكر في التدبر والتأمل في حقيقة ضرب المثل، ففيه اختبارٌ من الله لهم؛ ليميز به أهل الإيمان والتصديق من أهل الضلال والكفر[3]، ثم إن في ذلك دلالة على إحاطة علم الله وكماله في كل شيء، فإنه بقدر علو المثل دنوه أو توسطه يتزايد للمؤمن الإيمان، وللعالم العلم، وللفاهم الفهم، وبضد ذلك لمن اتصف بأضداد تلك الأوصاف[4]، وفي تبصر دلالة الخطاب إشارات تعلي من شأن الاحتباك، منها: التعبير بصيغة المضارع﴿فَيَقُولُونَ﴾؛ لدلالة على أن هذا القول دأبهم وعادتهم، ولو قيل: (فقالوا) لاحتمل اللفظ أنهم قالوا هذا القول مرة واحدة، وهذا لا يطابق الواقع من عنادهم الذي يواجهون به الحق مرات ومرات[5]، ثم الاستفهام في: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾للتنبيه بادعاء أنه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بأن يتعلق به أمرٌ من الأمور الداخلة تحت إرادته تعالى، على استحالة أن يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه[6]

الموضع الثاني:

([1]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (180/1) وما بعدها بتصرف

([2]) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، الحرالي أبو الحسن على بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي (ص178)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(205/1) وما بعدها

([3]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (181/1)

([4]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(205/1) وما بعدها

([5]) أنظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د. عبد العظيم ابراهيم المطعني(42/1)، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة(1432هـ-2011م)

([6]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (74/1)

قال الله تعالى في سورة البقرة:﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

ومن البديع ما ذكره بعضهم أنَّ في الآية نوعاً من الحذف يقال له الاحتباك[2]

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً، ونعلم أن هذه الآية واحدة من الآيات التي تخاطب آدم-عليه السلام-بعد خروجه من الجنة، وفيها بين الله -ﷻ-أنه سوف يبعث إليهم رسلاً، فينقسمون قسمين، **الأول**: متبعٌ للرسل وهم (المؤمنون)، **والثاني** كافر لا يتبع، والفريق الأول لا يلحقه خوفٌ ولا حزن يوم القيامة وهم في الجنات خالدون، أما الثاني فيلحقهم الخوف والحزن، وهم في النار خالدون. ولم تأت المقابلة في الآية بين ألفاظٍ متشابهة، فلم يقل (أولئك يلحقهم الخوف والحزن في مقابل المؤمنين الذين(لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)، ولا (أولئك هم أصحاب الجنة هم فيها خالدون) في مقابل (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)، بل أوثر في الآية استعمال واحدة من هاتين وواحدة من هاتين، فحذف من الأولى عنصراً ومن الثانية عنصراً فقال: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ..... أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قال الإمام أبو حيان: (فيفهم أن من اتبع الهدى هم أصحاب الجنة، وكان التقسيم يقتضي أن من اتبع الهدى لا خوف ولا حزن يلحقه، وهو صاحب الجنة، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن، وهو صاحب النار، فكأنه حذف من الجملة الأولى شيئاً أثبت نظيره في الجملة الثانية، ومن الثانية شيئاً أثبت نظيره في الجملة الأولى)[3] أما **الإمام البقاعي** رحمه الله فقال: (فالآية من الاحتباك، انتفاء الخوف والحزن من الأول دال

([1]) سورة البقرة، رقم الآية 38-39

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (241/1)

([3]) البحر المحيط، للإمام أبو حيان الأندلسي (324/1)

على وجودهما في الثاني، ووجود النار في الثاني دال على انتفائها ووجود الجنة في الأول) وعلى ما سبق يكون تقدير الآية الكريمة:

فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وهم في الجنة خالدون والذين كفروا

وكذبوا بآياتنا يلحقهم الخوف والحزن وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

ويزيد **الإمام البقاعي** احتباكاً آخر بقوله: (إثبات إتباع الهدى في الأول يدل على إنتفائه في الثاني، وإثبات الكفر في الثاني دال على حذف الأيمان من الأول)[1] وعلى هذا القول يكون تقدير الآية:

فمن تبع هداي فأولئك هم المؤمنون ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولم يتبعوا الهدى أولئك هم أصحاب النار

وجاء النظم الكريم بنفي ذكر عدم الخوف والحزن لمن يتبع الهدى في قوله تعالى﴿... فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذه إشارة إلى أن الحياة التي هم فيها حياة زائلة، وأن الآخرة هي الباقية، فمن يتبع لا خوفٌ عليه ولا حزن يلحقه في الآخرة، وذكر﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ تشنيعاً لحال الضلالة وإظهاراً لفضاعة قبحها، ولبيان أنهم يعملهم هذا استحقوا العذاب، فضلاً عما أفادته الآية من الإيجاز والاختصار،كما أُثر استعمال (الذين كفروا) بدلاً من (لم يتبع) في مقابل(من يتبع)في الأول، وذلك لأنَّ من لم يتبع الهدى يشمل من لم تبلغه الدعوة، وغير المكلفين من الصبيان وفاقدي العقل، وهؤلاء ليسوا أصحاب النار، فجاء قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾على قدر من يستحقون الحكم عليهم بأنهم أصحاب النار والمجازاة بالعذاب الأليم، بسبب تكذيبهم بالآيات البينات مع صحة وسلامة عقولهم[2]

وقدم انتفاء الخوف على انتفاء الحزن(لأن زوال ما لا ينبغي مقدم على طلب ما ينبغي)[3] ولأنَّ انتفاء الخوف فيما هو آت أكثر من انتفاء الحزن على ما فات[4] ولأن الخوف إن بقي يزداد بمرور الزمان وهو

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (302/1)

([2]) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي(103/1)، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، الطبعة الأولى1997.

([3]) أنظر: التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي(29/3)

([4]) أنظر: البحر المحيط للإمام أبو حيان الأندلسي (323/1)

أشد من الحزن ولهذا قدم[1] ولذلك صدرت هذه الجملة بالنكرة التي هي أوغل في باب النفي، وقدم الضمير على (يحزنون) إشارة إلى اختصاصهم بانتفاء الحزن وأنَّ غيرهم يحزن[2]

وجاء قوله تعالى:﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾كناية عن الاستيلاء والاحاطة، ونزل منزلة ونفى كونه معتلياً مستولياً عليهم، وفي هذا إشارة لطيفة، وهي أن الخوف لا ينتفي بالكلية، ولا يلزم من استعلاء الخوف انتفاء الخوف في كل حال، فمثلاً أحوال القيامة تخيف الناس كلهم، ولا دليل في هذه الآية على نفي الخوف من أهوالها للمؤمنين[3]وفي إيراد الاسم الموصول بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، للإشعار بكثرة الكفرة، وكذلك في إيراد نون العظمة (نا) في قول (بآياتنا) للتعظيم ولتربية المهابة في النفوس، وإدخال الروعة، وفي إضافة الآيات إليه عزوجل لإظهار كمال القبح التكذيب بها[4]

الموضع الثالث

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[5]

نص ما قاله المؤلف

فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما أثبت في الأخرى على طريق الاحتباك[6]

التحليل والدراسة

بين الإمام الآلوسي الاحتباك وصورته كذا حيث حذف الشرط الأول، والتقدير: إن كنتم مؤمنين فلم تقتلون أنبياء الله؟ والجواب الأخير، والتقدير: إن كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم؟

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(229/1)

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(240/1)

([3]) أنظر: البحر المحيط للإمام أبو حيان الأندلسي(323/1)

([4]) أنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود(124/1)

([5]) سورة البقرة، رقم الآية 91

([6]) روح المعاني للإمام الآلوسي(325/1)

ففي قول الحق ﷻ: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الاحتباك، "حذف من الأول الشرط ومن الثاني الجواب"[1] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (إن كنتم مؤمنين) فعل الشرط؛ لدلالة ذكر﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(فلم تقتلوهم) جواب الشرط؛ لدلالة ذكر﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾في الطرف الأول. فيكون التقدير الآية الكريمة:

إن كنتم مؤمنين فلم تقتلون أنبياء الله من قبل فإن كنتم مؤمنين فلم تقتلوهم؟

وسره أن ذلك أدل على تحقق التحذير والشدة في التهويل لهؤلاء من سوء الصنيع، فقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ "فيه إشعار بأن مثل ذلك لا يصدر من متلبس بالإيمان"[2]

فطبيعة الاحتباك أسهمت بأثر فاعل في محاولة إبعاد الشرك عن النفوس البشرية من خلال إيضاح حال المعرضين عن قبول الحق ترهيبا من الرضا بأفعال أسلافهم الموجبة خروجهم عن دائرة الإيمان والدعوة إلى الله، وهذا ما أرشد إليه السياق العام الساعي إلى إثبات أصول العقيدة وإنماؤها في النفوس ترغيباً في الإيمان بالغيب؛ لكونه الركن الأعظم الأدل على تحقق صدق التوحيد. فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في المعاني الجوهرية،

الأول: "إن كنتم –يا معشر اليهود– مؤمنين بما أنزل الله عليكم فلم تقتلون أنبياءه، وقد حرم في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم، بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم"[3] **والثاني**: في إن كنتم معتقدين الإيمان فلم رضيتم بقتل الأنبياء" فبالركنين المذكورين نتج قبح فعلهم الصادر عن اتباعهم الهوى، فتحقق انتفاء ما كان يدعونه من الإيمان في قولهم: "نؤمن بما أنزل علينا"[4] وبالمحذوفين نتج ترغيب الكفار في التخلى عن الشرك من خلال تقبيح حال أسلافهم في فعلهم، فاتضحت لهم أسباب الوقوع في الشرك؛ لإرشادهم إلا عن طريق المؤمنين الإيمان بالله واتباع رسوله، ففي علائق الربط بين المعاني دلالات عظام أضافت إلى النظم معاني ذات حسن تمثلت في إنعام البشر حقيقة جهل اليهود والكافرين في خروجهم عن الدين والكفر بالرسل، فسوء جرمهم جرهم إلى استحقاق العذاب، وهو: أن في الرضا بما عليه الأسلاف من الكفر بالأنبياء والتكذيب بهم يعد كفراً بهم وقتلاً لهم[5] كما تحقق إقناع الكافرين بالعدول عن ما كان عليه الأسلاف،

([1]) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، (205/2)، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، دار النشر: دار صادر بيروت، عدد الأجزاء : 8

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(50/2)

([3]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري (419/1)

([4]) الجامع لأحكام القرآن الكريم، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (30/2)

([5]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي(361/1)

وذلك ب إلزام الحاضرين بما فعله أسلافهم؛ لأنهم يروهم على حق فيما فعلوا من قتل الأنبياء،[1] فثبت توجيههم إلى الإيمان باستشعار عظم الذنب.

الموضع الرابع

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ الإشارة إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأولاده و– الأمة – أتت بمعان، والمراد بها هنا الجماعة من أمّ بمعنى قصد، وسميت كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان بذلك لأنهم يوم بعضهم بعضا ويقصده، و– الخلو – المضي وأصله الانفراد.

لَها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ استئناف، أو بدل من قوله تعالى: خَلَتْ لأنها بمعنى لا تشاركونهم وهي كغير الوافية وهذه وافية بتمام المراد، أو الأولى صفة أخرى – لأمة – أو حال من ضمير خَلَتْ والثانية جملة مبتدأة ، إذ لا رابط فيها ولا مقارنة في الزمان، وفي الكلام مضاف محذوف بقرينة المقام، أي لكل أجر عمله، وتقديم المسند لقصر المسند إليه على المسند، والمعنى أن انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم، وإنما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم ولك أن تحمل الجملة الأولى على معنى – لها ما كسبته – لا يتخطاها إلى غيرها، والثانية على معنى ولكم ما كسبتموه – لا ما كسبه غيرهم – فيختلف القصران لاقتضاء المقام ذلك[3]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية خطاب موجه إلى اليهود أي لا ينفعكم صلاح آبائكم إذا كنتم غير متبعين طريقتهم، فقول الله (لها ما كسبت) تمهيد لقوله(ولكم ما كسبتم)إذ هو المقصود من الكلام، والمراد بما كسبت وبما كسبتم ثواب الأعمال بدليل التعبير فيه ب (لها ولكم)، ولك أن تجعل الكلام من نوع الاحتباك والتقرير لها ما كسبت وعليكم ما كسبتم أي إثمه[4] فالمحذوف من الطرف الأول (عليكم ما كسبتم)؛ لذكر ﴿وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ﴾في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (عليها ما كسبت) للذكر ﴿لَها ما كَسَبَتْ﴾ في الطرف الأول.

([1]) أنظر الموضع السابق(361/1)

([2]) سورة البقرة، رقم الآية 134

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(389/1)

([4]) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور(735/1)

وفي ذلك نظر؛ إذ المعنى: لها ما كسبت من دين الإسلام خاص بها لا شركة لكم فيه، ولكم ما كسبتم مما أنتم عليه من الهوى خاص بكم، لا يسألون هم عن أعمالكم، ولا تسألون أنتم عما كانوا يعملون،[1]

الموضع الخامس

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

تتحدث هذه الآية عن اليهود والنصارى، وكيف أن كل فرقة منهم تدعى أنها على الهدى، وأنه لا هدى لمن لا يتبع ملتها، وذكر العلماء أن (أو) لتنويع المقال لا للتخيير([3]) لأن كل واحدٍ من الفريقين يكفر الآخر([4])

التحليل والدراسة

صورة الاحتباك في هذه الآية كذا قالت اليهود كونوا هوداً تهتدوا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا، وهذا من الاحتباك لأنه حذف من الأول (تهتدوا) لدلالة (تهتدوا) الثانية عليه، وحذف من الثاني(كونوا) لدلالة (كونوا) في الأول عليه، إذ المعلوم أن اليهود تكفر النصرانية ولا تجوزها والنصرانية تكفر اليهودية ولا تجوزه، فلا يجوز أن يراد به التخيير. فاليهود يكفرون النصارى، والنصارى تكفر اليهود، فليس المراد بأنكم إذا كنتم على أي الملتين فقد اهتديتم، بل أن اليهود قصرت الهدى باتباع اليهودية، وكذلك النصارى قصرت الهدى باتباع النصرانية، ويتضح من هذا أن في الآية إيجازا بالحذف على سبيل الاحتباك، وتقدير الآية الكريمة :

وقالت اليهود كونوا هوداً تهتدوا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا[5]

فحذف من الأول (تهتدوا) لدلالة مثله عليه في الثاني، ومن الثاني الفعل (كونوا) لدلالة مثله عليه في الأول، ومما يعضد هذا التقدير أن (الواو) في (قالوا) عائدة على اليهود أولاً وعلى النصارى ثانياً، وتوزع القول

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (182/2) وما بعدها

([2]) سورة البقرة، رقم الآية 135

([3]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(393/1)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (736/1)

([4]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (86/1)

([5]) أنظر:صفوة التفاسير،محمد علي الصابوني (86/1)

عليهما، يقول **الإمام ابن مسعود:** (ليس هذا القول مقولاً لكلهم عليهما أو لأي طائفةٍ كانت من الطائفتين بل هو موزعٌ عليهما على وجه خاص تقتضيه حالهما اقتضاءٌ مغنياً عن التصريح به، أي قالت اليهود كونوا هودا، والنصارى كونوا نصارى)[1]

وجمع الله تعالى القولين في قوله: (وقالوا) لبيان أن ملة الكفر واحدة، ولكن يوجه الله تعالى نبيه مُحَمَّدا -ﷺ- أن يواجههم بكلمةٍ واحدة ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

وهذا يعني قالت اليهود: كونوا هودًا تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا وهذا من الاحتباك أيضًا لأنه حذف من الأول(تهتدوا) لدلالة (تهتدوا) الثانية عليه، وحذف من الثاني(كونوا) لدلالة(كونوا) في الأول عليه، إذ المعلوم أن اليهودية تكفر النصرانية والنصرانية تكفر اليهودية فلا يجوز أن يراد به التخيير.

الموضع السادس

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فيه صنعة الاحتباك، ولا يخفى لطفه فيما بين الزوج والزوجة حيث حذف في الأول بقرينة الثاني، وفي الثاني بقرينة الأول، كأنه قيل: ولهن عليهم مثل الذي لهم عليهن[3]

التحليل والدراسة

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود(204/1)

([2]) سورة البقرة، رقم الآية 228

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(529/1)

صورة الاحتباك في هذه الآية كذا﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ معناه لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، وهذا ما عُد من الاحتباك لأنه حذف من الأول(على الرجال) لدلالة(عليهن) في الثاني عليه وحذف من الثاني(للرجال) لدلالة (لهن)في الأول عليه.

وغيرُ خافٍ أن المماثلة في أصل الوجوب لا في جنس الأفعال، فكل واحد عليه من الواجبات ما يليق بجنسه وقدرته. قال ابن عباس ﷺ: "إني أُحب أن أتزين للمرأة كما تحب أن تتزين لي"؛ لأن الله تعالى ذكره يقول:﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾"[1]ومعلوم أن زينة الرجل تختلف عن زينة المرأة، والله أعلم.

قال **الإمام القرطبي**: "(أي لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن)"[2] لأنه حذف من الأول (على الرجال) لدلالة (عليهن) في الثاني عليه وحذف من الثاني (للرجال) لدلالة (لهن) في الأول عليه.

قال **الإمام أبو حيان الأندلسي**: "(هذا من بديع الكلام، إذ حذف شيئاً من الأول أثبت نظيره في الآخر، وأثبت شيئاَ في الأول حذف نظيره في الآخر، وأصل التركيب ولهنَّ على أزواجهنَّ مثل الذي لأزواجهنَّ عليهنَّ، فحذفت على أزواجهن لإثبات: عليهنَّ، وحذف لأزواجهنَّ لإثبات لهنَّ)"[3]

تعد هذه الآية من أهم الآيات التي بينت ورسمت الحقوق فيما بين الزوج والزوجة، فبين سبحانه وتعالى أن للزوجة حقوقا على الرجل، كما للرجل حقوقٌ على المرأة، ولكن هذه الحقوق حسب طبيعتهما، فالرجل عليه مسؤوليات تقتضيها طبيعة الرجل، والمرأة عليها حقوق تقتضيها طبيعتها[4] وفي معنى هذه الآية يقول الرسول-ﷺ- فيما أخرجه أهل السنن: (أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ)[5]

([1]) تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) (532/4) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى(1422 هـ - 2001 م)

([2]) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (123/3)

([3]) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (403/2)

([4]) أنظر: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، مُحَمَّد متولي الشعرواي، (2 / 1002-1001)، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، 1416 هـ - 1995 م)

([5]) سنن الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)(458/2)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت1998، كتاب الرضاعة، باب ما جاء في حق الزوجة على زوجها، حديث رقم (1163)

لقد أنطوى جزءٌ من هذه الآية على إيجاز بالحذف على سبيل الاحتباك، في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، فقد وقع حذفٌ من الطرفين ودل بالمذكور على المحذوف في كلٍ منهما، فحذف من الأول على الرجال لدلالة نظيره عليه في الثاني وهو (عليهن)، وحذف من الثاني للرجال لدلالة نظيره عليه في الأول وهو (لهن)[1] وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

ولهن من الحقوق على أزواجهن مثل الذي لإزواجهن عليهن من الحقوق[2]

ولا يخفى لطف الاحتباك في هذه الآية وجماليته فيما بين الزوج والزوجة([3])فهذا كلام يشمل جميع ما يجب للنساء على الرجال من حسن المعاشرة وصيانتهن وإزاحة عللهن، وكل ما يؤدي إلى مصالحهن، كما يشمل ما يجب للرجال على النساء من طاعة الأزواج وحسن المشاركة في السراء والضراء والسعي إلى مرضاته وحفظ غيبتهم وصيانتهم عن خيانتهم[4] وفيه إيجاز وبيان لا يخفى على المتمكن من علوم البيان[5]

ومثل هذا الإيجاز هو الذي تهتم به العربية وتسعى لتحقيقه فهو عنصر من عناصر بلاغة الكلام،[6] لأنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر[7]

كما أنَّ هذا التركيب على طريقة الاحتباك بإضمار (الأزواج ومالهم) للاعتناء بذكر ما للنساء من الحقوقَّ على الرجال، وتشبيهه بما للرجال على النساء، لأنه كما هو معلومٌ أن حقوق الرجال على النساء كثيرة ومشهورة، مسلمةٌ بها من أقدم العصور، أما حقوق المرأة فلم تكن موجودة، ولم يلتفت إليها، حتى إن وجدت فكان متهاونٌ بها، وموكولة إلى مقدار حظوة المرأة عند زوجها، حتى جاء الإسلام فأقامها، وأعظم ما أسست به هو ما جمعته هذه الآية[8]

([1]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(2/ 134)، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(2 /200)، ،ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (3/ 301)، وحاشية الصاوي على الشرح الصغير، أحمد الصاوي،(1/ 106) تحقيق ضبطه وصححه، مُحَمَّد عبد السلام شاهين، الناشر دار الكتب العلمية، مكان النشر لبنان/ بيروت (1415هـ - 1995م)، والتحرير والتنوير لإبن عاشور (2/ 396)

([2]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري(543/2)، ومعالم التنزيل لأبو مُحَمَّد البغوي مختصر تفسير البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد،(132/1) الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى، 1416هـ، والكشاف للإمام الزمخشري (272/1)، والجامع لإحكام القرآن للإمام القرطبي (82/3)

([3]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(134/2)

([4]) أنظر: بلاغة الإيجاز في العربية، امال بنت مت زين، (ص36) بحث تكميلي مقدم لاستيفاء شروط لنيل إجازة الماجستير، كلية الدراسات الجامعة الوطنية الماليزية باغي 1997.

([5]) أنظر: صفوة التفاسير، مُحَمَّد على صابوني (131/1)

([6]) أنظر: في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. خليل أحمد عمايره (135)، الناشر عالم المعرفة جدة، الطبعة الأولى(1404هـ-1984م).

([7]) أنظر: دلائل الإعجاز، أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي(ص 122)

([8]) التحرير والتنوبر لإبن عاشور (396/2)

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول في معنى هذه الآية: (إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي)[1]

وفي تقديم الظرف (لهن) في بداية الجملة، للإهتمام بالخبر، لأنه من الأخبار التي لا يتوقعها السامعون، فقدم ليصغي السامعون إلى المسند إليه، بخلاف ما أخر فقيل: ومثل الذي عليهن لهن بالمعروف وفي هذا إعلان لحقوق النساء، وإصداعٌ وإشارةٌ بذكرها ومثل ذلك من شأنه أن يتلقى بالاستغراب، فلذلك كان محل الاهتمام [2]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة آل عمران

الموضع الأول:

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[3]

نص ما قاله المؤلف

وفي هذا الإيجاز تظهر بلاغة الاحتباك في نظم الآية، وذلك لأنه ذكر في الجملة الأولى لازم الإيمان وهو (القتال في سبيل الله)، وحذف مؤمنة، مدحا لهم، لأن المسلمين كانوا في أعلى درجات الإيمان حينها، ومدحا لهم كذلك بما يليق بالمقام ورمزاً إلى الاعتداد بقتالهم، ووصفت الأخرى بـ (الكافرة) ملزوم القتال، بغير الصفة التي وصفت بها الفئة الأولى إسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وتحقيراً لهم[4]

التحليل والدراسة

بين الإمام الآلوسي الاحتباك وصورته كذا، إذا نتوجه في الآية فحذف من الأول (مؤمنة) لدلالتها بلفظ (كافرة) في الثاني، وحذف من الثاني (تقاتل في سبيل الطاغوت) لدلالتها بلفظ (في سبيل الله) في الأول،

([1]) معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس(198/1)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي(ص123)

([2]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور (397/2)

([3]) سورة آل عمران، رقم الآية 13

([4]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (95/3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبو السعود العمادي(342/1)

فيكون التقدير الآية: فئة(مؤمنة) تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة(تقاتل في سبيل الطاغوت)، فنزلت هذه الآية رداً على اليهود عندما جمعهم رسول الله -ﷺ-بعد غزوة بدر وحذرهم من أن يصيبهم ما أصاب مشركي قريش يوم بدر، فقالوا لا يغرنك انك أصبت أغماراً[1] لا علم لهم بالحرب، لئن قاتلتنا لعلمت أننا نحن الناس، فنزلت[2]

والفئتان في الآية هما المسلمون ومشركو مكة، وقد ذكر في جانب المسلمين إنهم يقاتلون (في سبيل الله)، وفي جانب المشركين أنها (كافرة)، فلم يأت النظم الكريم بين لفظتين متقابلتين تماماً فلم يقل: فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى تقاتل في سبيل الطاغوت، ولا فئة مؤمنة وأخرى كافرة، بل قال الحق: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾، فوقع بهذا حذف من الطرفين على سبيل الاحتباك.

قال **الإمام أبو حيان:** (حذف من الأولى ما اثبت مقابله في الثانية، ومن الثانية ما اثبت مقابله في الأولى، فذكر لازم القتال وهو(القتال في سبيل الله)، وذكر في الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان وهو الكفر)[3] فذكر الكافرة في الثانية أفاد بأن الفئة الأولى مؤمنة، وبقوله:﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾أن الأخرى تقاتل في سبيل الطاغوت [4]

وإذا أخذنا بأقوال العلماء، ووضعنا المحذوف موضعه في الكلام نجد بأن الآية تصبح متقابلة تقابلاً تاماً بين ألفاظها، ويكون تقدير الآية الكريمة:

قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله

وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت يرونهم مثليهم رأي ....

([1]) أغمار : "الأغمار جمع غمر بالضم وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور" لسان العرب(32/5) ،مادة (غمر)

([2]) أنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي (150/1)

([3]) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (2 /411)

([4]) أنظر: التحبير في علم التفسير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ص474)

وثمة لطيفة بلاغية أخرى وقعت في نظم الآية في (وأخرى كافرة) ولم يقل(وفئة كافرة)إشعاراً بأن الطائفتين ليستا متساويتين، وإهمالا للثانية وتصغيرا لشأنها أن تقرن بالمؤمنة.وفي تنكير (آية) في بداية الآية دلالة على التفخيم والتهويل، أي آية عظيمة، وفي تقديم لكم على (آية) للاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر[1]

وحقق الألتفات من ضمير المفرد في قوله: (وأخرى كافرة) إلى صيغة الجمع في قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾العموم والشمول، وان كل واحدٍ من أفراد المشركين كان يرى المسلمين مثلى عددهم[2] ومما يدل على أن الرؤية كانت عينية جناس الاشتقاق الذي وقع بين يرونهم و(رأي العين)، فضلاً عن التصريح بلفظ العين جارحة البصر.

الموضع الثاني:

كشف الاحتباك عن بيان حكم شرعي يتعلق بالركن الخامس من أركان الإسلام، وهو أداء فريضة الحج، وذلك في قوله تعالى: ﴿**فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ**﴾[3]

نص ما قاله المؤلف

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، فمن حج كان مؤمناً، ومن لم يحج مع الاستطاعة كفر بالنعمة، أو كان كافراً-بدليل سبب النزول-، فلما نزلت آية الحج، جمع رسول اللهﷺأهل الأديان كلهم، فقال: يا أيها الناس، إن الله ﷻ كتب عليكم الحج فحجوا، فآمنت به ملة واحدة، وهي من صدق النبي ﷺ وآمن به، وكفرت به خمس ملل، قالوا: لا نؤمن به، ولا نصلي إليه، ولا نستقبله، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾[4]

التحليل والدراسة

([1]) أنظر: صفوة التفسير، مُحَمَّد علي الصابوني (173/1)

([2]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبو السعود العمادي(342/1)

([3]) سورة آل عمران، رقم الآية 97

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(224/2)

نجد في قول الحق ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ﴾احتباك، لأن إثبات فرضه أولاً يدل على كفر من أباه، وإثبات(ومن كفر) ثانياً يدل على إيمان من حجه[1] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (كان مؤمنا)؛ لدلالة ذكر ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(ومن لم يحج مع الإستطاعة)؛ لدلالة ذكر﴿حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ من الطرف الأول، فيكون التقدير الآية الكريمة:

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، فمن حج كان مؤمناً، ومن لم يحج مع الاستطاعة كفر بالنعمة، أو كان كافراً، ومن جهة أخرى تكشف أن المراد بقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾، أي كفر، أنه أوجب تعالى الحج، ثم أتبعه ب﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾، فهم منه أن هذا الكفر هو ترك ما تقدم- الحج مع الاستطاعة-، فالغرض التنفير من ترك فريضة الحج، والتغليظ على المستطيعين؛ حتى يؤدوها[2]وسره أنه ذكر الحكم الشرعي ترغيباً فيه، وما يترتب على تاركه ترهيبا منه ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ ﴾يحتمل أن يراد بمن كفر من لم يحج وعبر عن ترك الحج بالكفر تغليظا وتشديدا على تاركه كما وقع مثل ذلك فيما أخرجه سعيد بن منصور وأحمد وغيرهما عن أبي أمامة من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : «من مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه مرض حابس أو سلطان جائر أو حاجة ظاهرة فليمت علىأي حالة شاء يهوديا أو نصرانيا»[3]

فالصورة التركيبية لطيبعة الاحتباك أسهمت في إبراز حكم الحج وما يترتب على فعله، وتركه إذا حصل شطره، وهو(الإستطاعة)؛ لتقبل النفوس على العمل بمقتضاه؛ لذا فحمل النظم عليه عمق الدلالة على المقصود من خلال صورة التقابل التي تمثلت في فرض الحكم الشرعي، ثم الإشادة بنتيجة العمل به- الإيمان والكفر-، خصوصاً وأن السياق سياق تذكيرٍ متضمنٍ وعيداً عاماً لكل من كفر بالله[4] والمقام لمن لم يعمل بمقتضى التشريع عامة.

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(10/5)

([2]) أنظر: تفسير آيات الأحكام للصابوني(1-2/332) وما بعدها

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(2/224)

([4]) تفسير آيات الأحكام للصابوني(1-2/332)

الموضع الثالث

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وقيل: "للإشارة أيضا إلى أصالته في العلية وأهميته في نفسه كما في قوله تعالى: لتركبوها وزينة وإما متعلق بمحذوف معطوف على الكلام السابق أي ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وهو أولى من تقدير بشركم كما فعل أبو البقاء والثاني متعين على الإحتمال الثاني في الأول"[2]

التحليل والدراسة

في هذه الآية الاحتباك اقتضاه السياق، فالمحذوف من الطرف الأول(لتستبشر)؛ لدلالة ذكر﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (طمأنية لكم)؛ لدلالة ذكر﴿بُشْرى لَكُمْ﴾في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

بشرى لتستبشر نفوسكم به، وطمأنينة لكم لتطمئن قلوبكم به.

وسره أنه ذكر فضله ومنه على عباده؛ ليحصل المقصود، ويتحقق الهدف الأسمي من الرسالة المحمدية، وهو: التصديق بنبوة مُحَمَّد ﷺ، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز، ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي صورة أخرى من صور الحذف[3]

فالحذف أسهم في إبراز منة الله على المؤمنين؛ ليوقنوا بنصر الله، فيزداد نشاطهم في التوجه والالتجاء، وهذا المقصد متحقق بالمعاني الجوهرية في الركنين المذكورين، ولكن في الحذف دقائق من أهمها: التنوية للعباد بعناية الله بهم؛ كي يبصروا أن الفاعل الحقيقي لذلك النصر والإمداد هو الله، فيقوى رجاء النصر منه سبحانه، والطمع في عظيم رحمته[4] فتسكن الأرواح والقلوب إليه، و" لتبقى الصلة المباشرة بين العبد والرب، بين قلب

([1]) سورة آل عمران، رقم الآية 126

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(262/2)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(232/8)

([4]) أنظر: التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور(77/4)

المؤمن وقدر الله بلا حواجز ولا عوائق"[1] وهذا أجود في فهم المراد؛ لكون الركنين المحذوفين أسهما في تعميق المعنى الجليل المتمثل في إبراز جليل النعم وعظيم الفضل في نفس البشر عامة، والمسلمين خاصة، ف" أجرى سبحانه سنته مع أوليائه أنه إذا ضعفت نياتهم، أو تناقصت إرادتهم، أو أشرفت قلوبهم على بعض فترة، آراهم من الألطاف، وفنون الكرامات ما يقوي به أسباب عرفانهم، وتتأكد به حقائق يقينهم[2] كما أن فيه تثقيفا للنفوس البشرية؛ لتقف أولاً عند تأمل الإمداد الملائكي، فتشكر الله عليه، ومن جانب آخر فإن لجمال القصر ب(ما –وإلا) وقعاً بلاغياً نستمد منه مقصداً جليلاً من مقاصد الاحتباك- حتى لا تتوقع النفس أن النصر كان بالإمداد-بالملائكة-بل هو متحقق بقدرة الله التي هيأت لهم ذلك، وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم إلا بعون الله، لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة، فعلى الله فتوكلوا، وبه فاستعينوا، لا بالجموع وكثرة العدد[3]

الموضع الرابع

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[4]

نص ما قاله المؤلف

وتكمن بلاغة الاحتباك في الآية بعدم ذكر الجنة مع الرضوان، لأن رضوان الله أكبر، وهو مستلزم لكل نعيم، وبما أن السخط يكون مستلزماً لكل عقاب فيقضي بموجبه أن تذكر معه جهنم في حيز المنع لسبق الجمال الجلال[5]

التحليل والدراسة

([1]) في ظلال القرآن لسيد قطب (470/4)

([2]) لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) (278/1)

([3]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبو جعفر الطبري(84/4)

([4]) سورة آل عمران: رقم الآية 162

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي (111/4)

تعرض هذه الآية صورة من يتبع الصراط المستقيم فيوصله إلى الجنة، وصورة من يتبع سبيل الشيطان فعاد عليه هذا الإتباع بسخط من الله فانتهى أمره إلى جهنم وبئس المهاد.ويلاحظ أنه في الآية الأولى اثبت سبب الرضا وحذف نتيجته، وفي الثانية اثبت النتيجة وحذف السبب، فحصل بذلك احتباك بليغ.

قال الإمام أبو حيان: (وفي الآية من حيث المعنى حذفٌ والتقدير أفمن يتبع ما يؤل به إلى رضا الله عنه، فباء برضاه،كمن لم يتبع ذلك فباء بسخطه)[1] ويفهم من مقابل ﴿**كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ**﴾، أن من اتبع رضوان الله بأن مأواه الجنة، ولم يذكر هذا ليكون أبلغ في الزجر[2] وإذا جمعنا هذين القولين يكون تقدير الآية الكريمة:

أفمن اتبع رضوان الله، فباء برضاه ومأواه الجنة كمن اتبع

سبيل الشيطان فباء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المهاد

وتكمن بلاغة الاحتباك في الآية بعدم ذكر الجنة مع الرضوان، لأن رضوان الله أكبر، وهو مستلزم لكل نعيم، وبما أن السخط يكون مستلزماً لكل عقاب فيقضي بموجبه أن تذكر معه جهنم في حيز المنع لسبق الجمال الجلال[3]والاستفهام في الآية معناه النفي[4]والجمع بين الهمزة والفاء في (أفمن) لإنكار المماثلة بين المتقابلتين[5] في تنكير (سخط) دلالة على التعظيم، أي بسخط عظيم لا يكاد يوصف[6]

وثمة استعارة تمثيلية لطيفة في قوله (اتبع)، إذ جعل الإتباع بمعنى التطلب وشبه حال المتوخي بأفعاله رضى الله بحال المتطلب لطلبة فهو يتبعها حيث ذهبت ليقتنصها، وفي (الباء) في (سخط) تمثيل لحال العاصي بالذي خرج لطلب ما ينفعه، فرجع بما يضره والخيبة[7]

([1]) البحر المحيط، لأبو حيان الأندلسي (107/3)

([2]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(4/ 111)، وحاشية الجمل على الجلالين، سليمان بن عمر جمل،(331/1) الناشر: مطبعة التقدم العلمية، مصر، (1929هـ)

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي (111/4)

([4]) البحر المحيط، لأبو حيان الأندلسي(107/3)

([5]) أنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبو السعود (57/2)

([6]) أنظر: التحرير والتنوير، لإبن عاشور (154/4)

([7]) أنظر: البحر المحيط، لأبو حيان الأندلسي(107/3)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة النساء

الموضع الأول:

قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً*دَرَجاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً * إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ عطف على ما قبله، وأغنت أل عن ذكر ما ترك على سبيل التدريج من القيود، وإنما لم يعتبر التدريج في ترك ما ذكر مع القاعدين أولا بأن يترك من المؤمنين فقط، ويذكر غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ في الآية الأولى ويتركهما معا في الآية الثانية، بل تركهما دفعة واحدة عند أول قصد التدريج قيل: لأن قيد غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ كان بعد السؤال كما يشير إليه سبب النزول[2]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، لأن ذكر الجهاد أولاً في ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ﴾ دليل على حذفه ثانياً بعد ﴿ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ وذكر الهجرة ثانياً دليل على حذفها أولاً بالقعود عنها. وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (القعود عن الهجرة)؛ لدلالة ذكر الهجرة﴿فَتُهاجِرُوا فِيها﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (الجهاد)؛ لدلالة ذكر﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ﴾في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

([1]) سورة النساء، رقم الآية 95-96

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(118/3)

فضل الله المجاهدين على القاعدين عن الجهاد وعن الهجرة أجراً عظيماً ...إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم بالقعود عن الجهاد قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها.

وسره أنه ذكر ما عظم فضله، وقل فعله؛ تحريضاً لهم وترغيباً، فذكر العام (الجهاد) لشموله على الخاص (الهجرة)، وقد يكون السر في الحذف أيضاً أنه ذكر أعلى أسنان سنام الإسلام(الجهاد)؛ تنبيها على شرفه، وأنه سبب السعادة في الدارين.

فالصورة التركيبة لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز مبدأ الحرص على الخروج للقتال والهجرة في سبيل الله ترغيباً فيها وترهيباً من القعود عنها لغير ضرر، فبالناظر فيما احتواه السياقان البعيد والقريب يتضح حسن القول بالاحتباك، لما تقرر في البعيد من ذكر أصول تشريعية تدعو إلى الإجتماع على التوحيد[1] ولما تحقق في القريب من نفي التسوية بين المجاهدين والمهاجرين في سبيل الله، وبين القاعدين عنهما للضرر، وبين القاعدين عنهما لغير ضرر، فثبت إعلام البشر بأن الله فضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من أولي الضرر فضيلة واحدة، وذلك بفضل جهاده بنفسه، فأما فيما سوى ذلك فهما مستويان، وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من غير أولي الضرر أجراً عظيماً[2] كما تحقق الحث على ترك أرض الكفر والهجرة إلى أرض الله الواسعة التي فيها إعلاء الدين ونشر الخير[3] وللاحتباك أثر فاعل في إنماء العقول؛ لما تكشفه المعاني الإحسانية من باهر الدلالات وعلى الأسرار، والتي منها: حث النفوس على مراعاة الاهتمام بالأمر المقتضي بيان خاصية الأفضلية لمن عمل بمقتضى الأمر استجابة له-الخروج للجهاد، وللهجرة- ؛لإعلاء كلمة الحق، وإعزاز أهله، وإضعاف قوة الكافرين، وكسر شوكتهم، فالعمل بمقتضى ذلك ينمي في النفس التحلي بالصبر، ودليل قوة الإيمان، ففيه بيان لعلو رتبة المجاهدين وأفضليتهم على القاعدين، كما أن في الحذف تثقيفاً للنفوس يرشد إلى بذل طاقتهم في قتال أعداء الله وأعداء دينهم[4] ف(إن في الجنة مائة

([1])نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(373/5)

([2]) أنظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري(231/5)

([3]) أنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود(323/2)

([4]) أنظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري(232/5)

درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، فهذه نعم علية يحب العمل بها؛ ليتحقق العمل على جهاد أعداء الله أولاً، وهجران الأرض التي تعمل المعاصي ثانياً[1]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الأنعام

الموضع الأول:

قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

أخبر سبحانه بهذه الآية أن أهل السماع هم الأحياء وهم أهل الخطاب، وأخبر أن الآخرين هم الأموات. وقال غيره: المعنى أنه لا يستجيب إلا من فتح الله سبحانه سمع قلبه بالهداية الأصلية ووهب له الحياة الحقيقية بصفاء الاستعداد ونور الفطرة لا موتى الجهل الذين ماتت غرائزهم بالجهل المركب أو بالحجب الجبلية أو لم يكن لهم استعداد بحسب الفطرة فإنهم قد صموا عن السماع ولا يمكنهم ذلك بل يبعثهم الله تعالى إليه بالنشأة الثانية ثم يرجعون إليه سبحانه في عين الجمع المطلق للجزاء والمكافأة مع احتجابهم[3]

التحليل والدراسة

في هذه الآية قابل الله تعالى بين الأحياء والأموات، وأراد بهما بين المؤمنين والكافرين، ولكن هذه الآية لم تكن متشابهة في اختيار الألفاظ المتقابلة، فلم يذكر (الأحياء) في مقابل (الأموات)، ولا (لا يسمعون) في مقابل (يسمعون)، بل ذكر صفة من صفات الأحياء وهي السمع ولم يذكرهم صراحةً، في حين ذكر في المقابل(الأموات) صراحةً ولم يذكر عدم سماعهم، فحصل بذلك احتباك بحذف من الطرفين، فحذف من

([1]) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي(344/5)

([2]) سورة الأنعام، رقم الآية 36

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(156/4)

الأول (الأحياء) لدلالة ضده عليه في الثاني وهم (الأموات)، وحذف من الثاني (لا يسمعون) لدلالة نفيه عليه في الأول وهو (يسمعون)[1] وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

إنما يستجيب للإيمان الأحياء الذين يسمعون

والموتى يبعثهم الله وهم لا يسمعون

وبهذا الحذف جمعت الآية بين الاحتباك الضدي والمنفي المثبت، فأصبح من الاحتباك المشترك.

وأفاد هذا الإيجاز بالاحتباك بلاغة، حيث إنه ذكر في جانب الأحياء أنهم يسمعون من غير التصريح بهم، لأنه الغرض المطلوب وعن طريقه تكون الهداية، فذكره لأهميته، وبما أن الميت لا يسمع، ذكره بدلاً من الكافر تهكماً به وإزدراءً عليه، لأنه لا ينتفع بهذه النعمة، كما في تسميتهم بالموتى إقناطٌ للرسول-ﷺ-من إيمانهم وهدايتهم[2]

وفي الآية استعارة في إطلاق (الأموات) على الكفار، استعارة تصريحية حيث أنه شبه كفرهم وجهلهم بالموت[3] من حيث إنهم لا ينتفعون بعقولهم وأسماعهم ومواهبهم في أهم الأشياء وهو ما يرضي-ﷻ- وعلى هذه الاستعارة يكون بعثهم حقيقة، وهو ترشيحٌ للاستعارة، لأن البعث من ملائمات المشبه به في العرف، وإن كان الحي يخبر عنه بأنه يبعث بعد موته، ولكن العرف لا يذكر البعث إلا باعتبار وصف المبعوث بأنه ميت[4]

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (102/7)

([2]) محاسن التأويل، مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) (229/6) المحقق: مُحَمَّد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي (142/7) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (379/2)،

([4]) النحرير والتنوير للإمام ابن عاشور(208/7)

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وقوله سبحانه: مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ إما حال من الزَّيْتُونَ لسبقه اكتفى به عن حال ما عطف عليه والتقدير والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك، وإما حال من الرُّمَّانَ لقربه ويقدر مثله في الأول. وأيّا ما كان ففي الكلام مضاف مقدر وهو بعض أي بعض ذلك مشتبها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الأوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها جل شأنه وإلا كان المعنى جميعه مشتبه وجميعه غير متشابه وهو غير صحيح[2]

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية شبه احتباك، لأن وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم أو على العطف على نَباتَ، أثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده، وهو عدم التشابه، ولأجل أن الاشتباه أبلغ من التشابه، علق الأمر بالنظر الذي هو أثبت الحواس، ودلالة على أن المراد إنما هو ظاهر ذلك؛ لأنه كان في الدلالة على البعث والتوحيد الذي هذا سياقه[3] وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (غير مشتبه)؛ لدلالة ذكر﴿وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(متشابهاً)؛ لدلالة ذكر﴿مُشْتَبِهاً﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

والزيتون والرمان مشتبها وغير مشتبه، ومتشابهاً وغير متشابه

([1]) سورة الأنعام، رقم الآية 99

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (226/4)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(212/7)

وفيه نظر: لعدم اتضاح علة القول به، والمعنى المراد: والزيتون والرمان يتشابه في الورق، لكونه قريب الشكل بعضه من بعض، وفي الثاني: والزيتون والرمان يتخالف في الثمار شكلاً وطعماً وطبعاً[1]

الموضع الثالث:

قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [2]

نص ما قاله المؤلف

أن في الكلام تقديرا لأن النفي لا يصرف إلى ذوات الآباء بل يجب صرفه إلى فعل صدر منهم وذلك هو الإشراك فيكون التقدير ما أشركنا ولا أشرك آباؤنا[3]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، لأن أثبت أولاً الإشراك دليلاً على حذفه ثانياً، وثانياً التكذيب دليلاً على حذفه أولاً، فتعرض الآية الكريمة حال المشركين بعد انقطاع حبل حجتهم من السبب الذي دعاهم إلى تحريم ما أحل الله لهم كالبحيرة والسائبة وغيرها، فعدلوا إلى قولهم بالمشيئة بأن الله لو شاء أن لا نشرك نحن ولا آباؤنا لما أشركنا ولما حرمنا هذه الأشياء، أما وقد شاء الله لنا ذلك فقد وقع منا[4]، يقول الإمام أبو حيان: "(وأرادو ذلك على سبيل الحوالة على المشيئة والمقادير مغالطةً وَحيدَةً عن الحق وإلحاداً لا اعتقاداً صحيحاً)، وأورد أيضاً: (ويحتمل أن تكون المشيئة بمعنى الرضا، أو بمعنى الأمر والدعا، لأنهم قالوا: إنَّ الله امرنا بذلك، ويحتمل أن قالوه استهزاءً وسخرية)[5] وذكر الإمام البقاعي أنّ في الآية احتباكاً، والتقدير:

([1]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (294/4)

([2]) سورة الأنعام، رقم الآية 148

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(294/4)

([4]) أنظر: تفسير الكشاف للزمخشري (351)

([5])البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (247/4)

سيقول الذين أشركوا كذباً لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا

من شيئ كذلك كذب الذين من قبلهم فأشركوا وحرموا ما أحلَّ الله

إذ جاء إثبات الإشراك أولاً دليلاً على حذف مثله ثانياً، وإثبات التكذيب ثانياً دليلاً على حذف مثله أولاً[1]

ومما يعضد هذا التقدير أنَّ قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي كذَّبَ الذين من قبلهم أنبياءهم مثل ما كذبك هؤلاء، فشبه تكذيبهم بتكذيب المكذبين من قبلهم، وتدل على أن الذين أشركوا قصدوا بقولهم:﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾، تكذيب النبي-ﷺ-إذ دعاهم إلى الإقلاع عما يعتقدون فكذلك الأمم قبلهم كذبوا رسلهم مستندين إلى هذه الشبه، فسمى استدلالهم هذا تكذيباً، لأنهم ساقوه مساق التكذيب والإفحام[2]

وتظهر بلاغة الاحتباك في إخفاء التكذيب أولاً لإثباته لهم ثانياً، وحذف الإشراك ثانياً لإثباته لهم أولاً، فحصل بذلك إيجاز مع ملامسة للعقول المرهفة التي تتذوق المعاني بأقل الألفاظ.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ غاية للتكذيب قصد منها دوامهم عليه حتى آخر أوقات وجودهم، فلما أتاهم بأس الله وذاقوه هلكوا، والذوق هنا مجاز استعمل بدلاً عن الإحساس والشعور، فهو من استعمال المقيد في المطلق، وفي إضافة البأس إلى ضمير الله ﷻ لتعظيم أمر هذا البأس في النفوس وتهويله[3]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الأعراف

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[1]

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(278/7)

([2])أنظر: التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور (148/8)

([3])أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (1/ 393)، والتحرير والتنوير للإمام ابن عاشور (736/1)

نص ما قاله المؤلف

أصل الكلام لا يخرج نباته فحذف المضاف إليه وأقيم المضاف مقامه فصار مرفوعا مستترا، وجوز أن يكون الأصل ونبات الذي خبث، والتعبير أولا بالطيب وثانيا بالذي خبث دون الخبيث للإيذان بأن أصل الأرض أن تكون طيبة منبتة وخلافه طار عارض[2]

التحليل والدراسة

بين الإمام الآلوسي الاحتباك وصورته كذا، إذ لم يذكر وصف (الطيب) بعد نبات البلد الطيب، ولم تذكر(الأرض) الخبيثة قبل ذكر(النبات) الخبيث؛ لدلالة كلا الضدين على الآخر، والتقدير: والبلد الطيب يخرج نباته طيباً بإذن ربه، والنبات الذي خبث يخرج نكداً من البلد الخبيث، فتصور لنا الآية مثالاً الذي يستجيب لنداء الأيمان، والذي لا يستجيب، فهو مثلٌ ضربه الله-ﷻ-للمؤمن والكافر، فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه مثلٌ للمؤمن، والذي خبث لا يخرج نباته إلا نكداً مثلٌ للكافر، وعن إبن عباس-رضي الله عنهما-في تفسير هذه الآية قال: هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن يقول: هو طيبٌ كما البلد الطيب ثمره طيب، ثم ضرب مثل الكافر، كالبلدة السبِخة المالحة كما تخرج منها البركة، فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث[3]

ويوضح هذه الآية حديث رسول الله-ﷺ-(إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)[4]

([1]) سورة الأعراف، رقم الآية 58

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(386/4)

([3]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لإبن جرير الطبري (8/ 249)

([4]) صحيح مسلم (1787/4) كتاب الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث النبي-ﷺ-من الهدى والعلم، حديث رقم (2282)

ويلاحظ في المقابلة بين الجملة الأولى والثانية، هناك محذوف في كلٍ منهما ما يدل عليه مذكور في الآخر، ففي الجملة الأولى حالٌ محذوفة للنبات وهي(وافياً حسناَ طيباً)، وحذفت لفهم المعنى، ودلالة (نكداً) عليه ثانياً[1]، أما في الجملة الثانية فحذف(النبات) لتقدم ذكره[2] وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

والبلد الطيب يخرج نباته وافياً حسناً طيباً بإذن

ربه والذي خبث لا يخرج نباته إلا نكدا ....

ويهذا الحذف تعد الآية من الاحتباك[3] أي بحذف (وافياً حسناً طيباً) من الأول لدلالة ضده عليه في الثاني (نكدا)، وحذف (نباته) من الثاني لدلالة (نباته) الأول عليه، وبهذا جمعت الآية بين نوعين من الاحتباك (الضدي والمتشابه).

ومما يعضد هذا التقدير، أن الآية جاءت لتقابل بين الأرضين وطبيعتهما، الأرض الطيبة التي يخرج نباتها حسناً طيباً، والأرض الخبيثة التي لا يخرج نباتها إلا نكدا.وثمة لطيفة في عدم ذكر حال النبات في الجملة الأولى بجانب البلد الطيب، بل ذكر ﷻ أنه (بإذنه) لأن اقتران النبات بلفظ الجلالة لا يكون إلا وافياً حسناً طيباً و(لأن ما أذن الله في إخراجه لا يكون إلا على أحسن حال ،..... وخص الخروج بالنبات بقوله (بإذن ربه) على سبيل المدح له والتشريف، ونسبة الإسناد الشريفة الطيبة إليه تعالى وإن كان كلا النباتين يخرج بإذنه سبحانه)[4]

كما أن حذف (النبات) في الجملة الثانية، إشارة إلى أن هذا النوع الذي ينبت في هذه الأرض الخبيثة لا يستحق أن يسمى نباتاً، لأنه يخرج نكدا، فيكون غير نافع، ولا يستفاد منه.وخولف في التعبير بين المتقابلين، بقوله في الأولى (البلد الطيب)، والثانية بقوله(الذي خبث) دون الخبيث، وذلك للإيذان بأن أصل الأرض

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي (147/8) والكشاف للإمام الزمخشري (2/ 83) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي(4/ 322)

([2]) الكشاف للإمام الزمخشري(83/2) والبحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (322/4)

([3]) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور (186/8)

([4]) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (322/4)

تكون طيبة حسنة منبتة وخلافه فهو عارض[1] فضلاً عما في هذا الأسلوب من الفصاحة والتفنن في الكلام[2]

(1) أنظر: روح المعاني للإمام آلوسي (147/8)

(2) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (4/ 322)

الفصل الثاني

مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الأنفال إلى نهاية سورة الكهف)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الأنفال

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وفي النظم الكريم صنعة الاحتباك وأنظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث أثبت قيدا في الجملة الأولى وهو صابرون وحذف نظيره من الثانية وأثبت قيدا في الثانية وهو مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وحذفه من الأولى ولما كان الصبر شديد المطلوبية أثبت في جملتي التخفيف وحذف من الثانية لدلالة السابقة عليه ثم ختم الآية بقوله سبحانه: وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ مبالغة في شدة المطلوبية ولم يأت في جملتي التخفيف بقيد الكفر اكتفاء بما قبله.[2]

التحليل والدراسة

بين الإمام الآلوسي الاحتباك المتشابه وصورته كذا، في هذه الآية حذف من الجملة الأولى (من الذين كفروا) لدلالة مثله عليه في الثاني، وحذف من الثاني (صابرة) لدلالة مثله عليه في الأول، والإمام الآلوسي يذكر الاحتباك بالاسم ويوظف ويوضح الاحتباك بنوع من التفصيل، ففي هذه الآية يأمر الله -ﷻ-نبيه مُحَمَّد-ﷺ-بأن يحرض المؤمنين ويرغبهم بالصبر بالقتال في سبيله والذود عن دينه بمقاتلة المشركين، كيف لا وهو

([1]) سورة الأنفال، رقم الآية 65-66

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(228/5)

ما وصفه الرسول -ﷺ-(رأس الأمر الإسلام وأما عموده فالصلاة وأما ذروة سنامه فالجهاد)[1] والجهاد هو درع الإسلام الذي يحميه من المخاطر والعوارض، فضلاً عن أنه شعيرةٌ ترفع صاحبها في الجنة درجات، وما حل بالأمة اليوم من ذل وهوان، إلا بسبب البعد عن الدين وترك الجهاد كما قال رسول الله-ﷺ-**(لَئِنْ تَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ، وَتَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، لَيُلْزِمَنَّكُمُ اللهُ مَذَلَّةً فِي رِقَابِكُمْ، لَا تَنْفَكُّ عَنْكُمْ حَتَّى تَتُوبُوا إِلَى اللهِ وَتَرْجِعُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ)**[2]

وبين -ﷻ- في الآية الأولى أن المسلمين إن صبروا سيغلبوا عشرة أضعافهم وكان ذلك في بداية الإسلام، وكان هذا يشق عليهم، فخفف الله عنهم العدد فجعل الواحد مقابل الاثنين بعد أن كان الواجب على الواحد أن لا يفر من العشرة رحمة بهم [3]وذكر سبحانه في الآية الأولى على سبيل الإيجاز لفظ (الصبر) في الجملة الأولى وذكر لفظ (الذين كفروا) في الجملة الثانية وحذف مثليهما في كلٍ من الجملتين على سبيل الاحتباك، قال أبو حيان: (والتقييد بالصبر في أول كل شرط لفظا هو محذوف من الثانية لدلالة ذكره في الأولى، وتقييد الشرط الثاني بقوله من الذين كفروا لفظا هو محذوف من الشرط الأول في قوله: يغلبوا مائتين، فانظر إلى فصاحة هذا الكلام إذ أنه أُثبت قيد في الجملة الأولى وحذف نظيره في الثانية، وأُثبت قيد في الثانية وحذف من الأولى)[4]ووضح غيره من العلماء والمفسرين هذا الكلام **والإمام الآلوسي أيضاً**: إن الآية من الاحتباك إذ أنه ذكر وصف (الصبر) في الجملة الأولى دليلاً على حذفه من الثانية، وذكر الكفر في الجملة الثانية دليلا على حذفه من الجملة الأولى[5] وهذا في غاية الفصاحة والإيجاز ولا يخفى، وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

([1]) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (1411 – 1990)، كتاب الجهاد (86/2)، حديث رقم(2408)

([2]) مسند الإمام احمد، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة، كتاب مسند المكثرين من الصحابة ، باب مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب، (42/2)، حديث رقم (4765)

([3]) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) (ص 853)، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (1420هـ - 1999 م)

([4]) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (511/4)

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي (32/10)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (322/8)، وفتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب مُحَمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)(210/5-211) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنشر، صيدا – بيروت عام النشر: (1412 هـ - 1992 م)، ومحاسن التأويل مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) (3036/8) تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ

إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين من الذين كفروا

وإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا ألفا من الذين كفروا

ولما كان الصبر من أكثر عوامل النصر في المعركة كان شديد الطلب، ولهذا ذكره في جانب المؤمنين أولاً إشعاراً بأهمية هذا الأمر، وإنه لم يذكر الذين كفروا إيجازاً واختصاراً فقد دل ما ذكر على ما حذف.

وهناك احتباكاً ثانيا في الآية الثانية إذ (ذكر في الأول صابرة دلالة على حذفه ثانيا، وذكر ثانياً الإذن دليلاً على حذفه أولاً)[1]أي أنه حذف في آية التخفيف من الجملة الأولى (بإذن الله) لدلالة الثانية عليها، و(الصابرة) ثانيا لدلالة الصابرة الأولى عليها، ويكون التقدير الآية الكريمة:

إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين بإذن الله

وإن يكن منكم ألفً صابرون يغلبوا ألفين بإذن الله

ومن خلال هذين الاحتباكين تظهر فصاحة هذا الكلام وجماليته ونضارة بلاغته في الإيجاز والاختصار البليغ. وقد أوثر التعبير بـ (الحض) بدلاً من غيرها من الألفاظ لما فيها من الدلالة على المبالغة في الحث على هذا الأمر وهو – الجهاد – وهو مأخوذ من (الحرض)، وهو أن ينهك المرض صاحبه فيتبالغ فيه حتى يشفى على الموت، فجاءت هذه اللفظة مناسبة لهذا الموضع لأهميته أي فكأنه ينسبه إلى الهلاك لو تخلف عن الأمور به[2]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة التوبة

الموضع الأول

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (326/8)

(2) الكشاف للإمام الزمخشري (419) وفتح القدير للإمام الشوكاني (4/2)

قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

...فعلى هذا معنى خلط العمل الصالح بالسيىء أنهم أتوا أولا بالصالح ثم استعقبوه سيئا ومعنى خلط السيّء بالصالح أنهم أتوا أولا بالسيىء ثم أردفوه بالصالح، وإلى هذا يشير كلام السكاكي حيث جعل تقدير الآية خلطوا عملا صالحا بسيىء وآخر سيئا بصالح أي تارة أطاعوا وأحبطوا الطاعة بكبيرة وأخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة وهو ظاهر في أن العمل الصالح والسيّء في أحد الخلطين غيرهما في الخلط الآخر، وادعى بعضهم أن ما في الآية نوع من البديع يسمى الاحتباك والأصل خلطوا عملا صالحا بآخر سيىء وخلطوا آخر سيئا بعمل صالح هو خلاف الظاهر.

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً، وإذا نلاحظ وجدنا التقابل بين الألفاظ والمعاني في النظم المعجز على حد فريد للكشف عن حال أناس من أهل المدينة منافقين مردوا على النفاق أقروا بذنوبهم فقال الله فيهم: ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2] ففي قول الحق ﷻ:﴿خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾ الاحتباك[3] فالمحذوف من الطرف الأول (سَيِّئاً) لدلالة ذكر ﴿سَيِّئاً﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(صالِحاً)؛ لدلالة ذكر ﴿صالِحاً﴾ في الطرف الأول.

قال الإمام الآلوسي: أن ما في الآية نوع من البديع يسمى الاحتباك والأصل خلطوا عملا صالحا بآخر سيىء وخلطوا آخر سيئا بعمل صالح هو خلاف الظاهر.ويكون التقدير الآية الكريمة:

خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئ

وخلطوا آخر سيئاً بعمل صالح[4]

([1]) سورة التوبة، رقم الآية 102

([2]) سورة التوبة، رقم الآية 102

([3]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(10/9)

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(10/11)

وسره: الإشارة تساوي إلى العملين، وأنه ليس أحدهما بأولى من الآخر أن يكون أصلاً[1]، لكونهم أتوا أولاً بالعمل الصالح، ثم استتعبوه سيئاً، وأتوا بالسيئ ثم أردفوه بالصالح، فأحدهما لا يستلزم الآخر، والذي يؤخذ من ذلك أن في تعبير القرآن الكريم بالخلط دون الاختلاط مزية معنوية، يؤديها الاحتباك بحذف السيئ من الأول؛ للدلالة على أنهم قصدوا الصالح أولاً، ثم عرضت لهم بعض المعاصي بعده دون قصد أولي، وإنما لخور في الطبيعة وضعف في المقاومة، وفي مرة ثانية قصدوا إلى المعصية قصداً أولياً، ثم عرضت لهم بعض الأعمال الصالحة فأتوها، ومع ذلك يثابون عليها، مع بيان أنه ليس هناك استلزام بين عمل الطاعة وعمل المعصية في عمل المحترزين، وإنما هو من شأن ضعاف الهمم بحسب الواقع، ثم إن في الآية على هذا التقدير فتحاً لباب الرجاء في التجاوز عن المعاصي الطارئة على الأعمال الصالحة، وفتحاً لقبول الأعمال الصالحة، وإن لم يكن مقصوداً إليها، ولا غرابة في ذلك، فقد يثاب المؤمن رغم أنفه، وهذا هو ما يشعر به قوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، ومع ذلك فإنه يجب على المكلف أن يكون على الطمع والاشفاق، فلا يتواكل[2]، فالدقة والإيجاز يلحظان بالمقابلة بين أصل النظم قبل التقدير: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾ وبعده: خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيىء، وآخر سيئا بصالح.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة يونس

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿**قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[3]

نص ما قاله المؤلف

أما قوله تعالى: أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ فالمقصود به التعميم وإن كان الفاعل في الواقع هو الله جل شأنه، وقيل: اللام هنا للاختصاص، والمفعول محذوف في المواضع الثلاثة، وجواز اللزوم في الأول مما لا يلتفت إليه، ويقدر فيها على طرز واحد كالشخص ونحوه، وقيل: التقدير قل هل من شركائكم من يهدي غيره إلى الحق قل الله يهدي من يشاء إلى الحق أفمن يهدي غيره إلى الحق أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي"[4]

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(10/9)

([2]) أنظر: الاحتباك من صور الحذف البليغ، عبد الحميد محمد العيسوي، مصر، مجلة الأزهر 1989 (ص1382)

([3]) سورة يونس، رقم الآية 35

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي (107/6)

التحليل والدراسة

صورة الاحتباك في هذه الآية شبه الاحتباك، والإمام الآلوسي يوافق مع المتقدمين من المفسرين في إبراز جانب الاحتباك في الآية، إلا أنه يوظف ويوضح تقدير الآية بنوع من التفصيل، وذكر(إلى الحق) أولاً دليلاً على حذفه ثانياً، وذكر(للحق) ثانياً دليلاً على حذفه أولاً[1]، وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (يهدي للحق)؛ لدلالة ذكر﴿يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني (يهدي إلى الحق)؛ لدلالة ذكر﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق فضلاً عن أن يهدي للحق على أقرب ما يكون من الوجود إعلاماً، قل الله يهدي للحق إن أراد، ويهدي إلى الحق من يشاء[2]

وسره أنه ذكر الأدل على تمكن النقصان؛ لاستواء الحالتين–الهداية إلى الحق وللحق–في عدم الاستجابة في حق المربوب، تنبيهاً إلى كمالها في حق الرب المعبود.فما حققه الحذف من أوجه التناظر بين المعاني يبرز في بيان قدرة الله في أمر الهداية التي هي سبب السعادة؛ لمحاولة إبعاد الشرك عن النفوس البشرية من خلال ترسيخ مبدأ الكمال لله؛ ليُعلم أنه وحده القادر على الهداية للحق وإلى الحق أما غيره فلا، وفي تبصر سياق السورة يتبين أن الأسمي لما يقتضيه النظم القول بشبه الاحتباك؛ لما يحققه السياق البعيد من إبراز معالم وحدانية الله، فمقصودها "وصف الكتاب بأنه من عند الله، لما اشتمل عليه من الحكمة، وأنه ليس إلا من عند الله سبحانه؛ لأن غيره لا يقدر على شيء منه، وذلك دال –بلا ريب– على أنه واحد في ملكه لا شريك له في شيء من أمره"[3]، وهذا مما يعلي القول بالحذف، ويبرز دقيق لطائفه وجليل أسراره المتمثلة في الدعوة إلى التعرف على وحدانية الله، وعلى الرغم من معرفة المشركين بتوحده في ربوبيته، إلا أنهم أشركوا غيره في ألوهيته، أما السياق القريب فخاطب العقول بما يزيد نماءها ويحقق رُشدَها إلى معرفة الله، بإثبات معالم القدرة والعظمة له، فشركاؤهم الذين زعموا أنهم شركاء، لم تكن شركتهم إلا لهم، لأنهم جعلوا لهم حظاً من

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(117/9)

([2]) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره، د. إبراهيم صلاح الهدهد، (ص231)، الناشر: مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 2020، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(117/9)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(61/9)

أموالهم وأولادهم، فتحقق بالحذف مزيد تاكيد على تمكن النقص من آلهتهم فهي لا ترشد ضالاً من ضلالته، ولا تهدي جائراً مطلقاً، فالله يهدي الضال عن الهدى إلى الحق، ويرشد الجائر عن الرشد إلى الرشد لا محالة[1] فمن كان قادراً كان أحق بالاتباع، كما أن في إعلام المشركين بأن شركاؤهم لا يقدرون على شيء، فليس لهم نصيب من القدرة على الهداية نعمة جليلة بها يدفع الشرك، ويستدل على وجود الصانع القادر على الخلق والهداية،ولما كانت العقول يلحقها الاضطراب والغلط، بين تعالى أنه لا يهديها إلى هو، بخلاف أصنامهم ومعبوداتهم، فإنه ما كان منها لا روح فيه جماد لا تأثير له، وما فيه روح فليس قادراً على الهداية، بل الله تعالى هو الذي يهديه[2]

ويذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يرى لتقدير الاحتباك هنا معنى[3] وفيه نظر؛ لما احتواه من تحقق جملة ثرية من المعاني الإحسانية المتعلقة ببيان مظاهر القدرة المتصلة بأحوال الروح في الهداية، فأسهم بشكل فاعل في تأكيد ذلك؛ ليعلم البشر بأهم معالم واحدانية الله.

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[4]

نص ما قاله المؤلف

"هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة فتعريف الطرفين للقصر وهو قصر تعيين، وفي ذلك أيضا تقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه.والجعل إن كان بمعنى الإبداع والخلق – فمبصرا – حال وإن كان بمعنى التصيير – فلكم – المفعول

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (117/9)

([2]) أنظر: البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي(157/5)

([3]) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه–وأسراره– د. إبراهيم صلاح الهدهد، (ص231)

([4]) سورة يونس، رقم الآية 67

الثاني أو حال كما في الوجه الأول فالمفعول الثاني لِتَسْكُنُوا فِيهِ أو هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما أن العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الأولى، ويكون التقدير الآية الكريمة:

هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم فحذف من كل ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك وفيه على هذا صنعة الاحتباك"[1]

التحليل والدراسة

بين الإمام الآلوسي الاحتباك وصورته كذا، في هذه الآية الليل والنهار هما الأمران متقابلان وكل منهما يتصف بصفتين، فالليل يتصف: بالسكون والظلمة، والنهار يتصف بالحركة والإبصار، وذكرت صفة السكون مع الليل، لندرك مقابلتها وهي الحركة مع النهار، وذكرت صفة الإبصار مع النهار، لندرك مقابلتها وهي عدم الإبصار مع الليل فالليل آيته الظلام، أي: الليل آيته عدم الإبصار، والنهار آيته الإيصار، وتتجلى في هذه الآية نعمتان من نعم الله تعالى على بني آدم، وهما نعنتا الليل والنهار، فالليل للسكن والراحة بعد الجهد والتعب الذي يحصل بسبب الإنتشار والعمل في النهار، فهما من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، ولولا هما لعدمت الحياة، وأصبح نصف الأرض المواجهه للشمس مسعراً من الحرارة، والنصف الآخر متجمداً من البرودة[2]

وتقابل الآية بين الليل والنهار، لكن أتى في جانب الليل بالفعل فقالوا﴿لِتَسكُنُوا فِيهِ﴾، وفي جانب النهار في بالاسم(مبصراً)، فلم يأت التقابل متساوياً ومتماثلاً، فلم يقل: الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا فيه، ولا .... مظللماً والنهار مبصراً، إنما جاء النظم الكريم بواحدة من هاتين وواحدة من الأخرى فقال ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً.....﴾فحصل بذلك احتباك إذ حذف من جانب الليل أولاً لفظ(مظلماً) لدلالو ضده عليه في الثاني وهو (مبصراً)، وحذف من الثاني (لتنتشروا فيه ولتبتغوا من فضله)

(1) روح المعاني للإمام الآلوسي (146/6)

(2) المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية، د.حامد صادق قنيبي، مكتبة المنار الأردن-الزوقاء (ص54)

لدلالة الأول عليه وهو (لتسكنوا فيه)[1]فذكر علة خلق الليل وهي (السكن والراحة)، وحذفها من النهار، وذكر وصف النهار وهو(مبصراً) وحذفه من جانب الليل، وكل من المحذوف يدل عليه مقابله.[2]وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتنتشروا فيه ولتبتغوا من فضله

وقدم الليل على النهار في الذكر وذلك لأن(الظلمة طبيعة عدمية، والنور طبيعة وجوجية والعدم من المحدثات مقدم على الوجود)[3]، ولأن النهار إنما ينسلخ من الليل ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾[4]، كما أن العلم الحديث قد كشف أن الليل يحيط بالأرض من كل مكان، وإن الجزء التي تتكون فيه حال النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض، ويمثل قشرة رقيقةً تشبه الجلد إذا دارت الأرض سلخت منه حال النهار الرقيقة التي كانت متكونة بسبب انعكاسات الأشعة القادمة من الشمس على الجزئيات الموجودة في الهواء مما يسبب النهار فيحدث بهذا الدوران سلخ النهار من الليل[5]

وفي التعبير في جانب الليل بالحقيقة جمالية في قوله(لتسكنوا فيه)، ففضلاً عما يدل عليه هذا الوصف من هدوء الليل وسكونه، وما يبثه التعبير من راحة نفيسة بعد التعب في النهار، فإن الليل أصبح هو المسكن، والزمان صار مكاناً للسكن والراحة، وهذا واضح لا سيما مع استخدام الحرف(في) الدال على الظرفية، والذي يوحي بهذه الظلمة الساكنة التي تحيط بهم من كل جانب ليعم المكان والزمان سكون من الظاهر والباطن،وكأن الليل قبة ضربت على ساكنيها وأحاطتهم بظلامه[6] وفي إسناد الإبصار إلى النهار مجاز عقلي[7]علاقته زمانية أو سببية، لأنه زمن الإبصار أو سببه، وأفاد هذا الاختصار والإيجاز التفخيم[1]

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (158/9)، وحاشية الصاوي، على الشرح الصغير، أحمد الصاوي،(197/2)، تحقيق ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر (1415هـ - 1995م) مكان النشر لبنان/ بيروت، ومحاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) (3377/9)

([2]) أنظر: البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (93/7)

([3]) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي (83/27)

([4]) سورة يس، رقم الآية 37

([5]) أنظر: سورة القصص دراسة تحليلية، د.محمد مطني الدليمي، (ص460)، تحقيق محمد صالح عطية، الناشر: ديوان الوقف السني(1433هـ-2012)

([6]) الجرس والإيقاع في التعبير القرآني، ياسر الزيدي كاصد، مجلة آداب الرافدين،سنة النشر 1978،(ص335)

([7]) المجاز العقلي(إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما لم يكن يسند إليه في الأصل، على أن يفهم من هذا الإسناد معنى آخر غير المعنى الظاهر، ويسمى التأويل، مثل: الليلة الساهرة، أي الليلة التي يسهر فيها)، المعجم الأدبي، جبور عبد النور،(ص237) دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى 1979

وثمة فائدةٌ في الجمع بين الحقيقة والمجاز في تعبيرٍ واحد في الآية، وهي بيان نعمة الله على عباده، ولولا هذا الجمع لذهبت هذه الخاصية الفنية، فذكر نعمة الله على الإنسان بقوله:(لتسكنوا فيه) ولو قال(ساكناً) لم يكن فيه دلالة نعمةٍ على الخلق من ناحية، ولكانت(لكم) هنا زائدة، فأتى ب (لكم) والفعل(لتسكنوا)للدلالة على قصد هذه النعمة وهي التسخير، ولو قال(ساكناً) لم يكن مجازاً لأن الليل يصح وصفه بالسكون فتحويله إلى الصيغة الاسمية ليس له فائدة معنوية ولا فنية، ولا تقررت دلالة النعمة في صدر الآية كان العدول إلى التعبير بالمجاز بعد ذلك في جانب النهار كسباً فنياً، فعدل من الفعل إلى الاسم، ومن الحقيقة إلى المجاز العقلى فقال(مبصراً)، فجمع بين التعبيرين، الحقيقي والمجازي في الآية نفسها، ودل على المقصد الرئيس من الآية وهو الدلالة على النعمة، بإيجاز بديع، فكسب المعنى والفن معا"[2] وقد أفاد هذا العدول من الفعلية إلى الإسمية معنيين:

1-إننا نبصر في النهار كما قيل ليلٌ نائمٌ، يراد نائم أهله.

2- إنه جعله مبصراً، يبصر أعمالنا، ويكون شاهداً علينا بالخير والشر، فأصبح النهار بوساطة المجاز وكأنه كائن حي له عينان تبصران، فنحن نبصر فيه وهو يبصر أيضاً[3] فجاء لفظ (مبصراً) للنهار على سبيل التشخيص.

وعدل من لفظ (الحركة) في الآية إلى لفظ(ابتغاء الفضل) وذلك لأن الحركة تكون لمصلحة ومفسدة، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة، وهي اشتراك الإعانة بالقوة، وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل، وسلامة الحس، ويستلزم إضاءة الطرف الذي تلك الحركة المخصوصة واقفة فيه ليهتدي المتحرك إلى بلوغ المآرب ويتقي أسباب المعاطب، والآية سيقت للاعتداد بالنعم، فوجب العدول عن لفظ(الحركة) إلى لفظ ردفه وتابعه ليتم حسن البيان[4]

([1]) موسوعة أساليب المجاز في القرآن الكريم،د. أحمد حمد محسن الجبوري (ص162)، دار الكتب العلمية2017

([2]) أنظر: التعبير القرآني، د فاضل صالح السامرائ، أستاذ بكلية الآداب- جامعة بغداد (ص28)

([3]) التعبير القرآني، د فاضل صالح السامرائ(ص29)

([4]) أنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت1403)، (5/370-371)، الناشر: دار الإرشاد لشئون الجامعية- حمص-سورية(دار اليمامة-دمشق-بيروت)

الموضع الثالث

قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ تحقيق لسلب الضرر الوارد في حيز الصلة أي إن يرد أن يصيبك بخير فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ الذي من جملته ما أرادك به من الخير، فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب، وفيه إيذان بأن فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل والكرم من غير استحقاق عليه سبحانه أي لا أحد يقدر على رده كائنا من كان فيدخل فيه الأصنام دخولا أوليا، وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه أو بإيقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكره الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين لأن ما يريده سبحانه يصيب وما يصيب لا يكون إلا بإرادته تعالى للإيذان بأن الخير مقصود لله تعالى بالذات والضر إنما يقع جزاء على الأعمال وليس مقصودا بالذات، ويحتمل أنه أريد معنى الفعلين في كل من الخير والضر لاقتضاء المقام تأكيد كل من الترغيب والترهيب إلا أنه قصد الإيجاز في الكلام فذكر في أحدهما المس وفي الآخر الإرادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر، ففي الآية نوع من البديع يسمى احتباكا[2]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، لأن قوله تعالى: وإن يمسسك بخير مقابلة بالأعم، لأن الخير يشمل النفع وهو الملائم ويشمل السلامة من المنافر، للإشارة إلى أن المراد من الضر ما هو أعم، فكأنه قيل: إن يمسسك بضر وشر وإن يمسسك ينفع وخير. وفي هذه الآية يخاطب الله -ﷻ- نبيه مُحَمَّدا- ﷺ- في جانب من جوانب العقيدة، وهو جانب الخير والضر (فالضر نتيجةٌ لازمة لسنة الجارية حين يتعرض الإنسان لأسبابه،

([1]) سورة يونس، رقم الآية 107

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(186/6)

وكذلك الخير)[1] يخاطبه بأنه إن مسه أو مس غيره الضر فلا كاشف ولا دافع لهذا الضر إلا هوﷻ، وإن يردك أو أياً غيرك بخيرٍ فلا أحدُ يستطيع منعه عنك، لأنه من فضله سبحانه وتعالى يصيب أياً شاء من عباده ويوضح هذا قولهﷺ: **(يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)**[2]

ويلاحظ في الآية أنه أتى بلفظ المس في جانب الضر، وبلفظ الإرادة في جانب الخير، وحذف من كلٍ ما اثبت في الأخرى.

قال الزمخشري: (فان قلت: لم ذكر المس في أحدهما، والإرادة في الثاني؟ قلت: كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعاً: الإرادة والإصابة في كل واحد من الضرّ والخير، وأنه لا رادّ لما يريده منهما، ولا مزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المسّ وهو الإصابة في أحدهما، والإرادة في الآخر، ليدلّ بما ذكر على ما ترك)[3] وبهذا وقع حذف من الطرفين على سبيل الاحتباك، ولكن الزمخشري سماه إيجازا ولم يسمه احتباكا، أما غيره فقد سماه احتباكاً، لأنه ذكر المس في الجملة الأولى دليلاً على إرادته ثانيا والإرادة في الجملة الثانية دليلا على حذفها أولاً، ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر[4]. وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

وإن يرد الله مسك بضر فلا كاشف له إلا هو

وإن يرد الله مسك بخير فلا راد لفضله

([1]) في ظلال القرآن لسيد قطب إبراهيم، (1825/4) دار النشر: دار الشروق القاهرة.

([2]) مسند الإمام أحمد ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة، حديث رقم (2669)(293/1)

([3]) الكشاف للإمام الزمخشري(ص 476)

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(201/11-200)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي، (218/9)، ومحاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) (9/ 3405)

والنظم بالاحتباكّ فيه تنبيه على أن الرسول ﷺ مراد بالخير بالذات، وبالضر بالعرض، تطبيقا لقلبه، لما تكرر في هذه السورة من إحقاق العذاب على الكافرين والفاسقين والتيئيس من الظالمين، فلما تقرر ذلك حسن موقع قوله مبيناً ذلك الفضل(يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)[1]

وهذا الترتيب في النظم جاء لاقتضاء المقام تأكيد كل من الترغيب والترهيب[2]ومن لطائف الآية تقديم لفظ الضر على الخير، وذلك لأنه أخر لفظ الضر في الآية التي قبلها﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ فناسب أن يكونّ الابتداء بجملة الشرط المتعلقة بالضر، وقدم كذلك لأن الكفار لما كان يتوقع منهم الضر للمؤمنين، ولا يرجي منهم النفع لهم، كان تقديم جملة الضر أكد في الإخبار، ولهذا بدئ بها[3]

ولا يخفى ما لجمالية المقابلة بين الجملتين في الآية الكريمة[4]وتزداد هذه الجمالية في المطابقة بين الضر والخير مطابقة معنوية لا لفظية، لأن الضر يقابله النفع، والخير يقابله الشر، فجاء لفظ (الضر) أخص وألطف من لفظ (الشر)، وجاء لفظ (الخير) أتم من لفظ(النفع) فضلاً عن ذلك أن لفظ(المس) أوجز من لفظ (الإرادة)، وأنص على الإصابة وأنسب لقوله: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾، ولفظ (الإرادة) أدل على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره، وأنه أنسب للفظ (الخير)[5]

ومن دقائق الآية العدول من: (وإن يرد بك الخير)، إلى قوله تعالى في النظم الكريم:﴿**وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ**﴾ وسبب هذا العدول تعلق كل واحدٍ منهما بالآخر، فجاز إبدال كل واحدٍ منهما بالآخر. وأفاد هذا التقديم زيادة العناية بالإنسان فقوله﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾، يدل على أن المقصود هو الإنسان وأن سائر الخيرات مخلوقة لأجله، كما قال ﷻ:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[6]، وهذه الدقيقة لا تستفاد إلا من هذا التركيب[7]

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (9/ 219 -218)

([2]) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)(9/3405-3404)

([3]) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (196/5)

([4]) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، (566/1) الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، (1417 هـ - 1997 م)

([5]) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (196/5)

([6]) سورة البقرة، رقم الآية 29

([7]) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي (182/17)

وفي استعمال لفظ (الفضل) في قوله تعالى: ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾إشارة إلى أن كل الخير وكل النعم منه ﷻ بطريق التفضل والكرم، من غير استحقاق عليهﷻ، فلا أحد يستطيع رد فضله كائنا من كان، وتدخل في ذلك الأصنام وغيره[1]

وقد رجح ﷻ جانب الخير على جانب الضر والشر ، من حيث إنَّه ﷻ بين في جانب الضر أنه ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾، وهذا يدل على أنه ﷻ يزيل المضار، لأن الاستثناء من النفي إثبات، وعندما ذكر الخير لم يقل بأنه يدفعه بل قال ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ ومن ناحية أخرى ذكر في جانب الخير أنه﴿**يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾، وهذا يدل على أن جانب الخير والرحمة أقوى وأغلب.

ثم ختمت الآية الكريمة بصفتين جليلتين وهما:﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ التين تدلان على الرحمة ومغفرة الذنوب ومحوها، وكما جاء في الحديث: (وسبقت رحمتي غضبي)[2]، وهذا الأمور تدل على قوة جانب الخير والرحمة.[3]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة هود

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة هود: ﴿قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ ﴾[4]

نص ما قاله المؤلف

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(11/ 200 -201) وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)(278/3) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

([2]) صحيح البخاري= لجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ و﴿والطور وكتاب مسطور﴾، حديث رقم (7114)(2745/6)

([3]) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي (182/17)

([4]) سورة هود، رقم الآية 48

وفي الآية صنعة الاحتباك لأنه حذف من الثاني ما ذكر في الأول، وذكر فيه ما حذف من الأول، والتقدير سلام منا عليك وبركات، أو وبركة منا عليك[1]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً والإمام الآلوسي يوافق مع المتقدمين الآخرين في إبراز جانب الاحتباك إلا أنه يوضح ويوظف الاحتباك بتقدير الآية والاسم بدون ذكر وجه البلاغي. في هذه الآية يبرز التقابل حسن ثواب أهل الطاعة وقبح عذاب أهل المعصية ترغيباً وترهيباً، وذلك في قوله تعالى: ﴿**قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2] ففيه موضعان للقول بالحذف، **الأول**: في قول الحق ﷻ: ﴿**قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾ففي ذكر البركات والسلام أولاً دليل على نفيهما ثانياً، والمتاع ثانياً دليل على حذفه أولاً[3] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (لا نمتعهم) لدلالة ذكر﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(لا بركات عليهم منا ولا سلام)؛ لدلالة ذكر ﴿بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ﴾ في الطرف الأول: ويكون التقدير الآية الكريمة:

قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك، لا نمتعهم بالدنيا إلا قليلاً، ولهم إذا رجعوا إلينا نعيم مقيم، وأمم سنمتعهم في الدنيا ولا بركات عليهم منا ولا سلام، ثم يمسهم منا عذاب أليم[4]

فلو قيل: لو ذكر البركات والسلام أولاً دليلاً على نفيهما ثانياً، والعذاب الأليم ثانياً دليلاً على حذفه أولاً لكان أدق؛ لانتظامه مع نسق تركيب النظم أولاً، ولجمال صورة الاحتباك ثانياً، ولاتفاق المقصود منه في القولين ثالثاً، وسره أنه ذكر أفضل ما يكون للمستجيبين لأمره ترغيباً في الإقبال على الحق، وأنكأ ما للمعرضين ترهيباً من سوء الصنيع.

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(270/6)

([2]) سورة هود، رقم الآية 48

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(296/9)

([4]) أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم مواقعه وأسراره(ص510)

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك–كما في التأويل الثاني– أسهم في إبراز خاصية الثواب المقيم الذي أعده الله لسيدنا نوح عليه السلام ولمن آمن معه– فحل لهم من الله الأمن والبركات، وسبقت لهم منه السعادة، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم–، وما أعده لأهل الشقاء من ذريته عليه السلام، فسيمتعهم الله في الحياة الدنيا إلى أن يبلغوا آجالهم، ثم يذيقهم عذاباً مؤلماً موجعاً[1] فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام حمل النظم على الحذف؛ لما يحققه من معان عظام تبرز المقصد الأعظم المتضمن بيان "أحكام البشارة والنذارة بالعاجل والآجل"[2] أما السياق الخاص فهو أشد بياناً للقول بالحذف؛ لما تحقق فيه من ذكر فضل الله لأهل الطاعة الذين كفروا بنوح عليه السلام ترغيباً وترهيباً. فأصل المراد متحقق في الركنين الجوهرين، **الأول**: في إحلال السلام والبركات الموجبة النجاة من الهلاك، والثاني في ذكر ما أعده لأهل المعصية من العذاب الأليم؛ لجريهم على غير هدى، ولجرأتهم على مخالفة أمر الله، وفي تبصر دلالة الخطاب إشارات علية تبرز عظيم القدرة الإلهية، لذا بني الفعل﴿قِيلَ﴾للمفعول دلالة على العظمة والجلال التي تكون لأجله الأمور العظيمة بأدنى إشارة[3] ومن أبرز جواهر المعاني التي يحققها القول بالحذف الدعوة إلى المحافظة على الإيمان؛ لينال بنو الإنسان شرف سعادته في الدارين، وفي إعلام البشر بما هو غيب عنهم نعمة علية ترشدهم إلى دلائل وحدانية الله، وتعلمهم لزوم العلم ونبذ الجهل، فإن في العلم نوراً للأبصار والبصائر، وفي الجهل طمساً للعقول والأفهام. كما أسهم الحذف في إحداث علائق ربط جديدة بها تحقق أن في لزوم الإيمان والدعوة إليه آمناً وسلاماً واطمئناناً بها تحصل البشرى والنجاة لكل من آمن إلى يوم القيامة، وفي لزوم الكفر والدعوة إليه خوف ورعب بهما يحصل العذاب لكل من كفر إلى يوم القيامة[4]

أما الموضع الثاني: ففي قول الحقﷻ: ﴿**اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ**﴾،وفي الآية صنعة الاحتباك لأنه حذف من الثاني ما ذكر في الأول، وذكر فيه ما حذف من الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

بسلام منا عليك، وبركات منا عليك[5]

([1]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) (55/12)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (224/9)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(296/9)

([4]) الجامع لأحكام القرآن الكريم، مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي(55/12) وما بعدها بتصرف

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي (270/6)

فالمحذوف من الطرف الأول(عليك)؛ لدلالة ذكر ﴿عَلَيْكَ﴾في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (منا)؛ لدلالة ذكر﴿مِنَّا﴾ في الطرف الأول.فصورة الاحتباك السابقة أدق وأشمل من حيث إبانة الغرض المقصود، لذا فالأنسب للنظم الاقتصار على الموضع الأول.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الرعد

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

...سواء منكم إنسان هو مستخف وآخر سارب،...وجوز أن يكون على مُسْتَخْفٍ واستشكل بأن سواء يقتضي ذكر شيئين فإذا كان سارب معطوفا على جزء الصلة أو الصفة لا يكون هناك إلا شيء واحد، ولا يجيء هذا على الأول لأن المعنى ما علمت وأجيب بأن مَنْ عبارة عن الاثنين كما في قوله: تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان، فكأنه قيل: سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار[2]

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً، وهو يوافق مع المفسرين الآخرين في إبراز جانب الاحتباك في الآية إلا أنه يذكر تقدير الآية فقط بدون اسم الاحتباك. نجد يأتي التقابل بين الصفات على طريقة الاحتباك في قول الله تعالى: ﴿**سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ**﴾[3]ففي قول الحق ﷻ:﴿مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ﴾ذكر مستخف أولاً دال على ضده ثانياً،

([1]) سورة الرعد، رقم الآية 10

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(105/7)

([3]) سورة الرعد، رقم الآية 10

وذكر (سارب) ثانياً دال على ضده أو مثله أولاً(له) أي لذلك المستخفى أو السارب [1] وعليه يكون المحذوف من الطرف الأول سارب أو كامن؛ لدلالة ذكر﴿وَسارِبٌ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (ظاهر) لدلالة ذكر﴿مُسْتَخْفٍ﴾ في الطرف الأول. وعليه يكون تقدير **الأول: ومن هو مستخف بالليل،كامن فيه، ومن هو ظاهر، وسارب بالنهار. والثاني: ومن هو مستخف بالليل فسارب، ومن هو سارب، وسارب بالنهار**[2]

وسره: وأنه ذكر الخفي أولاً؛ ليدل على عظيم قدرته وشمول علمه، ثم الأظهر ثانياً؛ ليدل على أن تلك القدرة سواء عنده، "فذكر الاستخفاء مع الليل؛ لكونه أشد خفاء، وذكر السروب مع النهار؛ لكونه أشد ظهوراً، والمقصود أن هذين الصنفين سواء لدى علم الله" [3] "وتقديم الإسرار والاستخفاء لإظهار كمال علمه، فكأنه في التعلق بالخفيات أقدم منه بالظواهر، وإلا فنسبته إلى الكل سواءٌ" [4]

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم في إبراز حقيقة التفرد الإلهي لله في إثبات مطلق العلم، فسواء عنده سر خلقه وعلانيتهم، في ليلهم ونهارهم، سكونهم وحركتهم.[5]

فتحقق بالحذف تقرير مبدأ كمال علم الله وشموله[6] فالسياق العام والخاص وقرائن الأحوال اسهمت في تثبيت ذلك المبدأ، ليعلم البشر حقيقية علم الله المستلزم التوحيد، إذ شمل علمه كل من هو مستخفٍ في ظلام الليل، وكل من هو ظاهر في بياض النهار[7] وهذا ما أبرزته المعاني الجوهرية في سياقها العام الساعي إلى التنبيه وبسط الدلالات والتذكير بعظيم الآيات الدالة على القدرة والاختيار، والخاص بما تحقق فيه من البيان لاستواء الغيب والشهادة بالنسبة إلى علم الله، ونفي ذلك عن غيره[8] وفي حمل النظم على الاحتباك جملة ثرية من لطائف المعاني تدعوا في المقام الأول إلى أن جنس بني الإنسان بحاجة إلى إيضاح دلائل علم الله

([1]) نظم الدر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (291/10)

([2]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (105/7)

([3]) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور(99/13)

([4]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (8/5)

([5]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري (113/13)

([6]) أنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (8/5)

([7]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبو جعفر الطبري (113/13)وما بعدها

([8]) أنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) (320/3)

المطلق؛ لتوطين النفوس على مقاومة ما ينافي الإيمان، وإمتثال ما يدعوا إليه، فكل من حرص على زيادة إيمانه، بتأمل دلائل كمال القدرة ومطلق العلم، أصبح ممن يعبدون الله عن علم، وهذا من أعظم علامات رسوخ الإيمان في القلب، وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علائق ربط جديدة أسهمت في تأكيد شمول علم الله بأحوال العباد الظاهرة والباطنة من خلال ما تشكل في الذهن من الحذف، إذ أصبح في مقابل كل طرف مذكور آخر محذوف يعمق معناه ويبرز دلالاته[1]

الموضع الثاني:

قال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

وفي الآية صنعة الاحتباك لأنه حذف من الثاني ما ذكر في الأول، وذكر فيه ما حذف من الأول[3]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً اقتضاه السياق "يريكم ذلك إخافة وإطعاماً، فتخافون خوفاً وتطمعون طمعاً، فعل الإرادة على الإخافة، والإطعماع، والخوف والطمع دالان على تخافون وتطمعون"[4] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(لأجل إرادة الخوف)؛ لدلالة ذكر﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(لأجل إرادة الطمع في رحمته)؛ لدلالة ذكر﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾في الطرف الأول، ويكون التقدير في هذه الآية الكريمة:

هو الذي يريكم البرق خوفاً؛ لأجل إرادة الخوف من قدرته

ويريكم البرق طمعاً؛ لأجل إرادة الطمع في رحمته

([1]) أنظر: أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم مواقعه وأسراره (ص228)

([2]) سورة الرعد، رقم الآية 12

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(118/13)

([4]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(294/10)

أو: يكون النصب على المصدر أي: تخافون خوفاً وتطمعون طمعاً[1]، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(تخافون)؛ لدلالة ذكر:﴿خَوْفًا﴾، ومن الطرف الثاني حذف(تطمعون)؛ لدلالة ذكر﴿وَطَمَعًا﴾

وسره أنه ذكر الأهم للدلالة على مطلق إنعام الله؛ ليتحقق للبشر حسن مراعاتها، ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي للحذف صورة أخرى[2] أسهمت في التذكير بمطلق القدرة ومنتهى الرحمة. فالآية في تراكيبها متلاحمة متلاصقة، مبينة مظهراً من مظاهر قدرة الله وعجيب صنعه؛ إذ ترسم مشهداً علوياً هائلاً يؤذن بالرعب والخوف الشديد، وتلك نقلة عجيبة في سياق الآيات بارعة في نقل الحس والشعور، فمن روائع النظم ذكر البرق، والرعد، والسحاب الثقال، وبجانب تلك الظواهر تساق لفظتان: هما﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾؛إذ إن الظواهر السابق ذكرهما من برق ورعد وسحاب تحدث في النفس البشرية أمرين هما: الخوف، والطمع، ولا ثالث لهما، وهذا التعبير من براعة صحة التقسيم[3] فليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق، والطمع في الغيث[4]فتحقق الإعلام بأن جعل البرق خوفاً وطمعاً لطفاً جليلاً من الله؛ لإرشاد النفوس،لتأمل جليل تلك النعمة وعظيم تلك القدرة، وهذا حق لله يعد من أسمي مبادئ تعلم المرء دينه.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة إبراهيم

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[5]

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(118/13)

([2]) ومثل هذه الصورة قول الحق:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الروم:24)

([3]) وهو: (أن تذكر متعدداً ثم تضيف إلى كل منها ما هو له) التبيان في البيان، للإمام الطيبي (ص332)

([4]) النظم القرآني في سورة الرعد، محمد بن سعيد بن حسن الدبل، الرياض عالم الكتب، الطبعة بدون، (1401هـ-1981م)، (ص88) وما بعدها

([5]) سورة إبراهيم، رقم الآية 22

نص ما قاله المؤلف

إن الله سبحانه وعدكم وعد الحق فوفاكم وأنجزكم ذلك وَوَعَدْتُكُمْ وعد الباطل وهو أن لا بعث ولا حساب ولئن كانا فالأصنام تشفع لكم فَأَخْلَفْتُكُمْ موعدي أي لم يتحقق ما أخبرتكم به وظهر كذبه.

التحليل والدراسة

بين الإمام الآلوسي الاحتباك وصورته كذا، في هذه الآية مقابلة بين الجملتين الأولى أن الله سبحانه وعدكم وعد الحق فوفاكم وأما الأخرى فهي ووعدتكم وعد الباطل-كما قاله- فأخلفتكم موعدي أي لم يتحقق ما أخبرتكم به وظهر كذبه، وفي هذا الموضع أبرز الاحتباك حسن إتباع دعوى الرسل ترغيباً، وقبح الإعراض وإتباع هوى الشيطان ترهيباً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[1]ففي قول الحق: ﴿وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾احتباك، ذكر (وعد الحق) أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً، و(أخلفتكم)ثانياً دليلاً على حذف(صدقكم) أولاً[2] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف (صدقكم)؛ لدلالة ذكر ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(وعد الحق)؛ لدلالة ذكر ﴿وَعْدَ الْحَقِّ﴾في الطرف الأول، أي: إن الله سبحانه وعدكم وعد الحق فوفاكم وأنجزكم ذلك وَوَعَدْتُكُمْ وعد الباطل وهو أن لا بعث ولا حساب، ويكون التقدير الآية الكريمة:

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق، فصدقكم فيه ووفي لكم، ووعتكم وعد الباطل، فأخلفتكم[3]

([1]) سورة إبراهيم، رقم الآية 22

([2]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (380/7)

([3]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (196/7)

وسره أنه ذكر وعد الحق أولاً ثم أضمر ضده؛ لكونه متحقق الوقوع لا محالة، وفي هذا ما يدعو إلى الترغيب في الرجوع إلى الحق، حيث ثبت بالبرهان والدليل القاطع القدرة الإلهية على الإعادة بعد الموت، ثم ذكر الإخلاف ثانياً وأضمر ضده؛ تصويراً لبشاعة الجرم الذي افترفوه، وهو اتباع طريق الظلال، إعلاماً بأن ضلالهم عائد عليهم.

فالنمط التركيبي لطيبعة الاحتباك أسهم في ترسيخ مبدأ جليل تضمن إبراز الدعوة إلى اتباع الرسل(عليهم الصلاة والسلام)؛ لصحة دعواهم، وصدق ما وعدوا به عن ربهم، والتحذير من دعوى الباطل واتباع الشيطان؛ لبطلان ما يدعو إليه وكذب ما وعد به؛ تسجيلاً على أهل الضلالة، وقمعاً لسقوطهم في مراتع الكفر[1] فتحقق بالاحتباك التبشير لمن أجاب دعوى الحق في الوفاء بصدق ما وعدوا به، والتحذير لمن أبى واتبع الباطل، فما منى به الشيطان إلا زيغ.

فالأنفع للسياق والأولى لما يقتضيه المقام القول بالحذف على نسق الاحتباك؛ لما فيه من تحقق الدعوة إلى امتثال دعوى الرسل بالاتباع لهم، واجتناب دعوى الباطل بالمخالفة والإعراض عنهم، وهذا ما يعضده السياق العام للسورة، إذ إن مقصدها الأعظم "التوحيد، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله"[2] فلا مخرج من الظلمات والظلالات إلا بحسن الاتباع وتمام الانقياد. أما السياق الخاص فتحقق فيه إخبار المضلين بكيد الشيطان ومكره، ولما كان الشيطان أعظم المستكبرين، حذر منه؛ لأنه يعد أولياءه ويمنيهم بانهم الفائزون في الدنيا والآخرة[3] فيوقعهم في الظلال من أجل الإقبال والاستمرار على طاعته في الدنيا، فيتحقق لهم العذاب من الله؛ لتلبسهم بالضلال والإضلال[4] فأصل النظم يكشف عن عظم الرب في تحقق وعده يوم القيامة؛ لإثبات أنه وعد صدق لا نقص فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾فوفى لكم بوعده[5] وخبث الشيطان في سوق الإنسان إلى ما يهلكه ويخزيه يوم القيامة، إذ لا نفع لإيمان فات زمن الإقبال عليه، ففي تبصر دلالة الحذف تشويق للنفوس المؤمنة العاملة بحسن الاتباع والانقياد يريح فيها حب لزوم العمل بما تقتضيه الدعوة

([1]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور (219/13)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (369/10)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (406/10)

([4]) أنظر: البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (408/5)

([5]) أنظر:جامع البيان عن تأوبل آي القرآن، لأبو جعفر الطبري (200/13) والتحرير والتنوير لإبن عاشور (219/13)

السماوية، وإرعاب يزلزل النفوس الطاغية بغية إرشادها إلى طريق الرشد والصواب؛ كي لا تتعرض لشدة عذاب اتباع الشيطان. فمن أبرز المعاني التي يحققها الحذف الإرشاد إلى التحصن المنيع من الوقوع في مكر الشيطان؛ لشدة عداوته لبني الإنسان: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1] فمحاولة نزع الإيمان نفسه من دوام الغفلة هو الأهم في بعث اليقظة الإيمانية الموصلة إلى الصعود في سلم الإيمان؛ ليعلم المرء أن تحقق صدق الوعد من الله ﷻ وعد حق وخبر صدق لا ريب فيه، وبطلان صحة ما يدعو إليه الشيطان بما يؤكد حقيقة كذبه وعجزه عن حفظ نفسه[2] نعمة علية توجب العلم بصدق الله في تحقق وعده بالبعث،والجنة والنار وثواب المطيع، وعقاب العاصي، فترغب في الإيمان به، وكذب الشيطان في وعده أن لا بعث، ولا جنة ولا نار، ولا ثواب ولا عقاب فتحذر منه[3] ف" المقصود من وصف هذا الموقف: إثارة بغض الشيطان في نفوس أهل الكفر؛ ليأخذوا حذرهم بدفاع وسواسه؛ لأن هذا الخطاب الذي يخاطبهم به الشيطان مليء بإضماره الشر لهم فيما وعدهم في الدنيا مما شأنه، أن يستفز غضبهم من كيده لهم وسخريته بهم، فيورثهم ذلك كراهية له" [4] فالعلم يجلب الخشية التي هي من أهم مبادئ رسوخ الإيمان، ويبعد الغفلة عن الإيمان بتحقق الموت والدار الآخرة. وللاحتباك أثر علي في استنباط في معانٍ ذات دلالات جمة، من أجلها: إعلام المرء أنه لا ينفعه الاعتراف بالحق في دركات النار يوم القيامة،لأنه ليس بنافع ذلك نعنة جليلة يحسن العمل بها؛ لينجو من عذاب يوم القيامة[5] فتحقق أن التصديق بوعد الله في الدنيا نافع في الآخرة لمن عمل به، وصدق الكفار به في القيامة غير نافع لهم[6] وثمة لطيفة أخرى تدل على (أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه، وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التزيين)[7] لذا جاء النظم على نحو: ﴿فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

([1]) سورة النساء، رقم الآية 120

([2]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبو جعفر الطبري (202/13)،

([3]) الجامع لأحكام القرآن الكريم، أبو عبد الله القرطبي(356/9)

([4]) التحرير والتنوير لإبن عاشور(218/13)

([5]) الجامع لأحكام القرآن الكريم، أبو عبد الله القرطبي (358/9)

([6]) الجامع لأحكام القرآن الكريم، أبو عبد الله القرطبي(356/9)

([7]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) (374/3)

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

ألم تنظر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ أي شكر نعمته تعالى الواجب عليهم ووضعوا موضعه كُفْراً عظيما وغمطا لها، فالكلام على تقدير مضاف حذف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو المفعول الثاني وكُفْراً المفعول الأول، وقد لا يحتاج إلى تقدير على معنى أنهم بدلوا النعمة نفسها كفرا لأنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبيها موصوفين بالكفر، والوجهان كما في الكشف خلافا لما قرره الطيبي وتابعه عليه غيره متفقان في أن التبديل هاهنا تغيير في الذات إلا أنه واقع بين الشكر والكفر أو بين النعمة نفسها والكفر، والمراد بهم أهل مكة فإن الله سبحانه أسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله تعالى بدل ما ألزمهم من الشكر العظيم، أو أصابهم الله تعالى بالنعمة والسعة لإيلافهم الرحلتين فكفروا نعمته سبحانه فضربهم ﷻ بالقحط سبع سنين وقتلوا وأسروا يوم بدر فحصل لهم الكفر بدل النعمة وبقي ذلك طوقا في أعناقهم[2]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية شبه احتباكاً، والإمام الآلوسي لم يذكر الاحتباك بالاسم ولكن توضيحه يبرز الوجه البلاغي على أحسن وجه. يقول تعالى- مبينا حال المكذبين لرسوله من كفار قريش وما آل إليه أمرهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً﴾ ونعمة الله هي إرسال الرسولﷺ إليهم، يدعوهم إلى إدراك الخيرات في الدنيا والآخرة، وإلى النجاة من شرور الدنيا والآخرة، فبدلوا هذه النعمة بردها، والكفر بها والصد عنها بأنفسهم.وصدهم غيرهم حتى ﴿أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ﴾وهي النار حيث تسببوا لإضلالهم، فصاروا وبالا على قومهم، من حيث يظن نفعهم، ومن ذلك أنهم زينوا لهم الخروج يوم بدر ليحاربوا الله ورسوله، فجرى عليهم ما جرى، وقتل كثير من كبرائهم وصناديدهم في تلك الواقعة[3] لأن في هذه الآية لكون المحذوف من

([1]) سورة إبراهيم، رقم الآية 28

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (205/7)

([3]) أنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)(426/1)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى(1420هـ -2000 م)

الطرف الأول(شكرها) لدلالة ذكر﴿كُفْراً﴾ في الطرف الثاني(نقمة)؛ لدلالة ذكر﴿نِعْمَتَ﴾ في الطرف الثاني، ويكون التقدير الآية الكريمة:

بدلوا نعمة الله وشكرها كفراً بها ونقمةً منه[1]

وسره: أنه ذكر أفضل ما من به عليهم من النعم ترغيباً في لزوم شكرها، وأقبح ما كان منهم في مقابلة تلك النعم ترهيباً من كفرها؛ إذ "وضعوا الكفران محل الشكر، فاستعملوا النعمة للكفر، بدلاً من استعمالها فيما كان ينبغي لها من الشكر"[2]

فالأعلى بمقام الخطاب والأولى لما يقتضيه السياق حمل النظم على شبه الاحتباك؛ لما فيه من المساهمة في إبراز الجانب الإيماني من خلال تقبيح صورة الكافرين في لزوم الجحود والنكران، وبتبصر دلالة السياق العام يتضح حسن الحذف؛ لأن مقصد الصورة الأساسي متمثل في تحقيق الدعوة إلى التوحيد[3] فمن فيض رحمانيته إرسال الرسل رحمة، ونعمة للخلائق، فمن أقبل وشكر دخل الجنة، ومن أعرض وكغر دخل النار، والخاص مختص بالحديث عن كفار أهل مكة[4] فبعد عن ذكر حال المؤمنين وهداهم، وحال الكافرين وإضلالهم، ذكر السبب في إظلال المشركين وهو تبديل نعمة الله كفراً[5] فتحقق بالحذف تأكيد قبح إعراضهم عن شكر أنعم الله، والتي من أجلها نعمة إرسال مُحَمَّدﷺ بالتوحيد إليهم، فلم يصدر منهم أدنى شكر، ولأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفراً، فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر"[6] وفي تدبر دلالة الاحتباك تحذير بالغ يكشف عن قبح ملازمة الجحود والنكران، وحث يرشد إلى الحرص على دوام شكرها، فإن في دوام شكرها تأكيد بقائها.

([1]) التحرير والتنوير لإبن عاشور (228/13)

([2]) لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيرى بن هوازن، (251/3)، تحقيق: إبراهيم بسيونى الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكان الطبع مصر

([3]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (369/10)

([4]) أنظر: جامع البيان عن تاويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري (219/13)

([5]) أنظر: البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (419/5)

([6]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (377/2)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الإسراء

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وفي ذلك ما هو من قبيل الاحتباك حيث ذكر في أحد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل، وجعله ابن المنير مقابلا للقسم الأول على معنى فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فهو الذي يتبصره ويقرؤه ومن كان في الدنيا أعمى غير متبصر في نفسه ولا ناظر في معاده فهو في الآخرة كذلك غير متبصر في كتابه بل أعمى عنه أو أشد عمى مما كان في الدنيا على اختلاف التأويلين وهو خلاف الظاهر.ويشعر أيضا بأن من كان في الدنيا أعمى عن السلوك في طريق نجاته لا يقرأ في الآخرة كتابه وهو خلاف المصرح به في الآيات والأحاديث[2]

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً ويوافق مع المفسرين الآخرين في إبراز جانب الاحتباك في الآية ويوضح الآية بنوع من التفصيل، وبتوضيحه يبرز الوجه البلاغي على أحسن وجه.

وقال الإمام البقاعي: في هذه الآية احتباك، (أثبت الإتيان باليمين والقراءة أولاً دليلاً على حذف ضدهما ثانياً، وأثبت العمى ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً)[3]، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (فهو في الآخرة أبصر)؛ لدلالة ذكر﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(ومن أوتي كتابه بشماله)؛ لدلالة ذكر﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

([1]) سورة الإسراء، رقم الآية71-72

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(117/8)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (479/11)

فمن أوتي كتابه بيمينه فهو في الآخرة أبصر وأهدى سبيلاً، فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يضلمون فتيلاً، ومن أوتي كتابه بشماله فهو لا يقرأ كتابه، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً[1]

وسره أنه ذكر ما يكون لأهل الإيمان تشريفاً وتبشيراً، "إبانةً لخطر الكتاب المؤتى، وتشريفاً لصاحبه وتبشيراً له من أول الأمر بما في مطاوية" ثم عاد فذكر ما يكون لأهل الكفر والضلال تحقيراً، " فهو لا يهتدي إلا ما ينجي ولا يظفر بما يجديه... وقد ذكر في أحد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب، ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر؛ تعويلاً على شهادة العقل"[2]

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب الشديد من هول القيامة، والترغيب في اقتناء الفضائل اقتداءً بأهل الإيمان في إيمانهم، فالقول به في هذا الموضع ذو اعتلاق بالغ بدلالة السياقين العان والخاص؛ لما تحقق في العام من تقرير حقيقة التوحيد الداعي إلى امتثال الإيمان لأجل الجزاء على الأعمال[3] والخاص لما تحقق فيه من إثبات حقيقة الآخرة وما فيه من الجزاء، فأصل المراد–القائم في ذكر حال البشر يوم القيامة ترغيباً وترهيباً–متحقق في الركنين الجوهرين؛ الأول: في إبراز حال أهل السعادة في الآخرة يؤتون كتبهم بأيمانهم، وحذف مقابله، وهو حال أهل الشقاوة يؤتون كتبهم بشمائلهم، والثاني: في الإخبار بأن من كان في الدنيا معرضاً عن دلائل خلق الله، كافراً بها جاحد واحدانيته، هو في الآخرة أعمى عن طريق الخير وأشد ضلالاً[4] وحذف مقابله، وهو حال من أقبل على آيات الله، فهو في الآخرة أبصر وأهدى سبيلاً، وفي تدبر دلالة الاحتباك أثر فاعل في إرشاد العباد استعداداً ليوم الحساب، فالأتقياء فيه يعطون كتبهم بأيمانهم، والأشقياء بشمالهم؛ مما يدفع القلوب الغافلة إلى امتثال طريق الحق. وثمة لطيفة أخرى يحققها الحذف، وهي إعلام البشر بأن الذين حصل لهم عمى القلب في الدنيا إنما حصل لهم؛ لشدة حرصهم على تحصيلها وابتهاجهم بلذاتها وشهواتها[5]

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (187/5)

([2]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (188/5)

([3]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (286/11)

([4]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور (170/15)، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، دار النشر: دار الشروق القاهرة (2241/15)

([5]) أنظر: التفسير الكبير لفخر الدين الرازي (16/21)

وفي الإعلام بهذا نعم جليلة تدفع إلى ترك الدنيا والعمل لها، ويغرس في النفوس حب الآخرة والإقبال عليها، كما أن في استشعار الأهوال والموقف المهيل المفزع إيقاظاً لجانب الخوف من الله، وهذا من أسمى مبادئ رسوخ العقيدة في القلب؛ لأن الخوف من الله ينتج الإيمان الصادق الصحيح من خلال تأمل دلائل خلقه ومظاهر عظمته، فتزداد الرغبة في العمل لأجل الآخرة.كما أسهم الحذف بأثر بارز يبعث في النفس حب العدل وتجنب الظلم، فمن العدل أن يلقى المرء ثمرة غرسه حين حصادها، فيحصل سعادته ورضاه، أو شقاوته وسخطه.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الكهف

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الكهف: ﴿**قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا* مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا*وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وفي الآية صنعة الاحتباك حيث حذف من الأول ما ذكر فيما بعد وهو المنذر وحذف مما بعد ما ذكر في الأول وهو المنذر به. وتعقب بأنه يؤدي إلى خروج سائر أصناف الكفرة عن الإنذار والوعيد[2]

التحليل والدراسة

بين الإمام الآلوسي الاحتباك وصورته كذا، في هذه الآية ذكر المفعول الثاني مع فعل الإنذار الأول، وذكر المفعول الأول مع فعل الإنذار الثاني، وجاء النظم بالاحتباك إذ حذف المنذر أولاً لدلالة الثاني عليه، وحذف المنذر به لدلالة الأول عليه، وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة[3] أي أنه حذف مع فعل

([1]) سورة الكهف، رقم الآية 2-4

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(194/8)

([3]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (203/15)، والبحر المحيط لأبو حيان الأندلسي(94/6)، وينظر حاشية الصاوي، على الشرح الصغير أحمد الصاوي،(3/3) تحقيق ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر(1415هـ - 1995م)، مكان النشر لبنان بيروت، وأضواء البيان في إيضاح القرآن

الإنذار الأول المنذر وهم (الكافرون والمخالفون)، وحذف مع فعل الإنذار الثاني المنذر به وهو (العذاب) وعلى هذا يكون التقدير الآية الكريمة:

لينذر الكافرين والمخالفين بأسا شديدً من لدنه وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً عذاباً شديداً

وفي الآية تظهر صنعة الاحتباك في عدم ذكر المنذر مع فعل الإنذار الأول، إيذاناً بأن ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني، وأن الأول ظاهر بقرينة ما بعده[1]وحذف لقصد التعميم-ليعم كل من يصح قبوله بالإنذار؛ ثم كرر الإنذار وذكر الإنذار بخصوصه وحذف المنذر به لتقدم ذكره وهذا في غاية الإيجاز.

ولا يخفى ما لجمالية الإطناب بذكر الخاص بعد العام، فبعد ذكر الإنذار العام في قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾،خص الإنذار بقوله﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾وذلك لشناعة دعوى الولد لله سبحانه وتعالى[2]

الموضع الثاني:

قال الله تعالى في سورة الكهف: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا**﴾[3]

نص ما قاله المؤلف

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ من يدله سبحانه دلالة موصولة إلى الحق ويوفقه لما يحبه ويرضاه فَهُوَ الْمُهْتَدِ الفائز بالحظ الأوفر في الدارين، والمراد إما الثناء على أصحاب الكهف والشهادة لهم بإصابة المطلوب والاخبار بتحقق ما أملوه

بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(ت 1393هـ)(332/2) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان عام النشر: (1415 هـ - 1995 م)

([1]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (202/15)

([2]) صفوة التفاسير،محمد علي الصابوني، (760/2-759)

([3]) سورة الكهف، رقم الآية 17

من نشر الرحمة وتهيئة المرفق أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المشفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها فالمراد بمن إما الفتية أو ما يعمهم وغيرهم وفيه ثناء عليهم أيضا وهو كما ترى.
وجعله بعضهم ثناء على الله تعالى لمناسبة قوله سبحانه وَزِدْناهُمْ هُدىً وربطنا وملاءمة قوله عزوجل وَمَنْ يُضْلِلْ يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه فَلَنْ تَجِدَ لَهُ أبدا وإن بالغت في التتبع والاستقصاء وَلِيًّا ناصرا مُرْشِداً يهديه إلى الحق ويخلصه من الضلال لاستحالة وجوده في نفسه لا أنك لا تجده مع وجوده أو إمكانه إذ لو أريد مدحهم لا كتفى بقوله تعالى «فهو المهتد» وفيه أنه لا يطابق المقام والمقابلة لا تنافي المدح بل تؤكده ففيه تعريض بأنهم أهل الولاية والرشاد لأن لهم الولي المرشد، ولعل في الآية صنعة الاحتباك[1]

التحليل والدراسة

فهذه الآية حقيقة الهداية والضلال وإن كليهما بيد الله سبحانه وتعالى، فالذي يهديه الله فلا ضال له، والذي يضل فلا هادي له، فكلاهما بيده وكل بعمله، وهذه الآية من الآيات التي تحكي قصة أصحاب الكهف وكيف أن الله هداهم من وسط مجتمع كافر لأنه علم فيهم الهداية وبما أنه أراد هدايتهم فلا أحد يستطيع إضلالهم .

ومن الملاحظ في الآية أنه ذكر في جانب الهداية الاسم (المهتد)، وحذف عدم إضلاله، واثبت في جانب الضلال عدم الهداية وحذف الاسم وهو (الضال) فحصل بذلك احتباك، فذكر المهتدي في الأول على دلالة على حذف الضال ثانيا، والمرشد ثانياً دليلاً على حذف المضل أولا. ولعل في الآية صنعة الاحتباك [2]
وعلى هذا يكون تقدير الآية:

من يهد الله فهو المهتد ولن تجد له مضلاً غاوياً ومن يضلل فهو الضال وان تجد له ولياً مرشداً

ولم يذكر في جانب المهتد عدم الضلالة، وذكرها في جانب الضال، وذلك لأن من يهديه الله برحمته لا يستطيع أحد إضلاله، لأنه اصطفاه، ولم يذكر الضال في الجملة الثانية لغرض الإيجاز، لأن من يضله الله

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(213/8)
([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (244/15)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(29/12)

فهو الضال ولا هادي له. ولم يذكر لفظ الجلالة في الجملة الثانية إيجازا، ولتعليمنا الاحترام والأدب مع الله ﷻ في عدم نسب الشر إليه[1]

وسره: أنه ذكر أفصل ما يكون لأهل الإيمان ترغيباً، وأسوأ ما يكون لأهل الكفر ترهيباً؛ ليدل على أن مطلق الأمر بهداية المهتدي وإظلال الضال في أي زمان بيده وحده[2] ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي صور أخرى[3] تبرز مطلق التفرد الإلهي في القدرة على الهداية والظلال.

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تدعو في مجملها إلى إثبات أن الهداية والظلال فعل من أفعال الله الخاصة، فمطلق القدرة بيده وحده، من هداه اهتدى ومن أضله لا هادي له[4] فبتبصر دلالة السياقين العام والخاص ما يعلي من شأن الاحتباك، إذ سعى العام إلى "وصف الكتاب بأنه قيم؛ لكونه زاجراً عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل"[5]، والخاص تحقق فيه الاستدلال بعظيم القدرة والعلم بكل شيء. وهذا من أبرز دلائل التوحيد الموجبة الاستسلام لله رباً واحداً، فكشف الاحتباك عن أدق علائق الربط بين المعاني؛ ليبعث في النفوس مبدأ الحرص على جانب مهم من جواتب العقيدة، وهو معرفة الله بكل صفات العظمة والكمال، فبتوحيده تتحقق السعادة، وهي من الله هداية لا تزول إلا بأمره وقدرته، وبالإشراك شقاوة، هي من الله ظلال وحيرته لا تزول إلا بأمره وقدرته، وفي هذا حافز يدفع إلى الأزدياد من فعل الطاعات تقرباً، والبعد عن فعل المعاصي تجنباً، كما تعمق بالحذف دلالة التفرد الإلهي، فالله يهدي قوما بالتأهل في الأدلة والراهين، ومن وسمه بسمة الحرمان لا عرفان ولا علم ولا إيمان لهم[6] فمن خلق الله الهداية في قلوبهم أمعنوا النظر في تبصر آيات الله وانتفعوا بها، ومن خلق الضلالة في قلوبهم أعمى بصائرهم عن طريق الهدى، فيرون الآيات

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(28/12) وما بعدها

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(29/12)

([3]) قول الحق ﷻ:﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾(الإسراء:97)، ((خير الأول يدل على حذف ضده ثانياً، ونتيجة الثاني تدل على حذف ضدها من الأول))، وتقديره: ومن يهد الله يخلق الهداية في قلبه فهو المهتد، ومن يضلل فهو الضال فلن تجد لهم أولياء من دونه)). أنظر: نظم الدرر للإمام البقاعي(516/11). وكذا قول الحق ﷻ:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(الزمر: 23) احتباك ((ذكر أولاً إطلاق أمره في الهداية دليلاً على حذف مثله في الظلال، وثانياً انسداد باب الهداية على من أضله دليلاً على حذف مثله فيمن هداه)) وتقديره: ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن هداه الله فماله من مضل، ويضلل به من يشاء، ومن يضلل الله فماله من هاد.أنظر نظم الدرر للإمام البقاعي(491/16)

([4]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لإبن جرير الطبري(167/15)

([5]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(1/12)

([6])أنظر: لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)(55/4)

ويسمعونها ولا يعلمون أنها آيات فضلاً عن تدبر ما فيها والانتفاع بها؛ لذا ففي حمل النظم على الاحتباك معان ثرية توجه البشر إلى مدارج الطاعات من خلال إطلاق النظر في معالم العظمة والكمال[1]

(1)أنظر: تظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(29/12)

الفصل الثالث

مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة مريم إلى نهاية سورة الزمر)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة طه

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة طه: ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وأصل الكلام: اضمم يدك إلى جيبك تنضم غير بيضاء وأخرجها تخرج، فحذف ما حذف من الأول والثاني، وأبقى ما يدل عليه، فهو إيجاز يسمى الاحتباك[2]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، والإمام الآلوسي يوافق مع المفسرين المتقدمين في إبراز جانب الاحتباك وهو يوظف الاحتباك بالاسم وتقدير الآية بدون ذكر وجه البلاغي. ومن خلال استعراض قصة موسى عليه السلام نلاحظ أنها ذكرت مرات عديدة وبصيغ مختلفة، بالزيادة والنقصان أو التكرار والتغيير في الألفاظ ومن هذه المواطن آية من آيات موسى إلى فرعون وملئه وهي بياض يده من غير مرض، فقد وردت ثلاث مرات وبصور مختلفة:

الأولى في سورة طه: ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى**﴾[3]

([1]) سورة طه، رقم الآية 22

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (494/8)

([3]) سورة طه، رقم الآية 22

والثانية في سورة النمل: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾[1]

والثالثة في سورة القصص: ﴿**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾[2]

فهذه الآيات الثلاث تعرض معجزة من معجزات نبي الله موسى– عليه السلام – بعد أن أرسله ربه إلى فرعون وقومه، وجاءت هذه الآية بعد انقلاب عصاه حية عندما ألقاها على سحر السحرة، فأمر السلام عليه بعدها بأن يدخل يده في جيبه، ومعنى الآية: ادخل يدك تحت إبطك ثم أخرجها تخرج نيرة مضيئة كضوء الشمس والقمر من غير عيبٍ ولا برص.

قال الإمام ابن كثير: (كان إذا ادخل يده في جيبيه ثم أخرجها تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر من غير برصٍ ولا أذىً)[3]

وجمعت هذه الآية من فنون البلاغة ما جمعت من احتباك وكناية واستعارة واحتراس وغيرها من الفنون، وأول هذه الفنون التي سنتناولها الاحتباك، إذ يلاحظ في بداية آية طه أنه قال﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ﴾ ثم قال ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾، فالذي يفهم منه أنه عند دخولها لم تكن يده بيضاء، ولكنه عندما أخرجها خرجت بيضاء، فوقع بهذا حذفٌ من الطرفين على سبيل الاحتباك، فحذف (تدخل غير بيضاء) من الأول، وحذف (أخرجها) من الثاني لدلالة ضدهما عليهما في الأول والثاني، **قال أبو حيان**: (وفي الكلام حذف إذ لا يترتب الخروج على الضم وإنما يترتب على الإخراج والتقدير﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾تنضم وأخرجها(تخرج) فحذف من الأول وأبقى مقابله، ومن الثاني وأبقى مقابله وهو ﴿اضمم﴾ لأنه بمعنى أدخل كما يبين في الآية الأخرى﴿جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ قيل خرجت بيضاء تشف وتضيء كأنها شمس)[4] **وقال الإمام الآلوسي** نحو هذا الكلام: وأصل الكلام: اضمم يدك إلى جيبك تنضم غير

([1]) سورة التمل، رقم الآية 12

([2]) سزرة القصص، رقم الآية 32

([3]) تفسير القرآن العظيم لإبن كثير (ص1209)

([4]) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي(222/6)

بيضاء وأخرجها تخرج، فحذف ما حذف من الأول والثاني، وأبقى ما يدل عليه، فهو إيجاز يسمى الاحتباك[1]

ومن خلال هذا الكلام يتضح الاحتباك في الآية الكريمة، فقد ذكر(اضمم) التي بمعنى ادخل في الجملة الأولى دليلاً على حذف ضده في الثاني وهو (أخرجها) وذكر(تخرج بيضاء) في الجملة الثانية دليلاً على حذف ضده في الأول وهو (تنضم غير بيضاء) وبهذا وقع حذفٌ من الطرفين وكل من المذكور يدل على المحذوف، وعليه يكون تقدير الآية الكريمة :

واضمم يدك إلى جناحك تنضم غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء...

أو

و اضمم يدك غير بيضاء إلى جناحك وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء..

فكلمة (اضمم) مثبتة في الآية وقدر لها ضدها في الثانية (أخرجها)، (وكلمة) (تدخل بيضاء) قدر المقابل لها بـ (تدخل غير بيضاء) في الأول[2]

ومن خلال هذا نرى كيف أن الاحتباك ساعد على صياغة الآية بأعلى صور الإيجاز والفصاحة، بحذفه من كل جملة شيئاً من غير تأثير في جمالية ونظم الآية الكريمة، يضاف إلى ذلك أن هذا الحذف هذب العبارة لأن المعنى الذي يدركه الفهم إدراكاً قوياً مع حذف الألفاظ الدالة عليه، يكون ذكره فضولاً يتنزه عنه البيان الحكيم، وهذا هو غاية الفصاحة والبيان لهذا الكتاب المعجز.

ومن الفنون البلاغية في الآية (الاستعارة التصريحية) في قوله ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ فإن أصل الجناح للطائر، ثم استعير لجنب الإنسان، لأن كل جنب في موضع الجناح للطائر، فسميت الجهتان جناحين بطريق الاستعارة التصريحية[3]كما أن ضم الجناح كناية عن التجلد والضبط، وهو مأخوذ من فعل الطائرعند الأمن

---

[1]) روح المعاني للإمام الآلوسي (494/8)

([2]) أنظر: جريدة البيان الكويتية (أسلوب الحذف في النحو)(ص 25)

([3]) أنظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، محمد وحافي، دار الرشيد دمشق بيروت (360/16)

بعد الخوف، وهو في الأصل مستعار من فعل الطائر عند هذه الحالة، ثم كثر استعماله عند التجلد وضبط النفس حتى صار مثلاً فيه وكنايةً عنه[1]

وقد أورد الزمخشري في الكشاف في هذه الآية من فنون الإعجاز البلاغي بقوله وفيها معنيان: (أحدهما: أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية: فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له: إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء، فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران: اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى، والمراد بالجناح: اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه. والثاني: أن يراد بضم جناحه إليه: تجلده وضبطه نفسه، وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما، وإلا فجناحاه مضمونان إليه مشمران)[2]وكان للاحتراس [3] دور بارز في توضيح الآية الكريمة، فإن قوله ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ إحتراس لئلا يظن أن البرص بيده عليه السلام من مرضٍ أو غيره و لو اقتصرﷻ على﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ وسكت على (بيضاء)لأوهم أن هذا البياض من برصٍ أو بهق، فجاء الاحتراس بقوله ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ لبيان أن هذا البياض لم يكن من مرضٍ أو غيره[4]، فختمت الآية بهذا الأسلوب ليفيد بأن هذا البياض معجزة وآية من آيات الله وأنها ليست من مرضٍ أو غيره.

([1]) أنظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (803/2)، وروائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن(313)

([2]) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري(ص800)

([3]) الاحتراس: هو ((أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل (شبهه)، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي بما يخلصه من ذلك)) معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس(ص 11)

([4]) أنظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (803/2-804)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الحج

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الحج: ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ*وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

والقول بأن المراد من التكذيب بالآيات عمل السيئات أو في الكلام صنعة الاحتباك والأصل فالذين آمنوا وصدقوا بآياتنا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا وعملوا السيئات فأولئك لهم عذاب مهين خلاف الظاهر كما لا يخفى[2]

التحليل والدراسة

أسهم الاحتباك في الحث على التصديق وتجنب التكذيب بالآيات الشاهدة على كمال التوحيد ترغيباً وترهيباً، وذلك في قول الحق ﷻ: ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ*وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾

قال الإمام الآلوسي في هذه الآية احتباكاً، فالمحذوف من الطرف الأول (صدقوا)؛ لدلالة ذكر﴿وَكَذَّبُوا﴾في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(وعملوا السيئات)؛ لدلالة ذكر﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

فالذين آمنوا وصدقوا بآياتنا وعملوا الصالحات في جنات النعيم، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا وعملوا السيئات فاؤلئك لهم عذاب مهين[3]

([1]) سورة الحج، رقم الآية 56-57

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(178/9)

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(187/17)

وسره أنه ذكر أحسن ما عليه أهل الإيمان من فعل الصالحات ترغيباً فيها، وذكر أقبح ما عليه أهل الكفر من الإعراض عن تأمل دلائل الآيات والتكذيب بها، ترهيبا من شناعة صنيعهم وضعف عقولهم.

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أبرزت معنى جليلاً تضمن الكشف عن خاصية الترغيب والترهيب من خلال أوجه التقابل الذي أحدث في النظم انسجاماً ظهر جلياً في طرفي المقابلة، فالذين عملوا الصالحات مقابلها محذوف، هم الذين عملوا السيئات، والذين كذبوا مقابلها محذوف، هم الذين صدقوا، ويظهر حسن المراد ودقته بعد النظر في السياق العام بما تقرر فيه من الحث على التقوى المنجية من هول يوم القيامة[1] فتحقق حسن الإعلام بحقيقة القيامة ترهيباً يعظم في النفوس المحافظة على الصالح من الأعمال والأفعال، وتجنب السيئ منها، أما السياق الخاص فهو أشد بياناً لما تحتويه صورة الاحتباك من إبراز حال أهل الطاعة في عملهم الصالحات، وحال أهل المعصية في تكذيبهم الآيات، ولهذا فإن القول بالاحتباك ذو أثر على في العناية بالتصعيد في مقام القرب من الله بعمل الصالحات ليؤكد أن في الرجوع إلى الإيمان سعادة المؤمن، وبدونه هلاك الكافر[2]

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن القول بالاحتباك خلاف الظاهر[3] والظاهر أن الحذف على طريق الاحتباك يُعد وجهاً من وجوه فهم المعنى أبرز حسن المراد، وأسهم في الرقي الإيماني.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة النمل

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة النمل: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾[4]

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(13/1)

([2]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الطلري(194/17)

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(187/17)

([4]) سورة النمل، رقم الآية 12

نص ما قاله المؤلف

في الكلام حذف تقديره وأدخل يدك في جيبك تدخل وأخرجها تخرج، فحذف من الأول ما أثبت مقابله في الثاني، ومن الثاني ما أثبت مقابله في الأول، فيكون في الكلام صنعة الاحتباك[1]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، رأينا قول الحق-ﷻ- فيه حكايةً لما خاطب يه موسى-عليه السلام-عند تكلميه: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾في الكلام حذف على سبيل الاحتباك، **قال الإمام الآلوسي**: في الكلام حذف تقديره وأدخل يدك في جيبك تدخل وأخرجها تخرج فحذف من الأول ما أثبت مقابله في الثاني، ومن الثاني ما أثبت مقابله في الأول، فيكون في الكلام صنعة الاحتباك[2] لأن ذكر الأمر أولاً دليلاً على حذف مضارعه ثانياً، وذكر المضارع ثانياً دليلاً على حذف الأمر منه أولاً، وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(تدخل)؛ لدلالة ذكر﴿وَأَدْخِلْ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(أخرجها)؛ لدلالة ذكر﴿تَخْرُجْ﴾ في الطرف الأول، وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

وأدخل يدك في جيبك تدخل غير بيضاء

وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء[3]

فدل لفظ "بيضاء" في الآواخر على عبارة "غير بيضاء" المحذوفة من الأوائل، ودلت عبارة: "وأدخل" في الأوائل على عبارة "وأخرجها" المحذوفة من الأواخر فتم الاحتباك[4]غير أنه لم يُشَر إلى وجه التكلف فيه، ولعله كذلك؛ لاختلاف مدلول السياق-هنا- عن سابقه؛ لكون المجال مجال تفصيل في ذكر المعجزات الخارقة التي سيذهب بها إلى فرعون، فهو يتطلب استعداداً وتهيؤاً لسماع ما يلقى عليه من ربه، ثم إن خاصية

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي (167/19)

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (167/19)

([3]) أنظر: البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (58/7)، والبرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (130/3) وروح المعاني للإمام الآلوسي (167/19)،

([4]) أنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (587/8) وروح المعاني للإمام الآلوسي (167/19)

الأمن اتضحت في أسلوب النداء الملىء بالرحمة واللطف والرأفة وتجنب الخوف:﴿يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[1]فافعل جميع ما أمرك به فإنه لا بد منه، ولا تخف من شيء، فإنه لا يوصل إليك بسوء؛ لأنه محكم بقانون، محروس بسور العزة[2]

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة النمل: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[3]

نص ما قاله المؤلف

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ الرؤية قلبية لا بصرية لأن نفس الليل والنهار وإن كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أي ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الإظلام ليستريحوا فيه بالقرار والنوم وَالنَّهارَ مُبْصِراً أي ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق التقلب في أمور معاشهم فبولغ حيث جعل الأبصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من أوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها، ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الابصار، والمشهور أن في الآية صنعة الاحتباك، ويكون التقدير في هذه الآية:

جعلنا الليل مظلما ليسكنوا فيه والنهار مبصرا لينتشروا فيه

إِنَّ فِي ذلِكَ أي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإشعار ببعد درجته في الفضل لَآياتٍ عظيمة لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فإنه يدل على التوحيد وتجويز الحشر وبعث الرسل عليهم السلام لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين[4]

([1]) سورة النمل، رقم الآية 9-10

([2]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(134/14)

([3]) سورة النمل، رقم الآية 86

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(239/10)

التحليل والدراسة

نجد أن الإمام الآلوسي يوافق مع الإمام البقاعي وابن عاشور في إبراز جانب الاحتباك في الآية إلا أنه أضاف إلى ما ذكره وهو يوظف ويوضح الاحتباك أكثر من الإمام البقاعي، فهو يذكر الاحتباك بالاسم وتقدير الآية بنوع من التفصيل، وبتوضيحه يبرز الوجه البلاغي على أحسن وجه.

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ، وَالنَّهارَ مُبْصِراً. أى: أبلغت الغفلة والجهالة بهؤلاء المكذبين- أنهم يعيشون في هذا الكون ليأكلوا ويشربوا ويتمتعوا، دون أن يعتبروا أو يتفكروا. لقد أوجدنا لهم ليلا يسكنون فيه، وأوجدنا لهم نهارا يبتغون فيه أرزاقهم، وجعلنا الليل والنهار بهذا المقدار، لتتيسر لهم أسباب الحياة والراحة، فكيف لم يهتدوا إلى أن لهذا الكون خالقا حكيما قادرا؟[1]

وقال البقاعي: "فالآية من الاحتباك، ذكر السكون أولاً دليل على الإنتشار ثانياً، وذكر الإبصار ثانياً دليل على الإظلام أولاً" [2] حذف في الآية من الليل كلمة مظلماً لدلالة كلمة مبصراً عليها، وحذف من النهار تعبير لينتشروا فيه لدلالة ليسكنوا فيه مع الليل، وهي أمور حسية. ويكون التقدير الآية الكريمة:

جعلنا الليل مظلماً ليسكنوا فيه والنهار مبصراً لينتشروا فيه[3]

إِنَّ فِي ذلِكَ الذي جعلناه، لهم، من وجود الليل والنهار بهذه الطريقة لَآياتٍ بينات واضحات على وحدانيتنا وقدرتنا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بأن الله- تعالى- هو الخالق لكل شيء وهو الإله الحق لا إله سواه.

وذلك، لأن من تأمل في تعاقب الليل والنهار بتلك الصورة البديعة المطردة، وفي اختلافهما طولا وقصرا، وظلمة وضياء.. أيقن بأن لهذا الكون إلها واحدا قادرا على إعادة الحياة إلى الأموات، ليحاسبهم على أعمالهم[4]

([1]) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي،(359/10)، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى1997

([2]) نظم الدرري تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(222/14)

([3]) التحرير والتنوير لإبن عاشور (45/20)

([4]) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي(360/10)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة القصص

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة القصص: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وجملة مَنْ إِلهٌ إلخ قال في موضع المفعول الثاني لأرأيتم وجعل الليل مما تنازع فيه أرأيتم وجعل وقال: إنه أعمل فيه الثاني فيكون المفعول الأول للأول محذوفا، وحيث جعلت تلك الجملة في موضع مفعوله الثاني لا بد من تقدير العائد فيها أي من إله غيره يأتيكم بضياء بدله مثلا، وجواب إن محذوف دل عليه ما قبله، وكذا يقال في الآية بعد[2]

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً، وهو يوافق مع المفسرين الآخرين في إبراز جانب الاحتباك في الآية، فذكر الضياء في الآية الأولى دليلٌ على حذف الظلام في الآية الثانية، وذكر الليل والسكون في الآية الثانية دليلٌ على حذف النهار والانتشار في الآية الأولى[3]وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(بنهارٍ تنتشرون فيه)؛ لدلالة ذكر﴿بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني(يأتيكم بظلام)؛ لدلالة ذكر ﴿يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾في الطرف الأول. ويكون التقدير هذه الآية الكريمة:

قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء يولد نهاراً تنتشرون فيه أفلا تسمعون

([1]) سورة القصص، رقم الآية 71-72

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(313/10)

([3]) أنظر: تفسير الرازي للإمام فخر الدين الرازي (25/11)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (344/14)

قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بظلام يولد ليلاً تسكنون فيه أفلا تبصرون[1]

وسره أنه ذكر عموم الأحوال والأوقات؛ لكونه أدل على مطلق القدرة وتمام التوحيد، والخلاصة أن الذكر والحذف جاء استجابة لمطلب المقام والسياق، فذكر ما هو أظهر في الامتنان[2]

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك تكشف عن عظمة الله وسلطانه، من خلال إبراز أتم معالم الكمال، حيث أيقظ مشاعر الخلق لظاهرتين كونيتين عظيمتين، ظاهرتي الليل والنهار وما وراءهما من أسرار؛ حثا على التبصر، وأملاً في الرجوع إلى الحق، وليدرك بنو البشر إدراكاً حقيقياً مظاهر تلك العظمة، فيوقنوا أن غير الله تعالى لا قدرة له على شيء من ذلك مطلقاً[3]

فمن خلال تبصر دلالة السياق العام يتضح احتواءه على بيان الدعوة إلى الإيمان بمحمد-ﷺ- ليتحقق الإيمان بالآخرة المستلزم رد الأمر كله إلى الله[4] أما الخاص فتضمن إقامة الدلائل للاستدلال على القدرة الشاملة والعلم التام. وهذه الغاية العظمى التي يسعى الاحتباك إلى تحقيقها في النفوس البشرية تهديداً لأهل الظلم، وتثبيتا لأهل العلم، فالقيمة الحقيقية تمثلت في: من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء يأتيكم بضياء النهار فتستضيؤن به، ويأتيكم بليل تسكنون فيه فتستقرون وتهدوؤن فيه[5] وهذا المعنى الجليل تحقق في الركنين المذكورين؛ الأول (يأتيكم بضياء)، والثاني (ليل تسكنون فيه)، وازداد المراد حسناً بإبراز مقابله من كل طرف، الأول (يأتيكم بظلام)، والثاني: (نهار تنتشرون فيه)، فبأر كان الاحتباك مجتمعة يتحقق المقصود؛ لأن الناس يشتاقون إلى الصبح حين يطول بهم الليل قليلاً، ويحنون إلى ضياء الشمس حين تتوارى عنهم فترة وراء السحاب، وكذا يستروحون الظلال حين يطول عليهم الهجير ساعات من النهار، ويحنون إلى الليل حين يطول النهار بعض ساعات، ويجدون في ظلام الليل وسكونه الملجاء والقرار، والحياة كلها تحتاج إلى فترة

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(342/14)، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه، وأسراره، (ص30)

([2]) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه، وأسراره (ص30)

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(107/2)، وفي ظلال القرآن لسيد قطب (2708/2)

([4]) أنظر:نظم الدررفي تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(232/14)

([5]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري(103/2)

الليل؛ لتجدد ما تنفقه من الطاقة في نشاط النهار[1] وهذا عطاء الجواد للعبادة، فكيف يقبل العبد على ذلك الإحسان؟ إنه يستلزم الترقي في مدارج الطاعات تطلعاً إلى مرتبة الإحسان في العبدة إخلاصاً له.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة العنكبوت

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا أي في قولهم آمنا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان، واللام واقعة في جواب القسم، والالتفات إلى الاسم الجليل لإدخال الروعة وتربية المهابة، وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير، ويتوهم من الآية حدوث علمه تعالى بالحوادث وهو باطل. وأجيب بأن الحادث تعلق علمه تعالى بالمعدوم بعد حدوثه، وقال ابن المنير : الحق أن علم الله تعالى واحد يتعلق بالموجود زمان وجوده وقبله وبعده على ما هو عليه، وفائدة ذكر العلم هاهنا وإن كان سابقا على وجود المعلوم التنبيه بالسبب على المسبب وهو الجزاء فكأنه قيل: فو الله ليعلمن بما يشبه الامتحان والاختبار الذين صدقوا في الإيمان الذي أظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب فليجازين كلا بحسب علمه فيه، وفي معناه ما قاله ابن جني من أنه من إقامة السبب مقام المسبب، والغرض فيه ليكافئن الله تعالى الذين صدقوا وليكافئن الكاذبين وذلك أن المكافأة على الشيء إنما هي مسببة عن علم، وقال محيي السنة: أي فليظهرن الله تعالى الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلوما لأن الله تعالى عالم بهم قبل الاختبار[3]

([1]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور (168/2)

([2]) سورة العنكبوت، رقم الآية 3

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(341/10)

التحليل والدراسة

صورة الاحتباك في هذه الآية يعود التعبير القرآني لإظهار علم الله تعالى بجميع ما أخفوا وما أعلنوا في صورة من صور التقابل بين ذكر الذين صدقوا والكاذبين، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ**﴾[1] ففي قول الحق:﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ﴾احتباك، دل بالذين صدقوا على الذين كذبوا، وبالكاذبين على الصادقين[2] وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (وليعلمن الصادقين)؛ لدلالة ذكر﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ﴾في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (وليعلمن الذين كذبوا)؛ لدلالة ذكر﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

فليعلمن الله الذين صدقوا، وليعلمن الصادقين، وليعلمن الذين كذبوا، وليعلمن الكاذبين[3]

قال الإمام ابن جرير: قوله: فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ... أى: فليعلمن الله الذين صدقوا منهم في قولهم آمنا، وليعلمن الكاذبين منهم في قولهم ذلك، والله عالم بذلك منهم، قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك: وليظهرن الله صدق الصادق منهم في قوله آمنا بالله، من كذب الكاذب منهم ... وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين، عذبهم المشركون، ففتن بعضهم، وصبر بعضهم على أذاهم، حتى أتاهم الله بفرج من عنده[4]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الروم

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الروم: ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ**﴾[5]

([1]) سورة العنكبوت، رقم الآية 3

([2]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(391/14)

([3]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(390/14)، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره،(ص247)

([4]) تفسير ابن جرير للإمام الطبري(83/20)

([5]) سورة الروم، رقم الآية 45

نص ما قاله المؤلف

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ فإنه علّة ليمهدون وأقيم فيه الموصول مقام الضمير تعليلا للجزاء لما أن الموصول في معنى المشتق والتعليق به يفيد عليه مبدأ الاشتقاق، وذكر مِنْ فَضْلِهِ للدلالة على أن الإثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء أو الزيادة على ما يستحق من الثواب عدول عن الظاهر، وجوز أن يكون ذلك علّة ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات والاكتفاء بفحوى قوله تعالى: إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ فإن عدم المحبة كناية عن البغض في العرف. وهو يقتضي الجزاء بموجبه فكأنه قيل: وليعاقب الكافرين. وأن تكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده تعالى إلّا المؤمن الصالح، وقوله تعالى: إِنَّهُ إلخ تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ويعني بذلك كل كلامين يقرر الأول الثاني وبالعكس سواء كان صريحا وإشارة أو مفهوما ومنطوقا[1]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، لأن أسهم حذف التقابل في إبراز ثواب المحسنين وعقاب المسيئين، وذلك في قوله تعالى:﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ﴾ ففيه إشارة إلى الاحتباك، فالمحذوف من الطرف الأول (إنه يحب المؤمنين)؛ لدلالة ذكر﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني (ليجزي الذين كفروا وعملوا السيئات بعدله)؛ لدلالة ذكر:﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله، إنه يحب المؤمنين، ويجزي الذين كفروا وعملوا السيئات بعدله، لأنه لا يحب الكافرين.

وسره: أن إكرام المؤمنين هو المقصود بالذات، وهو بعينه إرغام الكافرين، وعبر في شق المؤمنين بالمنتهى الذي هو المراد من محبة الله؛ لأنه أسر، وفي جانب الكافرين بالمبدأ الذي هو مجاز؛ لأنه أنكأ وأضر[2]

فالنمط التركيبي لطبيعة الاحتباك أسهم في ترسبخ مبدأ لزوم العمل الصالح ترغيباً في فضل الله وإحسانه، وترك السيئ ترهيباً من شدة عذابه وخذلانه، ففي تبصر دلالة السياق توجيه على يبرز مظاهر القدرة ودلائل التوحيد، وهذا يعلي من شأن الاحتباك، لما تأكد في السياق العام من تحقق إثبات دلائل القدرة على البعث، والخاص لما تحقق فيه من نصر أوليائه وخذلان أعدائه؛ لذا فالقول به علي يحقق جملة من المعاني من أبرزها: إظهار أوجه التقابل بين الفرقين جزاء الله للمؤمنين والكافرين، فالذين آمنوا يجزيهم من فضله ويحبهم لإيمانهم،

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(50/11)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(111/15) وما بعدها.

والذين كفروا يجزيهم بعدله ويكرههم لكفرانهم، فتحقق إعلام البشر بما هو غيب عنهم، وهو تحقق حقيقة البعث لأجل الإيمان به، فالله ينصر أوليائه لإحسانهم؛ لأنه مع المحسنين، وهذا فعل المحب؛ لشرف صنيعهم؛ لذا أوثر التعبير ب(آمنوا) ولو على أدنى الوجوه، أما الكافرون فلا يفعل معهم فعل المحب، فلا يسويهم بالمؤمنين[1]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة لقمان

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة لقمان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

وحكى سيبويه كتبت إليه بأن قم، والجار متعلق بآياتنا، وجوز كونها مصدرية بلا تقدير على أن المصدر بدل اشتمال من الحكمة، وهو بعيد وَمَنْ يَشْكُرْ إلخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالأمر أي ومن يشكر له تعالى فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ لأن نفعه من ارتباط القيد واستجلاب المزيد والفوز بجنة الخلود مقصورة عليها وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عن كل شيء فلا يحتاج إلى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حَمِيدٌ حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد أو محمود بالفعل ينطق بحمده تعالى جميع المخلوقات بلسان الحال، فحميد فعيل بمعنى محمود على الوجهين، وعدم التعرض لكونه سبحانه وتعالى مشكورا لما أن الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «الحمد رأس الشكر لم يشكر الله تعالى بعد لم يحمده»
فإثباته له تعالى إثبات للشكر له قطعا، وفي اختيار صيغة المضي في هذا الشق قيل: إشارة إلى قبح الكفران وأنه لا ينبغي إلا أن يعد في خبر كان، وقيل: إشارة إلى أنه كثير متحقق بخلاف الشكر وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ [سبأ: 13] وجواب الشرط محذوف قام مقامه قوله تعالى: فَإِنَّ اللَّهَ إلخ، وكان الأصل ومن كفر فإنما يكفر على نفسه لأن الله غني حميد، وحاصله ومنكفر فضرر كفره عائد عليه لأنه تعالى غني لا يحتاج إلى الشكر ليتضرر سبحانه بالكفر محمود بحسب الاستحقاق أو بنطق ألسنة الحال فكلا الوصفين متعلقات بالشق الثاني، وجوز أن يكون غَنِيٌّ تعليلا لقوله سبحانه: فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وقوله عزّ وجلّ : حَمِيدٌ تعليلا

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(111/15) وما بعدها.
([2]) سورة لقمان، رقم الآية 12

للجواب المقدر للشرط بقرينة مقابله وهو فإنما يكفر على نفسه، وأن يكون كل منهما متعلقا بكل منهما، ولا يخفى ما في ذلك من التكلف الذي لم يدع إليه ولم تقم عليه قرينة فتدبر[1]

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً لأن يبرز التقابل خاصية الترغيب في الشكر والترهيب من الكفر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، احتباك، تخصيص الشكر بالنفس أولاً يدل على حذف مثله من الكفر ثانياً، وإثبات الصفتين ثانياً يدل على حذف مثلهما أولاً،[2] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(فإن الله غني حميد)؛ لدلالة ذكر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؛ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (ومن كفر فإنما يكفر على نفسه)؛ لدلالة ذكر﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، فإن الله غني حميد، ومن كفر فإنما يكفر على نفسه، فإن الله غني حميد

وسره: أنه ذكر الشكر؛ لكونه أدل على كمال الحكمة وتمام القدرة: فإن شكر الله من الحكمة؛ إذ الحكمة تدعوا إلى معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه؛ لقصد العمل بمقتضى العلم، فالحكيم يبث في الناس تلك الحقائق على حسب قابلياتهم بطريقة التشريع تارة، والموعظة أخرى، والتعليم لقابليه مع حملهم على العمل بما علموه من ذلك، وذالك العمل من الشكر؛ إذ الشكر قد عرف بأنه صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من مواهب ونعم فيما خلق لأجله؛ فكان شكر الله هو الأهم في الأعمال المستقيمة، فلذلك كان رأس الحكمة؛ لأن من الحكمة تقديم العلم بالأنفع على العلم بما هو دونه؛ فالشكر هو مبدأ الكمالات علماً، وغايتها عملاً،[3] ثم ذكر صفتي الغني الحميد؛ لإثبات غنى الله عن شكر وحمد بني البشر عامة؛ لأنه غني حميد بذاته وصفاته.

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(11/83-82)

([2]) أنظر: الكشاف للزمخشري(3/225)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (15/160)

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في ترسيخ مبدأ عظيم من مبادئ العقيدة، وهو: الحرص على لزوم الشكر على النعم، فمن بادر وشكر ما نفع إلا نفسه، ولو كفر ما ضر إلا نفسه، وأنه ﷻ غني عن شكر الشاكرين[1] فالأنفع للسياق والأجدي لما عليه المقام القول بالاحتباك؛ لما تقرر في السياق العام من إثبات الحكمة للكتاب المبين اللازم منها حكمة الله ﷻ في أقواله وأفعاله[2] والخاص لما تحقق فيه من إبراز أعظم دلائل التوحيد المتمثلة في إثبات تلك الحكمة، وهي الإقبال على الله بدوام الشكر على النعم، فثبت بالمعاني الجوهرية أن من يشكر الله على نعمته فإنما يشكر لنفسه، فالله يجزل له على شكره الثواب[3] ومن كفر نعمة الله عليه أساء، فالله معاقبه على كفرانه، والله غني عن شكره؛ لأنه شكره لا يزيد في سلطانه، ولا ينقص كفرانه من ملكه، فهو محمود على كل حال[4] أما القول بالاحتباك فحقق جملة علية من المعاني الإحسانية الساعية بالبشر إلى الترقي في مدارج الشكر، ليعلم أن في تجدد الشكر وتعاهده منافع كثيرة، وفي كفران النعم مفاسد يضر المرء بها نفسه[5] كما أن فيه تنبيهاً جليلاً يرشد إلى المبادرة بالشكر عند حصول النعم[6] وللاحتباك أثر فاعل في إحداث علاقات ربط بين المعاني أسهمت في الحث على ملازمة الشكر، فهو طاعة الله فيما أمر به، ونفعه وأجره عائد لنفس الشاكر لا للمشكور[7] وفي إعلام البشر أن الله حقيق بالحمد وإن لم يحمد، ومحمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته إبراز لعظمة الله وسلطانه، الدافعة إلى تعلم مبدأ الحكمة الأصيل، والعلم الحقيقي، فإن من لم يشكر النعمة فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها[8] فتحقق إبراز حسن عاقبة الشكر، وسوء عاقبة الجحود ونكران النعم ترغيباً وترهيباً.

([1]) التحرير والتنوير لإبن عاشور (152/21)

([2]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(159/15)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(140/15)

([4])أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(159/15)

([5]) أنظر: جامع البيان (68/21)

([6]) الموضع السابق

([7]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(159/15)

([8]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور(153/21)

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وفي الكلام اختصار يسمى حذف إيجاز ويدل على المحذوف السياق والتقدير ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله تعالى ما نفدت لعدم تناهيها ونفد تلك الأقلام والمداد لتناهيها[2]

التحليل والدراسة

صورة الاحتباك في هذه الآية كذا، ذكر الأقلام دليلاً على حذف مدادها، وذكر السبعة في مبالغة الأبحر دليلاً على حذفها في الأشجار[3] وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (سبع شجرات)؛ لدلالة ذكر ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (من بحرٍ مدادٌ)؛ لدلالة ذكر ﴿مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام سبع شجرات، وما في الأرض من بحر مداد لتلك الأقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله[4]

وسره أن ذلك أدل على تحقيق الكمال المطلق لله في العقول والأذهان، فلا حد لغناه، ولا حصر لمعلوماته ومقدوراته الموجبة حمده وثناءه،[1] فالغرض الإعلام بكثرة معاني كلمات الله، وهي في نفسها غير متناهية،[2] والسبع مراد بها الكثرة، والتنكير في شجر كذلك.

([1]) سورة لقمان، رقم الآية 27

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(96/11)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(198/15)

([4]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(197/15)وما بعدها، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره (ص47)

فالنمط التركيبي لصورة الاحتباك أسهم بشكل فاعل في إبراز عظمة الله؛ ليعلم البشر أن تلك العظمة لا تتناهي مطلقاً، وليثبت لليهود[3] علم الله وسعة إحاطته، فلو أصبح جميع ما في الأرض من شجر تحول أقلاماً، بل إن هذا البحر أمدته سبعة أبحر كذلك، وجلس الكتاب يسجلون كلمات الله المتجددة الدالة على علمه، والمعبرة عن مشيئته، لانفدت الأقلام، ونفد المداد، ونفدت الأشجار، ونفدت البحار، وكلمات الله باقية لم تنفد، ولم تأت لها نهاية...؛ لأن إرادته لا تكف؛ ومشيئته ماضية ليس لها حدود وقيود،[4] وهذا ما أرشد إليه السياق العام للسورة؛ إذ أنه يعلي من حسن القول بالاحتباك؛ لهذا قيل في بيان وجهه أنه "من عظيم هذا الفن"[5]؛ لعظم ما تضمنه ذلك السياق من إثبات معالم قدرة الله على الإبداع من غير انتهاء، وأنه لو شاء أن يبلغ ما في علمه لما وفت به مخلوقاته لتسجل كلامه بالكتابة، فضلاً عن الوفاء بإبلاغ ذلك بواسطة القول[6] فتقرر في النفوس عظمة الله المستلزمة توحيده كما ينبغي. أما دلالة السياق الخاص فأبرزت الأهم في بيان ما يتعلق بالاحتباك، من حيث مراعاة تبصر بناء التركيب؛ لما احتواه من براعة التنكير في ﴿شَجَرَةٍ﴾ ثم إيثار﴿شَجَرَةٍ﴾ دون أشجار، ثم في اختيار﴿أَقْلَامٌ﴾ دون قلام، وكذا التعبير بلفظ: ﴿سَبْعَةُ﴾، وبصيغة المضارع في:﴿يَمُدُّهُ﴾ كل هذه الدقائق مجتمعة أعطت المراد مزيد حسن وبلاغة. فالتنكير للتكثير، أي: كل شجرة في الأرض[7] وقد كان الظاهر بعد جعل الشجر أقلاماً أن يقول: والبحر مداد، فعدل عن ذلك؛ لتصوير الإمداد على وجه الاستمرار التجددي؛ لأنه من شأن المداد دون الدواة.[8] وقيل (شجرة) بتاء الواحدة دون (شجر) أو (أشجار) لأن المراد تفصيل الشجر واستقصاؤها شجرة شجرة، حتى لا يبقى واحدة من جنسها إلا وقد بريت أقلامها، ولو لم يفرد لم يفد هذا المعنى[9] واختيار جمع القلة في: (أقلام) مع أن

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(196/15)

([2]) أنظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي(69/11)

([3]) ((أن اليهود سألوا رسول الله أو أغروا قريشاً بسؤاله لما سمعوا قول الله في شأنهم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(الإسراء:85) فقالوا: كيف وأنت تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ لمن سألوه، هي في علم الله قليل، ثم أنزل الله ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(لقمان:27) الآيتين أوالآيات الثلاث، وعن السدي قالت قريش: ما أكثر كلام محمد، فنزلت﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ....﴾أنظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري (81/21)

([4]) أنظر: في ظلال القرآن لسيد قطب(2795/21)

([5]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (198/15)

([6]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور (180/21)

([7]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(97/21)

([8]) روح المعاني للإمام الآلوسي(97/21)، وحاشية الشهاب على البيضاوي(141/7)

([9]) أنظر: الكشاف للزمخشري (236/3)، وحاشية الشهاب على البيضاوي(141/7)

الأنسب للمقام جمع الكثرة؛ لأنه لم يعهد للقلم جمع سواه، و(قلام) غير متداول، فلا يحسن استعماله[1] وعلم من السياق أن المراد بالسبعة المبالغة في الكثرة، لا حقيقتها، وأن المراد بجمع القلة في (أبحر) الكثرة؛ لقرينة المبالغة، وبجمع القلة في (كلمات) حقيقتها؛ لينتظم المعنى، وكل ذلك شائع في لغة العرب، وأشار بجمع القلة مع الإضافة إلى اسم الذات إلى زيادة العظمة بالعجز عن ذلك القليل، فيفهم العجز عن الكلم من باب أولى، ويتبع الكلمات الإبداع، فلا تكون كلمة إلا لإحداث شأن من الشئوون،[2] وفي إيثار صيغة المضارع في: (يمده) تصوير الإمداد المستمر حالاً بعد حال، فأفاد النظم الجليل جعل البحر بمترلة الدواة، وجعل أبحراً سبعة مثله مملوءة مداداً، فهي تصب فيه مدادها صباً لا ينقطع، فكيف تحسب اليهود ما في التوراة هو منتهي كلمات الله[3]

الموضع الثالث

قال الله تعالى في سورة لقمان: ﴿**وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**﴾[4]

نص ما قاله المؤلف

وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ والآية دليل ابن مالك ومن وافقه على جواز دخول الفاء في جواب لما ومن لم يجوز قال: الجواب محذوف أي فلما نجاهم إلى البر انقسموا قسمين فمنهم مقتصد ومنهم جاهد، والختار من الختر وهو أشد الغدر، وما يقصد إلا كل صبار شكور[5]

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(98/21)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(197/15)

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(98/21)، والتحرير والتنوير لإبن عاشور(182/21)

([4]) سورة لقمان، رقم الآية 32

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي(104/11)

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً، لأن دل ذكر المقتصد أولاً على (ومنهم جاحد) ثانياً، وحصر الجحود في الكفور ثانياً على حصر الاقتصاد في الشكر أولاً[1] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (وما يقتصد إلا كل صبار شكور)؛ لدلالة ذكر﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(ومنهم جاحد)؛ لدلالة ذكر﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ في الطرف الأول, ويكون التقدير الآية الكريمة:

فلما نجاهم إلى البر انقسموا قسمين فمنهم مقتصد، ومنهم جاحد، وما يقصد إلا كل صبار شكور، وما يجحد إلا كل ختار كفور.

إن النظر في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾-[ثم في]- ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ يظهر جمال النظم دون الرجوع إلى الاحتباك من حيث مراعاة أمرين:

أ-أن المعنى يتطلب أن تكون هيئة التقدير على النحو التالى: فلما نجاهم إلى البر انقسموا قسمين؛ فمنهم مقتصد، ومنهم جاحد، فالمقابل للمقتصد محذوف دل عليه﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ وهذا وجه أجمع عليه بعض المفسرين،[2] وعليه يكون المعنى مقتصد، أي: مؤمن مقتصد في أقواله وأفعاله بين الخوف والرجاء[3]

ب-جمال المقابلة والطباق في: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾،﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ف (خَتَّارٍ) مقابل ل(صَبَّارٍ)؛ لأن من غدر لم يصبر على العهد، و(كَفُورٍ) مقابل ل(شَكُورٍ)[4] فقوله ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ كناية رمزية عن المؤمنين وتعريض رمزي بالمشركين ووجه إيثار خلقي الصبر والشكر هنا للكناية بهما من بين شعب الإيمان؛ أنهما أنسب بمقام السير في البحر؛ إذ راكب البحر بين خطر وسلامة، وهما مظهر الصبر والشكر.

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(209/15)

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(106/21)، والتحرير والتنوير لإبن عاشور(192/21)

([3]) أنظر: البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (189/7)

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(106/21) وما بعدها، حاشية الشهاب على البيضاوي(144/7)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الأحزاب

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿**لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

وفي الكلام الاحتباك والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد لهم ثوابا عظيما، ويسأل الكاذبين عن كذبهم وأعد لهم عذابا أليما، فحذف من كل منهما ما ثبت في الآخر[2]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، لأن قوله تعالى: (ليسئل الصادقين عن صدقهم) فيه أربعة أوجه: **أحدها**- ليسأل الأنبياء عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم، وفي هذا تنبيه، أي إذا كان الأنبياء يسألون فكيف من سواهم. **الثاني**- ليسأل الأنبياء عما أجابهم به قومهم، **الثالث**- ليسأل الأنبياء عليهم السلام عن الوفاء بالميثاق الذي أخذه عليهم، **الرابع**- ليسأل الأفواه الصادقة عن القلوب المخلصة، وفي التنزيل:" فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين" [الأعراف: 6] وقيل: فائدة سؤالهم توبيخ الكفار، كما قال تعالى: أأنت قلت للناس[المائدة: 116] (وأعد للكافرين عذابا أليما) وهو عذاب جهنم[3]

فالصادقون هم المؤمنون، فهم الذين صدقوا بالصِدق وجاءوا به، واعتنقوه عقيدةّ، وغيرهم كاذب، لأنه يعتقد الباطل ويقول كلمته، وسؤال الله للمؤمنين عن صدقهم يوم القيامة، كما يسأل المعلم التلميذ النجيب الناجح عن إجابته التي استحق بها النجاح والتفوق (ولله المثل الأعلى)، فالمؤمنون الصادقون عند تكريمهم على نتائجهم سؤال الله لهم سؤال تكريم، وإعلان وإعلام على رؤوس الأشهاد، وبيان الاستحقاق والثناء على المستحقين للتكريم في يوم الحشر العظيم. أما غير الصادقين الذين دانوا بعقيدة الكفر، وقالوا

([1]) سورة الاحزاب، رقم الآية 8

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(153/11)

([3]) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي(128/14)

كلمة الكذب في اكبر قضية، قضية العقيدة، فأما هؤلاء فلهم جزاءُ آخر حاضر مهيأ، يقف لهم في الانتظار﴿**وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[1]

وقد قابل القرآن بين الفريقين في أبهى صورة، فالفريق الأول مكرمٌ، والثاني مهمل، وحذف من الأول الجزاء والنتيجة وأبقى العلة، وحذف من الثاني السؤال تحقيراً لهم وذكر نتيجة ما عوقبوا به، فوقع بهذا حذف على صورة الاحتباك، فحذف من الأول ما اثبت ضده في الثاني ومن الثاني ما اثبت ضده في الأول[2]وعلى ما سبق ذكره يكون تقدير الآية الكريمة:

ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد لهم ثوابا عظيماً

ويسأل الكاذبين عن كذبهم وأعد لهم عذاباً أليماً[3]

وتكمن بلاغة الاحتباك في أنه صرح بسؤال الصادقين بشارةً لهم بتشريفهم في ذلك الموقف العظيم، وأخفى سؤال الكافرين إيماء إلى إهانتهم وإهمالهم بفضيحة الكذب، وذكر ما هو انكأ لهم و أشد وهو الوعيد[4] وهذا التغيير في الأسلوب مع الكافرين يدل على تحقيق العذاب لهم حتى لا يتوهم أنهم يسألون سؤال من يسمع جوابهم أو معذرتهم، ولإفادة أن إعداد عذابهم أمر مضى وتقرر في علم الله[5]

وفي تسمية المؤمنين بالصادقين في يوم المحشر تكريمٌ لهم وتعريض بالكافرين، ورد على قولهم وتكذيبهم للمؤمنين في الدنيا، وإيماء بأنهم وإن كذبوا الرسول والمؤمنين فهم عند الله الصادقين.﴿.... وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[6]

وفي الآية التفات من ضمير المتكلم في الآية التي قبلها في قوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾، **إلى ضمير الغيبة في قوله**﴿

([1]) أنظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (2830/5)

([2]) أنظر: البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (209/7)، وروح المعاني للإمام الآلوسي (155/21)

([3]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(155/21)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (295/15)

([4]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (295/15)

([5]) أنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (276/21)

([6]) سورة الأعراف، رقم الآية 128

لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ.....﴾، وأفاد التذكير بنفس الميثاق ثم بيان علته وغايته بياناً قصدياً[1]وغير الأسلوب في قوله﴿ **وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾بعد ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾** لغرض التبكيت والتقبيح للمشركين[2]

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾[3]

نص ما قاله المؤلف

قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً استفهام في معنى النفي أي لا أحد يمنعكم من الله عزّ وجلّ وقدره جلّ جلاله إن خيرا وإن شرا فجعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة مع أنه لا عصمة إلّا من السوء لما في العصمة من معنى المنع، وجوز أن يكون في الكلام تقدير والأصل قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر نظير قوله:
ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا، فإنه أراد وحاملا أو ومعتقلا رمحا، ويجري نحو التوجيه السابق في الآية، وجوز الطيبي أن يكون المعنى من الذي يعصمكم من الله أراد بكم سوءا أو من الذي يمنع رحمة الله منكم إن أراد بكم رحمة، وقرينة التقدير ما في يَعْصِمُكُمْ من معنى المنع، واختير الأول لسلامته عن حذف حملة بلا ضرورة[4]

التحليل والدراسة

صورة الاحتباك في هذه الآية كذا، حيث ذكر السوء أولاً دليلاً على ضده ثانياً، وذكر الرحمة ثانياً دليلاً على ضدها أولاً[5] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(فأناخ بكم نقمة؛ لدلالة ذكر﴿أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

([1]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (155/21)، والتحرير والتنوير لإبن عاشور (276/21)
([2]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (155/21)
([3]) سورة الأحزاب، رقم الآية 17
([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(160/11)
([5]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(312/15)

قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً فأناخ بكم نقمة أو يهينكم ويقبح جانبكم إن أراد بكم رحمة فأفادكم نعمة.

وفيه نظر؛ لانتفاء وجه التقابل بين المعاني، فلم يتحقق بالتقدير وجه الاحتباك المشار إليه؛ لأن الرحمة ضدها العذاب، والسوء ضده الحسن.

وقيل تقدير المعنى: قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوء وعذاباً أو يصيبكم بسوء أن أرد بكم رحمة وحسناً[1]

وفيه نظر أيضاً؛ لأن السوء عام يدخل فيه أنواع العذاب، والرحمة عام تشتمل على جميع أوجه الحسن والكمال.

فالأولى ما عليه جمهرة المفسرين من تقدير مضاف، والأصل: قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو يصيبكم بسوءٍ إن أراد بكم رحمة[2] وقيل كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة، ولا عصمة إلا من السوء؟ قلت- أي: الزمخشري- معناه: أو يصيبكم بسوءٍ إن أراد بكم رحمةً فاختصر الكلام[3]

الموضع الثالث

قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[4]

نص ما قاله المؤلف

تعذيب المنافقين ثمرة إقامتهم على النفاق وموتهم عليه والتوبة موازنة لتلك الإقامة وثمرتها تركهم بلا عذاب فهناك أمران إقامة على النفاق، وتوبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب ورحمة فذكر تعالى على جهة الإيجار واحدة

([1]) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره، (ص203)

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(163/21)

([3]) الكشاف للزمخشري(255/3)

([4]) سورة الأحزاب، رقم الآية 24

من هاتين وواحدة من هاتين ودل ما ذكر على ما ترك ذكره، ويدلك على أن معنى قوله تعالى لِيُعَذِّبَ ليديم على النفاق قوله سبحانه: إِنْ شاءَ ومعادلته بالتوبة وحرف أَوْ انتهى، وأراد بذلك حل الإشكال، وكأن ما ذكره يؤول إلى أن التقدير ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه إن شاء فيعذبهم أو يتوب عليهم فيرحمهم فحذف سبب التعذيب وأثبت المسبب وهو التعذيب وأثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب وهو الرحمة والغفران وذلك من قبيل الاحتباك[1]

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً وهو يوافق مع الإمام البقاعي ابن عطية وأبو حيان وغيرهم في إبراز جانب الاحتباك في الآية إلا أنه أضاف إلى ما ذكره المتقدمون وهو يوظف ويوضح الاحتباك أكثر من غيره من المفسرين، فهو يذكر الاحتباك بالاسم وتقدير الآية بنوع من التفصيل. خاطب الله تعالى في هذه الآية الصادقون يجازيهم الله بصدقهم، أما المنافقون فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء رحمهم، ولكن مشيئة الله –ﷻ– اقتضت تعذيبهم إن ماتوا على النفاق، ومما يدل على ذلك قوله تعالى:﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾[2] فهم خالدون في نار جهنم.

وقابل بين العذاب والتوبة، وعلق كليهما بالمشيئة لبيان أن هذين الأمرين بيده –ﷻ–، ومن خلال الآية التي تذكر تعذيب المنافقين يتبين أن عذابهم محتم فكيف يصح تعليقه على المشيئة، وهو قد شاء تعذيبهم إذا ماتوا على النفاق، يوضح هذا صاحب المحرر الوجيز بقوله: تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم، والتوبة موازية لتلك الإدامة، وثمرة التوبة تركهم دون عذاب، فهما درجتان إقامةٌ على نفاق أو توبة منه، وعنهما ثمرتان تعذيبٌ أو رحمة، فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هذين ودل ما ذكر على ما ترك ذكره[3]

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(170/11)

([2]) سورة النساء، رقم الآية 145

([3]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الاندلسي (44/12)

ويوضح صاحب البحر كلام ابن عطية هذا بقوله: وكان ما ذكر يؤول إلى أن التقدير: ليقيموا على النفاق، فيموتوا عليه، إن شاء فيعذبهم، أو يتوب عليهم فيرحمهم، فحذف سبب التعذيب، وأثبت المسبب، وهو التعذيب، وأثبت سبب الرحمة والغفران، وحذف المسبب، وهو الرحمة والغفران، وهذا من الإيجاز الحسن[1]وعلى ما مضى يمكن القول بأن الآية بهذا الحذف أصبحت من الاحتباك، لأن الحذف وقع من الطرفين فذكر(العذاب) أولاً يدل على (الرحمة) والنعيم ثانياً، وذكر(التوبة) ثانياً يدل على (عدم التوبة) أولاً، فأي عرضٍ هذا العرض، وحكمٍ هذا الحكم، ليعذب وينعم بحجةٍ يتعارفها الناس فيما بينهم[2]وعلى هذا الكلام والذي قبله يكون تقدير الآية الكريمة :

ويعذب المنافقين فلا يتوب عليهم ويميتهم على النفاق أو يتوب عليهم فيرحمهم بتوفيقهم للتوبة قبل الموت

وفي الآية ملحظ بلاغي في قوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾، فلم يقل في جانب المنافقين بنفاقهم، كما قال بجانب الصادقين﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾، وذلك لقوله ﷻ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ....﴾فإنه يستدعي فعلاً خاضاً بهم، والظاهر أن اللام في (ليجزي) للتعليل، والكلام تعليل للمنطوق من نفي التبديل عن الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، والمعرض به من إثبات التعريض لمن سواهم من المنافقين فإن هذا الكلام بقوة قوله تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[3]كما بدل المنافقون، فقوله (ليجزي –ويعذب) متعلق بالمنفي والمثبت على اللف والنشر التقديري[4] وجعل تبديل المنافقين علة للتعذيب مبني على تشبيه المنافقين بالقاصدين عاقبة السوء على نهج الاستعارة المكنية والقرينة إثبات معنى التعليل[5]

([1]) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (209/7)

([2]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (427/15)

([3]) سورة الاحزاب، رقم الآية 23

([4]) اللف والنشر:((هو أن يذكر المتعدد مفصلاً أو مجملاً، ثم يذكر ما لكل واحدٍ من آحاد هذا المتعدد بالترتيب))

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي(173/21)

الموضع الرابع

قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

إن قوله تعالى: فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ تعليل المحذوف دل عليه السياق أي ولا يخرجكم فيستحيي منكم ولذلك صدر بأداة التعليل ولو كان المعنى يستحيي من إخراجكم لكان حقه أن يصدر بالواو، وفيه أن الكلام بعد تسليم ما ذكر على تقدير المضاف، وزعم بعضهم أن الأصل فيستحيي منكم من الحق والله لا يستحيي منكم من الحق والمراد بالحق إخراجهم على أن ذلك من الاحتباك وكلا حرفي الجر ليس بمعنى واحد بل الأول للابتداء والثاني للتعليل، وقال: إن الحمل على ذلك هو الأنسب للإعجاز التنزيلي والاختصار القرآني ولا يخفى ما فيه[2]

التحليل والدراسة

تتحدث هذه الآية عن قضية كانت تحرج النبي-ﷺ-وهي مكوث أصحابه في بيته بعد تناول الطعام، وإنما يحصل الإحراج لأن النبي سينشغل بما لا يعنيه ويصد عما يعنيه، وهذا كان بسبب ضيقاً في منزله-ﷺ-وكان-ﷺ-شديد الحياء، فيحجب الحياء النبي عن تذكيرهم بهذا الأمر، فأنزل الله هذه الآية[3]

([1]) سورة الأحزاب، رقم الآية 53

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(247/11)

([3]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(70/22) وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (5/ 236)،

وقوله تعالى: ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ أي: من إخراجكم، فهو على تقدير المضاف لقوله تعالى:﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ فدل ذلك على أن المستحيا منه شيءٌ معنوي، وليس ذوات الصحابة–رضوان الله عنهم–، فلو كان المراد الاستحياء من ذواتهم لقال سبحانه، والله لا يستحي منكم، فالمراد بالحق: إخراجكم أو المنع عن ذلك، ووضع الحق موضعه لتعظيم جانبه، وذكر أن في الآية احتباكاً، والأصل:

.... فيستحي منكم من الحق والله لا يستحي منكم من الحق

فحرف الجر (من) للابتداء و (من) الثاني للتعليل. فحذف من الأول (من الحق) لدلالة الثاني عليه، وحذف من الثاني (منكم) لدلالة الأول عليه[1]

وزعم بعضهم كون أصله: يستحي منكم من إخراجكم، والله لا يستحي منكم من إخراجكم، على أنه من الاحتباك، فيكاد أن يكون من الهذيان فضلاً عن كونه أنسب بإعجاز القرآن كما توهم[2] وقيل: إن القول بالاحتباك هو الأنسب للإعجاز الترتيلي والاختصار القرآني، ولا يخفى ما فيه[3] والظاهر أن التقدير السابق لا يتناسب مع القول بالاحتباك؛ لعدم اكتمال صورته، فالمحذوف الأول (منكم) في﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾؛ لدلالة (منكم) في:﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ فقط، فكلا حرفي الجر ليسا بمعنى واحد، بل الأول: (منكم) للابتداء، والثاني: (من) للتعليل، أما طرفا الاحتباك الآخران فهما مذكوران في الخطاب﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾

الموضع الخامس

قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[4]

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي (70/22)، والتأويل النحوي في القرآن، د. عبد الفتاح أحمد الحموز(398/1)

([2]) حاشية الشهاب على البيضاوي(183/7)

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(71/22)

([4]) سورة الأحزاب، رقم الآية 56

نص ما قاله المؤلف

إن في الكلام الاحتباك والأصل صلوا عليه تصلية وسلموا عليه تسليما فحذف عليه من إحدى الجملتين والمصدر من الأخرى وأضيفت الصلاة إلى الله تعالى وملائكته دون السلام وأمر المؤمنون بهما قيل لأن للسلام معنيين التحية والانقياد فأمرنا بهما لصحتهما هنا، ولم يضف لله سبحانه والملائكة لئلا يتوهم إنه في الله تعالى والملائكة بمعنى الانقياد المستحيل في حقه تعالى وكذا في حق الملائكة، وقيل الصلاة من الله سبحانه والملائكة متضمنة للسلام بمعنى التحية الذي لا يتصور غيره فكان في إضافة الصلاة إليه تعالى وإلى الملائكة استلزام لوجود السلام بهذا المعنى، وأما الصلاة منا فهي وأن استلزمت التحية أيضا إلا أنا مخاطبون بالانقياد وهي لا تستلزمه فاحتيج إلى التصريح به فينا لأن الصلاة لا تغني عن معنييه المتصورين في حقنا المطلوبين منا، ثم قيل: وهذا أولى مما قبله لأن ذلك يرد عليه قوله تعالى: سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ [الرعد: 23، 24] ولا يرد هذان على هذا[1]

التحليل والدراسة

هذه الآية من الآيات التي شرف الله-ﷻ-بها نبيه مُحَمَّداً-ﷺ-وذكر منزلته منه سبحانه وتعالى، نجد أن الإمام الآلوسي يوافق مع المتقدمين والبلاغيين في إبراز جانب الاحتباك في الآية، فهو يذكر الاحتباك وتقدير الآية بنوع من التفصيل. فجاء النداء المؤكد للمؤمنين في بيان حرمتهﷺ عند الملاء الأعلى بالصلاة من الله سبحانه وتعالى والملائكة، أمر الملاء الأدنى بالصلاة والسلام عليه[2] وجعلت هذه الآية من الاحتباك طرف ما ذكر في الأخر، حيث حذف من كل طرف ما ذكر في الأخر، ويكون التقدير الآية الكريمة:

يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه صلاة وسلموا عليه تسليماً[3]

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(256/11)

([2]) أنظر: التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي (228/25)

([3]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (80/22)، والتأويل النحوي في القرآن، د.عبد الفتاح أحمد الحموز (285/1)

أي أنه حذف من الجملة الأولى المفعول المطلق (صلاةً) لدلالة نظيره عليه في الثاني وهو المفعول المطلق (تسليماً)، وحذف من الجملة الثانية الجار والمجرور(عليه) لدلالة الأول عليه، وبهذا جمعت الآية بين نوعين من الاحتباك المتشابه والمتناظر، فأصبحت الآية بذلك من الاحتباك المشترك.

وجاء افتتاح الآية بـ (إن) المؤكدة وجاء بعدها لفظ الجلالة (الله) وذلك لإدخال المهابة والتعظيم في هذا الحكم[1]كما جاء فعل الصلاة في أول الآية بصيغة المضارع، تشريفا لمقام النبي-ﷺ-، ومن المعلوم ان دلالته هي التجدد والتكرار، كما جاء النداء في قوله(يا أيها)مؤكداً بـ (ها) من (أيها) إشارة إلى عظم الأمر الذي سيتلوه وأهميته[2] وليكون أمر المؤمنين بالصلاة عليه والتسليم عقب ذلك مشيرا إلى تكرير ذلك منهم إسوة بصلاة الله وملائكته[3]

وأكد السلام دون الصلاة في الآية وذلك لأنه كما قال ابن القيم – رحمه الله –: (فإذا استشعرت النفوس أن شأنه عند الله وعند ملائكته هذا الشأن بادرت إلى الصلاة تنبيهها والإشارة إليها بأدنى إشارة فإذا أمرت بها لم تحتج إلى تأكيد الأمر بل إذا جاء مطلق الأمر بادرت وسارعت إلى موافقة الله وملائكته في الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه فلم يحتج إلى تأكيد الفعل بالمصدر ولما خلا السلام عن هذا المعنى وجاء في حيز الأمر المجرد دون الخبر حسن تأكيده بالمصدر ليدل على تحقيق المعنى وتثبيته ويقوم تأكيد الفعل مقام تكريره)[4]وأكد فعل السلام بالمصدر في قوله: ﴿.... **وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ زيادة في التشريف، أي اقتران الصلاة بالسلام على النبي – ﷺ – ، ومن بلاغة نظم الآية أنها افتتحت بالجملة الاسمية المؤكدة وتوسطت بالنداء المؤكد للمؤمنين، وختمت بالتوكيد أيضا بالمصدر[5]

([1]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور(97/22)

([2]) أنظر: أسلوب النداء في القرآن الكريم، معن توفيق، كلية الآداب، جامعة الموصل، رسالة ٤ ماجستير (ص97)

([3]) التحرير والتنوير لإبن عاشور (22 /97)

([4]) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (2 / 413 – 414)

([5]) أنظر: أسلوب النداء في القرآن الكريم، معن توفيق (ص97)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة سباء

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة سباء: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

جوز أن يكون في الكلام صنعة الاحتباك، الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الدنيا، وله ما في الآخرة والحمد فيها فأثبت في كل منهما ما حذف من الآخر[2]

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً، لأن حذف أولاً (له الحمد في الأولى)؛ لما دل عليه ثانياً، وثانياً (وله كل ما في الآخرة)؛ لما دل عليه أولاً[3] وجوز أن يكون في الكلام صنعة الاحتباك، الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الدنيا، وله ما في الآخرة والحمد فيها فأثبت في كل منهما ما حذف من الآخر[4]

وفيه نظر؛ لعدم تعادل المذكور والمحذوف من كل طرف حيث جعل المذكور في الطرف الأول:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾مقابلاً للمذكور في الطرف الثاني: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾، والمحذوف من الطرف الأول،(له ما في الدنيا) مقابلاً للمحذوف من الطرف الثاني، له ما في الآخرة. والثاني: في جعل التقدير: "الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الأولى، وله كل ما في الآخرة وله الحمد في الآخرة" [5] فكان في هذا التقدير نوعا من الركاكة لا يطلبها مقام العظمة، فلو جعل التقدير:

([1]) سورة سباء، رقم الآية 1

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(278/11)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (431/15)

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(278/11)

([5]) الاحتباك في الذكر الحكيم، مواقعه وأسراره، (ص53) وما بعدها.

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الأولى، وله الحمد في الآخرة وكل ما فيها؛ لكان أكثر الدقة في بناء العبارة، وسره أن حذف "فله الحمد في الأولى؛ لأجل خفائه على أكثر الخلق، وظهر ما في الآخرة لظهوره؛ لأنها دار كشف الغطاء[1] فأنفع للسياق في هذا المقام حمل النظم على شبه الاحتباك.

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة سباء: ﴿**قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ عن الحق فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلى نَفْسِي أي عائدا ضرر ذلك ووباله عليها فإنها الكاسبة للشرور والأمارة بالسوء وَإِنِ اهْتَدَيْتُ إلى الحق فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي فإن الاهتداء بهدايته تعالى وتوفيقه عزّ وجلّ، وما موصولة أو مصدرية، وكان الظاهر وإن اهتديت فلها كقوله تعالى:﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها﴾[فصلت،46] أو إن ضللت فإنما أضل بنفسي ليظهر التقابل لكنه عدل عن ذلك اكتفاء بالتقابل بحسب المعنى لأن الكلام عليه أجمع فإن كل ضرر فهو من النفس وبسببها وعليها وباله، وقد دل لفظ على في القرينة الأولى على معنى اللام في الثانية والباء في الثانية على معنى السببية في الأولى فكأنه قيل: قل إن ضللت فإنما أضل بسبب نفسي على نفسي وإن اهتديت فإنما اهتدى لنفسي بهداية الله تعالى وتوفيقه سبحانه، وعبر عن هذا بما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي لأنه لازمه، وجعل علي للتعليل وإن ظهر عليه التقابل ارتكاب لخلاف الظاهر من غير نكتة[3]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، والإمام الآلوسي يوافق مع المفسرين الآخرين في إبراز جانب الاحتباك في الآية إلا أنه يوظف ويوضح الاحتباك أكثر من غيره من المفسرين، وصورة الاحتباك في هذه الآية كذا حذف أولاً كون الضلال من نفسه بما دل عليه ثانياً من أن الهدى من الوحى، وثانياً كون الهدى له بما دل عليه من

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (429/15)

([2]) سورة سباء، رقم الآية 50

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(329/11)

كون الضلال عليه([1]) وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أضل بما في نفسي)؛ لدلالة ذكر ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾، ومن الطرف الثاني حذف (هداي لنفسي)؛ لدلالة ذكر ﴿أَضِلُّ عَلى نَفْسِي﴾في الطرف الأول.

وجوز أن يكون معنى القرينة الأولى قل إن ضللت فإنما أضل عليّ لا على غيري، ويكون التقدير الآية الكريمة:

قل إن ضللت فإنما أضل بما في نفسي على نفسي، وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي وهداي لنفسي[(2)]

وسره: أنه ذكر الضلال؛ لكونه أساساً لكل شر، والهدي؛ لكونه أساساً لكل خير؛ إعلاما بأن أثر الضلال والهدي عائد عليه، وليثبت أن بني البشر عامة لا يسلمون من شواغل النفس بشهواتها وحظوظها وكسلها وفتورها إلا بفضل الله عليهم بالعصمة من ذلك؛ لذا أرسل رسلاً جردهم من تلك القواطع، فجعل أخلاقهم شرائعهم؛ فتحقق الأمر على كلٍ أن يتبع رسله المتخلقين بكتبه متهماً عقله منابذاً رأيه؛ ليكون مؤمناً بالغيب حق الإيمان[(3)]

فالعلاقة الرابطة بين المعاني أسهمت في إثبات الضلال وإسناده إلى لعبد؛ نتيجة لمخالفة الشرع، وإثبات الهدى وإسناده إلى لحق نتيجة التوفيق منه ﷻ، فهذا الوجه من الحذف يبطل إبطالاً تاماً ما عليه المعاندون من إبطال دعوة الحق؛ ليغرس في نفوسهم مبدأ جليلاً من مبادئ العقيدة تمثل في: إثبات التفرد الإلهي في القدرة على الهداية. فبمراعاة النظر في السياق العام يتضح أن المقصد الأعظم الذي قامت عليه السورة يدعو إلى إثبات "حقيقة الدار الآخرة؛ لكونها كائنة لا ريب فيها؛ لما في ذلك من الحكمة وله عليه من القدرة"، والخاص تحقق فيه الكشف عن عناد أهل الباطل وتجرئهم على معاندة الرسول[(4)] ليثبت لهم أن هداه بوحي من ربه، لا بيد غيره، فلا يمكن بوجه من الوجوه فيه ضلال؛ لأنه لا حظ فيه للنفس مطلقاً[(5)] فالناتج عن الاحتباك من لطائف المعاني يدعو في المقام الأول إلى تأكيد حقيقة أن الله جعل العقول صحيحة لا انحراف بها في الشهوات، وإنما النفوس منقادة مترامية نحو الباطل، وهذا يدفع المرء إلى ربط جمع النفس وترويضها

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(535/15)

([2]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (535/15)، والاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره(ص189)

([3]) أنظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(536/15)

([4]) المرجع السابق(428/15)

([5]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(535/15)

فيما يوجهها إلى الحق، وهو إرشاد علي لا يحسن فهمه إلا من عرف ما يملي عليه عقله أولاً، وما تريده نفسه ثانياً، وماذا يختاره ثالثاً، كما أن فيه- الحذف-إرشاداً آخراً به تبرز عظمة القدرة الإلهية في توجيه المرء إلى ربه، فهو وحده هادٍ له يهديه نحو الهداية وثمرتها لنفسه، وضلالها عليها بما دفعته نفسه، وعلاجها الرجوع إلى الحق، وللاحتباك أثر فاعل في تحقيق توجيه علي يسعى بالنفوس إلى الارتقاء في تعلم أساليب التأدب في الخطاب؛ إذ إن في تبصر دلالة الخطاب في سياق الاستعطاف ب﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ حكماً تربوية تغرس في النفوس مبدأ ملازمة حسن التلطف في الخطاب[1]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة يس

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة يس: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ**﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

فتقرر بالاحتباك تأكيد حقيقة ضبط الأشياء في علمه تعالى؛ ليعلم البشر بنوع لطيف من مظاهر القدرة الدالة على تفرده، ولإبراز باهر العظمة الباعثة في النفوس تقواه؛ لتعلم أن الانظباط في علمه وقدرته أجل وأعلى من أن يدرك، فلله القدرة الباهرة، والعظمة الظاهرة، والعزة القاهرة[3]

التحليل والدراسة

في هذه الآية احتباك دل عليه السياق فقد دل فعل الإحصاء على مصدره، وذكر فعل الإمام على فعل الكتابة[1] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (إحصاه)؛ لدلالة ذكر﴿أَحْصَيْناهُ﴾ في الطرف الأول، ومن الطرف الثاني (كتبناه)؛ لدلالة ذكر﴿إِمامٍ﴾ في الطرف الثاني، ويكون التقدير الآية الكريمة:

([1]) أنظر: المرجع السابق (534/15) وما بعدها

([2]) سورة يسن، رقم الآية 12

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي (218/22)

وكل شيءٍ أحصيناه إحصاء وكتبناه في إمام مبين– أو في كتاب مبين–

وسره أنه ذكر الأظهر الأدل على تمام القدرة ومطلق العلم الموجبين للتوحيد. ويدخل ضمن هذا النمط التركيبي من حيث الناتج الدلالي صورة أخرى[2] من صور الحذف تعمق معنى التفرد الإلهي في قدرته على ما لا يمكن القدرة عليه لاحد غيره، وهذا ركن أصيل من أركان الدعوة إلى الإيمان.

فالغرض الأمثل من حمل النظم على الاحتباك تمثل فيما أنتجته أوجه التناظر بين طرفي النظم من لطائف المعاني؛ إذ ركز في المقام الأول على إبراز مطلق شمول القدرة على إحصاء كل شيء[3] لذا فالقول به أتى منسجماً مع المعنى في سياقه العام الساعي إلى إثبات أمر الرسالة؛ ليتحقق الإعلام بإنذار يوم الجمع[4] والخاص تضمن إبراز دلائل القدرة على البعث الذي هو سبب عظيم في الترقية إلى اعتقاد الوحدانية التي هي الأصل الأول[5] فتحقق إثبات مطلق القدرة بحفظ الله وضبطه لكل شيء، ففي تبصر دلالة الخطاب بـ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ إشارة عظمى تفيد مطلق الإحاطة وشمول العموم لكل ما يمكن أن يكون من صغيرة وكبيرة[6] فتقرر بالاحتباك تأكيد حقيقة ضبط الأشياء في علمه تعالى؛ ليعلم البشر بنوع لطيف من مظاهر القدرة الدالة على تفرده، ولإبراز باهر العظمة الباعثة في النفوس تقواه؛ لتعلم أن الانظباط في علمه وقدرته أجل وأعلى من أن يدرك، فلله القدرة الباهرة، والعظمة الظاهرة، والعزة القاهرة[7] وللاحتباك أثر بارز في نشوء علاقات جديدة تقع بين الألفاظ المذكورة والمحذوفة، فأبرز المذكوران عظمة الله في ملكه، فكل شيء كان أو

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(102/16)

([2]) وكذا الحال في قول الحق ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾(سورة النبأ:29)، احتباك: ((دل فعل الإحصاء على حذف مصدره، وإثبات مصدر(كتب) عليه، أي: أحصيناه إحصاءً وكتبناه كتاباً، وذلك الإحصاء والكتب لعدم الظلم))، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(208/21)، وقيل: إن التقدير (أحصيناه بكتبناه، أو كتاباً بإحصاء) فالتقدير الأول أنسب؛ لسموا البيان القرآني؛ لما فيه من حسن انتظام أركانه أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(21/30)، حاشية الشهاب على البيضاوي(308/8)

([3]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري(154/22) وما بعدها

([4]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(81/16)

([5]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (100/16)وما بعدها

([6]) التحرير والتنوير لإبن عاشور(378/22)

([7]) روح المعاني للإمام الآلوسي (218/22)

هو كائن أحصيناه فأثبتناه في أم الكتاب[1] والمحذوفان يؤكدان تلك القدرة، حثاً على التقيد بالصدق وغرسه في النفوس؛ لما فيه من جليل النفع ونبل الخلق، وتجنب الظلم؛ لما فيه من عظيم الضرر وفساد الخلق.

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة يس: ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

وجوز بعضهم كون الآية من الإحتباك والأصل ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه أرجع ومالكم لا تعبدون الذي فطركم وإليه ترجعون فحذف من الأول نظير ما ذكر في الثاني وبالعكس.

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً لأن قوله تعالى في حوار الرجل المؤمن لأصحاب القرية: ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾تعرض هذه الآية جانباً من كلام مؤمن أصحاب القرية، والذي صدح بالحق بعدما كذب أصحاب القربة المرسلين، فخرج هذا المؤمن من بينهم ليصدح بالحق فبدا بقوله:﴿قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[3] حتى وصل إلى قوله:﴿وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، وأخذ يدعوهم إلى الإيمان بهؤلاء الرسل ودعوتهم وكان قوله هذا كأنه ردٌ على إنكارهم له بأنه ترك عبادة ألهتهم ونبذها فرد عليهم قائلاً:﴿وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4]

جاء التعبير بالإلتفات، فذكر في الشق الأول من الآية (ضمير المتكلم)، وفي الشق الثاني (ضمير المخاطب)، وأضاف الفطرة إلى نفسه والبعث إليهم، فلم يأت التقابل متماثلاً بين جزأي الآية، فلم يقل : ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه أرجع، وما لكم لا تعبدون الذي فطركم وإليه ترجعون، بل جاء النظم

([1]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري (154/22)

([2]) سورة يسن، رقم الآية 22

([3]) سورة يسن، رقم الآية 20

([4]) أنظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبكة الميداني، دار القلم دمشق (81/6 – 82)

الكريم بطريق الإلتفات وفي هذا الإلتفات حصل احتباك وذلك لأنه حذف من كل من الجزأين نظير ما أثبت في الآخر، ودل بالمذكور على المحذوف، فحذف من الأول (وإليه أرجع) لدلالة نظيره عليه في الثاني وهو قوله (وإليه ترجعون)، وحذف من الثاني إنكاره عليهم وهو (ومالكم لا تعبدون الذي فطركم) لدلالة نظيره عليه في الأول وهو (ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون)[1] وجوز بعضهم كون الآية من الاحتباك، وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه أرجع ومالكم لا تعبدون الذي فطركم وإليه ترجعون([2])

وتتجلى بلاغة الاحتباك بطريق الإلتفات في التعبير عن الموقف –بإضافة الفطرة إلى نفسه والبعث إليهم، وهو يعلم أن الله قد فطرهم جميعاً كما يبعثهم جميعاً– في أن إيجاد الله–ﷻ نعمةٌ توجب الشكر، والبعث يوم القيامة وعيد يوجب الزجر، فكانت إضافة النعمة إلى نفسه أظهر في الشكر، وإضافة البعث إليهم ابلغ في الزجر[3]وأضاف الخطاب إلى نفسه من باب التلطف في نصحهم، ولإبرازه في معرض المناصحة لنفسه وهو مريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم فيسمعهم الحق على وجهٍ لا يثير غضبهم ويكون أعون على قبولهم إياه حين يرون أنه يريد لهم ما يريده لنفسه[4]

وانتقل إلى خطابهم بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، لبيان إرادتهم بكلامه، وما أراد نفسه[5]وإسناد الشق الثاني من الآية إليهم، فيه تقوية معنى التعريض، وتقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره[6]

وفي هذا الأسلوب يتضح أن هذا الرجل يستفهم في إنكار، أن لا يعبد الله–ﷻ – الذي خلقه ولم يك شيئا وهو عابد لله–ﷻ – حق العبادة، وأن قومه هم الذين لا يعبدون الله–ﷻ– إنما يدعون آلهة من دونه، فكأنه بهذا الاستفهام يستنكر في حقيقة الأمر على قومه أن يعبدوا غير الله، وتعرض الآية لإيجاد الإنسان بعد العدم تعرض لبعثه بعد الموت.

([1]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(226/22)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (111/16)، وحاشية الصاوي (3/ 221)،

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (398/11)

([3]) أنظر: الجامع لإحكام القرآن، حافظ شمس الدين القرطبي (14/15)

([4]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور (368/22)

([5]) أنظر: فتح القدير للإمام الشوكاني (481/4)

([6]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(226/22) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبو السعود (295/5–294)

وهذا الالتفات من الحديث عن الذات إلى الحديث عن المخاطبين، يتماشى مع الانتقال من الإنكار (إنكاره ألا يعبد الذي فطره) إلى التقرير (تقرير لمعلومات سابقة جاءت بها الرسل وهي أن هناك بعثا بعد الموت)[1]وبذلك تتضح بلاغة نظم القرآن وجماليته في التعبير بالإيجاز على سبيل الاحتباك، وقد تواشج الاحتباك مع الالتفات في التعبير عن المقصود.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة ص

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة ص: ﴿**هذا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ* جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ* مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ* وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ* هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ* إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ * هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ**﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

وقيل إنه من الاحتباك وأصله إن للمتقين لخير مآب وحسن مآب وإن للطاغين لقبح مآب وشر مآب[3]

التحليل والدراسة

نجد في قول الله ﷻ ﴿هذا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ إلى هذا ﴿هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ شبه الاحتباك،[4] والإمام الآلوسي يوافق مع المفسرين البلاغيين في إبراز جانب الاحتباك في الآية، وصورة الاحتباك في هذه الآية كذا، كان المحذوف من الطرف الأول(خير)؛ لدلالة ذكر ﴿لَشَرَّ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني (قبح)لدلالة ذكر ﴿لَحُسْنَ﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

([1]) أنظر: تأملات في سورة يسن، حسن باجودة(ص 40)

([2]) سورة ص، رقم الآية 55-49

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(204/12)

([4]) انظر: حاشية الشهاب على البيضاوي(316/7)

إن للمتقين لخير مآب وحسن مآب وإن للطاغين لقبح مآب وشر مآب[1]

وسره أنه ذكر أحسن ما يؤول إليه المتقون، وأنكأ ما يؤول إليه الطاغون، فالحذف أبرز ثواب المتقين وعقاب الطاغين ترغيباً وترهيباً، ويظهر حسن المراد بعد مراعاة المقصد الاعظم الذي قامت عليه السورة بكليتها، وهو إعلام البشر أن جند الله هم الغالبون وإن تأخر نصرهم[2] والخاص بما فيه من ذكر النعيم لأهل الطاعة والعذاب لأهل المعصية[3] فتحقق بأصل النظم أن للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، لحسن مرجع يرجعون إليه في الآخرة، وللطاغين الذين تمردوا على ربهم فعصوا أمره مع إحسانه إليهم، لشر مرجع يصيرون إليه في الآخرة[4]

ويذهب بعض أهل العلم إلى بعد هذا الوجه، والظاهر المقابلة يقتضي أن يقال: لقبح مآب هنا أو لخير مآب فيما مضى، لكن مثله لا يلتفت إليه إذا تقابلت المعاني؛ لأنه من تكلف الصنعة البديعية... واستحسنه الخفاجي وفيه نوع بعد[5] فالقول بالحذف وجه من وجوه فهم المعنى لا يتعارض مع مقصد القرآن بل حقق للنظم معاني، من أبرزها: إيثار عزائم أهل الإيمان؛ لإبعادهم عن الوقوع في المعاصي أولاً، ولدفعهم إلى الإرتقاء في الإيمان بفعل الطاعات ثانياً، كما حقق نوعاً لطيفاً من الإيجاز الدال على دقة القرآن في بيان معانيه ثالثا.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الزمر

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿**قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[6]

([1]) روح المعاني للإمام الآبوسي(204/12)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (321/16)

([3]) المرجع السابق(403/16)

([4]) انظر: جامع البيان (173/23) وما بعدها

([5]) المرجع السابق (214/23)

([6]) سورة الزمر، رقم الآية 53

نص ما قاله المؤلف

وجوز أن يكون في الكلام صنعة الاحتباك كأنه قيل: لا تقنطوا من رحمة الله ومغفرته إن الله يغفر الذنوب جميعا ويرحم[1]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، والإمام الآلوسي يوافق مع المفسرين الآخرين في إبراز جانب الاحتباك في الآية، فهو يذكر الاحتباك بتقدير الآية فقط بدون أي تفصيل، وجدنا نزلت هذه الآية بشارةٌ للذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي من المؤمنين وغيرهم من أهل الشرك، لأنه ﷻ عما بقوله:﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ...)، جميع المسرفين، فلم يخص به مسرفاً دون مسرف[2] كيف لا وقد وسعت رحمتهﷻ كل شيء كما أخبر ﷻ في قوله﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وكما جاء في الحديث: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)[3] وجوز أن يكون في الآية احتباك، لأنه حذف (المغفرة) من الأول لدلالة الفعل عليه في الثاني وهو (يغفر)، وحذف من الثاني فعل الرحمة وهو(يرحم) لدلالة الاسم عليه في الأول وهو (رحمته)، وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله

ومغفرته إن الله يغفر الذنوب جميعاً ويرحم إنه هو الغفور الرحيم[4]

وأفاد هذا الإيجاز بالاحتباك، بذكر(الرحمة) أولاً من غير المغفرة بيان عظم هذه النعمة، وذلك لأنها الأساس في دخول العبد إلى الجنة، وفي مجيء الجملة الثانية مع فعل المغفرة في (يغفر)، بشارةٌ للذين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب، بأنه ﷻ يغفر لهم ذنوبهم مهما عصوه وعملوا السيئات قبلها، وفي ذكر الرحمة أولاً حثٌ

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(269/12)

([2]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى (1422 هـ - 2001 م)(22/24)

([3]) سنن الترمذي، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، حديث رقم (3540)(548/5) وينظر سنن الدارمي، باب إذا تقرب العبد إلى الله، حديث رقم (2788)(414/2)

([4]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(3/24)

للعبد على التوبة، وبيانٌ بأن الله-ﷻ- رحيمٌ بعباده، وكان للاحتباك دورٌ بارز في صياغة الآية على هذا النظم الدقيق إذ صيغت بإيجاز جميل لا يخل بالمعنى بل جمله وعمقه وهذه من صفات الكتاب العزيز.

ومعنى القنوط في الآية، لا تيأسوا من رحمة الله ومغفرته، ثم لما نهاهم عن القنوط اخبرهم بما يدفع ذلك، ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط، فقال :﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1] وفي ابتداء الخطاب بالنداء في (يا عبادي) بعد فعل الآمر (قل)، وفي استعمال لفظ (عباد) إيذانٌ بأن ما بعده إعداد للقبول، وإطماعٌ في النجاة[2]كما أن النداء بالأداة(يا) له بلاغة بعد فعل الأمر الحقيقي (قل) في لفت أسماع المخاطبين، وتحريك مشاعرهم، ليمتثلوا أمام هذا النداء، مقبلين إلى الله ﷻ ومعرضين عما جنوا فيما مضى[3] وفي توظيف اسم الموصول وصلته﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ حثاً للمخاطبين الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي إلى التعرض إلى رحمة الله الواسعة بعدم الإقناط منها لأن صلته فيها تمام المعنى في بيان عظمة الله تعالى ورحمته بعباده فهو الغفور الرحيم[4]

وثمة جمالية في الالتفات من ضمير المتكلم في قوله تعالى:﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ﴾ إلى الاسم الغائب(ضمير الغائب) في قوله:﴿رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، فأضاف الرحمة إلى لفظ الجلالة (الله) ولم يقل (رحمتي)[5] وذلك في أن إضافتها إلى لفظ الجلالة، سعة للرحمة، إذ أضيفت إلى (الله) الذي هو أعظم الأسماء، وهو العلم، المحتوي على معاني جميع الأسماء[6]

وتعد هذه الآية أرجأ آية في كتاب الله العزيز، لاشتمالها على أعظم بشارةٍ، كيف لا وهي قد أشرعت أبواب الأمل في وجوه البائسين، وضمنت خط العودة للتائهين وبينت شدة رحمتهﷻ بعباده، كما جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال ﷺ (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)[7] وحديث عمر بن الخطاب-ﷺ-(قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ

([1]) أنظر: فتح القدير للإمام الشوكاني (616/4)

([2]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور(24/ 40)

([3]) أسلوب النداء في القرآن الكريم، معن توفيق، كلية الآداب، جامعة الموصل، رسالة ٤ ماجستير(ص 51)

([4]) أنظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (1420هـ-2000م) (1/ 128- 130)، وينظر أساليب النداء في القرآن الكريم، د. عبد القادر محمد المعتصم دهمان، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع المنصورة-مصر (ص52)

([5]) أنظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د – فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة (1427هـ-2006م) (ص 29)

([6]) أنظر: البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (7 /416)

([7]) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، حديث رقم (2747)(2104/4)

فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا)[1]

وفي هذه الآية أمور عديدة تدل على سعة رحمة الله-ﷻ-منها أنه سمى المذنب بالعبد، والعبودية مفسرة بالحاجة والذلة والمسكنة، واللائق بالرحيم الكريم إفاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج، ومنها أنه-ﷻ-أضافهم إلى نفسه بياء الإضافة فقال: ﴿يَا عِبَادِي﴾، وشرف الإضافة إليه يفيد الأمن من العذاب، ومنها نهيهم عن القنوط فيكون هذا أمر بالرجاء، والكريم إذا أمر بالرجاء لا يليق به إلا الكرم، ومنها تأكيد الذنوب ب(جميعاً) ليدل على الشمول، ومنها أن ﷻ ختم الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، فالغفور صيغة مبالغة تدل على كثرة المغفرة، والرحمة بعدها تفيد فائدة على المغفرة، فكان قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾إشارة إلى تحصيل موجبات الرحمة والثواب، كما أن قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾يفيد الحصر ومعناه أنه لا غفور ولا رحيم إلا هوﷻ، وهذا واضح بما في الآية من المؤكدات، من تعريف الجزأين (الاسمين)، المؤكدين بأن وضمير الفصل، وذلك يفيد الكمال في وصفه-ﷻ- بالغفران والرحمة[2]كما أنه ﷻ عندما ذكر العباد قال: ﴿يا عبادي﴾ ولم يقل (يا عباد) بكسر الدال لأن ما ذكرت فيه الياء أوسع واشمل مما حذفت منه فكان طول البناء إشارة إلى سعة المجموعة وكثرتها في الآية، فالعباد هنا قاعدة عريضة واسعة، فالذين أسرفوا على أنفسهم هم الاكثرون قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[3] فالعباد هنا كثر وهم عموم العباد، فهم إذا سألوه فهو قريب منهم ويجيبهم، فذكر الياء مع العباد لهذا الغرض[4]

وفي فضل هذه الآية وغيرها روى غير واحد عن ثوبان – رضي الله عنه– أنه قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: (ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿... يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ... ﴾ فقال رجل: ومن أشرك؟ فسكت النبي _عليه الصلاة والسلام_ وقال: ألا : ومن أشرك .ثلاث مرات)

([1]) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم (5653)(2235/5)، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وإنها سبقت غضبه، حديث رقم (2754)(2109/4)

([2]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي (13/24) والتفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي (5/27)، وفتح القدير للإمام الشوكاني (617/4)

([3]) سورة يوسف، رقم الآية 103

([4]) أنظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائ (26/25)

[1]كما أن ابن مسعود – رضي الله عنهما– قال: إن أكثر آية في كتاب الله فرحا هي في سورة الغرف– الزمر– وذكر هذه الآية[2]

([1]) أنظر: شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول البيهقي، باب معالجة كل ذنب بالتوبة، حديث رقم (7137)(423/5)

([2]) أنظر: تفسير القرآن العظيم لإبن كثير (1625/1)

الفصل الرابع

مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الغافر إلى نهاية سورة الناس)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الغافر

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الغافر: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

والمراد جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتنتشروا فيه ولتبتغوا من فضل الله تعالى فحذف من الأول بقرينة الثانية ومن الثاني بقرينة الأول لم يحتج إلى ما ذكر في تعليل ترك المبالغة في القرينة الأولى، وهذا هو المشهور في الآية[2]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، والإمام الآلوسي يوظف ويوضح الاحتباك بنوع من التفصيل، أما الحلبي تحدث عن شبيهتها في سورة يونس فقال:" أنظر إلى فصاحة هذه الآية حيث حذف من كل جملةٍ ما ثبت في الأخرى، وذلك أنه ذكر علة جعل الليل لنا، وهي قوله ﴿لتسكنوا﴾ وحذفها من جعل النهار، وذكر صفة النهار وهي قوله﴿مبصراً﴾ وحذفها من الليل لدلالة المقابل عليه، ويكون التقدير في هذه الآية الكريمة:
هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه لمعاشكم، فحذف ﴿مظلماً﴾لدلالة ﴿مبصراً﴾ عليه، وحذف﴿لتتحركوا﴾لدلالة ﴿لتسكنوا﴾ وهذا أفصح كلام [3]
وقال عنها البقاعي: "الآية من الاحتباك: حذف الظلام أولاً لكونه ليس من النعم المقصودة في أنفسها لما دل عليه من الإبصار الذي هو المقصود من نعمة الضياء المقصود في نفسه، وحذف الانتشار؛ لأنه بعض ما

([1]) سورة غافر، رقم الآية 61

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(335/12)

([3]) الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، ت756هـ، ت الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق(237/6)

ينشأ عن نعمة الإبصار لما دل عليه من السكون الذي هو المقصود الأعظم من الليل؛ للراحة لمن أرادها، أو لمن اعتمدها واستزادها"[1]

حذف من الآية الظلام لدلالة الإبصار عليه، وحذف الانتشار لدلالة السكون عليه، وهي أمور حسية يعيشها الإنسان في حياته.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة فصلت

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة فصلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

أَفَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ تنبيه على كيفية الجزاء، وكان الظاهر أن يقابل الإلقاء في النار بدخول الجنة لكنه عدل عنه إلى ما في النظم الجليل اعتناء بشأن المؤمنين لأن الأمن من العذاب أعم وأهم ولذا عبر في الأول بالإلقاء الدال على القسر والقهر وفيه بالإتيان الدال على أنه بالاختيار والرضا مع الأمن ودخول الجنة لا ينفي أن يبدل حالهم من بعد خوفهم أمنا، وجوز أن تكون الآية من الاحتباك بتقدير من يأتي خائفا ويلقى في النار ومن يأتي آمنا ويدخل الجنة فحذف من الأول مقابل الثاني ومن الثاني مقابل الأول وفيه بعد[3]

التحليل والدراسة

نجد أن في هذه الآية احتباكاً، والإمام الآلوسي يوافق مع المفسرين المتقدمين في إبراز جانب الاحتباك في الآية، ويوظف الاحتباك بالاسم وتقدير الآية بذكر الوجه البلاغي على أحسن وجه. وإذا نظرنا نجد أن الآية تبدأ بتهديد الملحدين، وأنهم لا يخفون على الله، وهم معاقبون بما يلحدون مهما مكروا والتفوا وحسبوا أنهم مفلتون من يد الله كما يفلتون بمكرهم ومغالطتهم من حساب الناس، ثم ينتقل إلى مشهد الآخرة وصورة العذاب فيصرح بالتهديد في قوله﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾، فهم يلقون في النار خائفين مذعورين خلاف ما كانوا في الدنيا آمنين مستهزئين بدين الله ورسوله والمؤمنين، وهو تعريض بهم بما ينتظرهم من العذاب في الآخرة، ثم تعرض صورة المؤمنين وكيفية مجيئهم يوم القيامة آمنين غير خائفين فهم كما وصفهم القرآن﴿لَا

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(101/17)

([2]) سورة فصلت، رقم الآية 40

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(378/12)

يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1] وتنتهي الآية بتهديد آخر ملفوف﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2]

وكان ظاهر الآية أن يقابل الإلقاء في النار بدخول الجنة، أو الأمن بالخوف، ولكنه حذف من الطرفين على سبيل الاحتباك، قال البقاعي: (ذكر الإلقاء في النار أولاً دليلاً على دخول الجنة ثانياً، والأمن ثانياً دليلاً على الخوف أولاً، وسره أنه ذكر المقصود بالذات، وهو ما وقع الخوف لأجله أولاً والأمن الذي هو العيش في الحقيقة ثانياً)[3] فحذف من الأول مقابل الثاني، ومن الثاني مقابل الأول، وعلى هذا يكون التقدير:

أفمن يأتي خائفاً يوم القيامة فيلقي في النار خير

أم يأتي أمناً يوم القيامة فيدخل الجنة.....

وبلاغة هذا الفن في الآية تكمن في الاعتناء بشأن المؤمنين، لأن الأمن من العذاب أعم وأشمل وأهم، ولذا ذكر في الأول الإلقاء في النار الذي يدل على القهر والقسر، والإتيان في الثاني الذي يدل على الاختيار، والرضا مع الأمن ودخول الجنة لا تنفي أن يبدل حالهم بعد خوفهم أمناً[4]و يتضمن نظم الآية دلالة يتجلى فيها الترغيب والترهيب، إذ يصور الكافر وهو يلقى في النار كما يلقى الشيء الذي لا قيمة له، إهمالاً وتحقيراً له، وفي بناء الفعل للمجهول (يلقى) دلالة الخوف إذ أنه يخطف من حيث لا يدري ويقذف في النار، وفي هذا يكمن ذل الكافر وهوانه في ذلك اليوم، في مقابل ما يناله المؤمن بما تتمناه النفس دائما في الدنيا والآخرة وهو (الأمن)، فبوجوده تنعم البشرية بكل شيء وبزواله لا تتلذذ بكل ما يتوفر لها من النعم والرفاه —كما هو حالنا اليوم،– كما أن صيغة (أمناً)–الاسمية– توحي بأن الأمر تم وانتهى وثبت، وأنهم اتصفوا بهذه الصفة ونالوا هذا الوعد، في حين أثر التعبير في جانب الكافر استعمال صيغة المضارع(يلقي) لتركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه، وتدل على القدرة العظيمة لله عزوجل فضلاً عن التمكن[5]ومن خلال هذا العرض يمكن أن نلاحظ كيف أن القرآن الكريم رسم الصورتين في أجمل نظم، فمع قربهما فالفريقان يتباعدان كل البعد عن الآخر[6]

([1]) سورة الأنبياء، رقم الآية 103

([2]) في ظلال القرآن لسيد قطب(3126/5)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (199/17)

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي (127/24)

([5]) سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية، غبد القادر عبد الله الحمداني، (ص317)، دار الكتب العلمية (1436هـ–2011م)

([6]) النكت في إعجاز القرآن، للرماني (ص108)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الشورى

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الشورى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

في هذه الآية أن فعلي الإنذار نزلا بمنزلة المعدى إلى مفعول واحدٍ، فلم يذكر مع الفعل الأول(المنذر منه) وهو المفعول الثاني له، ولم يذكر مع الفعل الثاني(المنذر) الذي هو المفعول الأول له، فحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني وهو المفعول الثاني (العذاب)، وحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول وهو المفعول الأول (المنذر)[2]

التحليل والدراسة

بين الإمام الآلوسي الاحتباك في هذه الآية، وبتوضيحه يبرز الوجه البلاغي على أحسن وجه، نحن نعرف أنزل الله ﷻ القرآن الكريم بلغة العرب، وذلك ليكون أقرب إلى الفهم والإدراك، ومن صفات هذا الكتاب، أنه فيه إنذار ووعيد، لأهل مكة ومن حولها، وللناس أجمعين،كذلك يحذر من عقاب الآخرة التي يجتمع فيها الإنس والجن للحساب.

ويلاحظ في الآية أن الفعل (أنذر) من الأفعال التي تنصب مفعولين كما في قوله تعالى:﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾[3] صورة الاحتباك في هذه الآية كذا أن فعلي الإنذار نزلا بمنزلة المعدى إلى مفعول واحدٍ، فلم يذكر مع الفعل الأول(المنذر منه) وهو المفعول الثاني له، ولم يذكر مع الفعل الثاني(المنذر) الذي هو المفعول الأول

([1]) سورة الشورى، رقم الآية 7

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (15/ 32)

([3]) سورة النباء، رقم الآية 40

له، فحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني وهو المفعول الثاني (العذاب)، وحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول وهو المفعول الأول (المنذر)[1]

وعلى هذا تكون الآية من الاحتباك، فقد ذكر المنذر أولاً وهو (أم القرى) دليلاً على إرادة (الناس) في الثاني، وذكر المنذر منه ثانياً وهو(يوم الجمع) دليلاً على حذف المنذر منه أولاً وهو (العذاب)[2] وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

لتنذر أم القرى ومن حولها العذاب وتنذر الناس يوم الجمع لا ريب فيه

وبهذا النظم جاءت الآية في غاية الإيجاز والاختصار، وتظهر بلاغة هذا الفن، بعدم ذكر العذاب مع فعل الإنذار الأول، ليفيد التهويل والتعظيم منه وليبقى الذهن منشغلاً في التكفير بهذا العذاب وكيفيته، وليذهب به الخيال في المحذوف كل مذهب فيكون أهول، وحذف المنذر في الثاني لإيهام التعميم، كما أن ذكر هذين المذكورين وهما (أم القرى) و(يوم الجمع) أفخم وأوجل في النفس[3]

وابتدأت الآية بوصف القرآن﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾للتناسب بين هذا الوصف وحال المنذرين به وهم العرب من أهل مكة ومن حولها، لأنهم المخاطبون بالدين ابتداءً، وفي ذلك تشريف لهذه الأمة لتكون أول من يتلقى الإسلام وينشره بين الأمم فضلاً عن التشريف بعربية القرآن.

ومن دقائق الآية التعبير عن مكة بـ(أم القرى)، أن الأم هي الأصل الذي يصدرعنه الفرع، وذلك لأن الأرض كما قيل دحيت من تحتها فهي كالأصل لها، أو أنها أول مكان اجتمع فيه البشرومنه صدروا وذلك بعد أن تكاثروا، أي أنها أول نقطة التقت فيها البشرية. أو أنها أمٌ لما حولها من القرى لقدمها، أو أنها أمٌ لاحتياج البلاد لها، كما عبر بالمجاز المرسل بعلاقة المحلية بحذف المضاف أي: أهل أم القرى[4] إذ (عبر بلفظ المحل عن

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي (15/ 32).

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(250/17)، وصفوة التفاسير، محمد على الصابوني (359/3)، والتأويل النحوي في القرآن الكريم،الحموز(272/1)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(250/17)، وأنوار التنزيل وأسرار التاويل للبيضاوي(359/3)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم(9/6)

([4]) من أسرار الأسماء في القرآن الكريم، بسام نهاد جرار (ص76)

الحال فيه إيجازاً واختصاراً، ولأنه اخف وأبلغ)[1] وأفاد هذا المجاز بالحذف الاتساع وتنشيط الخيال، وإثارة الانتباه فضلاً عما فيه من التهويل في النفوس[2] تهويل من شدة العذاب، ومما يدل على أن المحذوف(أهل) هو مجيء(من) بعده على سبيل الوصل بالواو، و(من) في الاغلب لمن يعقل[3]ولأن القرآن نزل على البشرية جمعاء وعلى هذا يكون المقصود بمن حولها: مجموع الناس[4]

وثمة بلاغة في تكرار فعل الإنذار، تتمثل في تحقيق المزيد من التهويل ليوم الجمع، لأن تخصيصه بالذكر بعد عموم الإنذار يقتضي تهويله[5] ويفيد انتقال المخاطبين من هول إلى هول، ولإدخال الرعب في قلوبهم، وهذا ما أكدته نهاية الآية: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾، باستحضار نتيجة الحساب العدل بأبهى صور المقابلة، ولتختار النفس البشرية فريقها الذي تريد، وتعمل جاهدة لتنال ذلك الانتماء[6]

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة الشورى: ﴿**يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾[7]

نص ما قاله المؤلف

أن الآية من الاحتباك والأصل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فلا يشفقون منها والذين آمنوا مشفقون منها فلا يستعجلون بها[8]

([1]) أساليب المجاز في القرآن الكريم، احمد حمد محسن الجبوري(ص365)

([2]) خصائص التراكيب (ص117) وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة (ص 105)

([3]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (144/13)، وينظر سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية (ص55)

([4]) من أسرار الأسماء في القرآن الكريم، بسام جرار(ص75)

([5]) التحرير والتنوير لإبن عاشور (37/25)

([6]) سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية (ص56)

([7]) سورة الشورى، رقم الآية 18

([8]) روح المعاني للإمام الآلوسي(27/13)

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً وصورته كذا، ذكر الاستعجال أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً، والاشفاق ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً[1]، فالمحذوف من الطرف الأول(غير مشفقين منها)؛ لدلالة ذكر﴿مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(لا يستعجلون بها)؛ لدلالة ذكر﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ في الطرف الأول. ويكون تقدير الآية الكريمة:

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها وهم غير مشفقين منها،

والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق وهم لا يستعجلون بها[2]

وسره: أنه ذكر أقبح ما يكون من الكافرين، وأحسن ما يكون من المؤمنين تجاه الساعة، ترهيباً وترغيباً، فصورة الحذف أسهمت في إبراز حال أهل الكفر وأهل الإيمان في الإيمان بالساعة وتحقق وقوعها، ويبرز حسن المراد بعد النظر في السياق العام لما تحقق فيه من الدعوة إلى الاجتماع على الدين الحق الذي أساساه الإيمان الخالص[3]والخاص لما فيه من بيان حال الناس في أمر الساعة، فتضمن الحذف دعوة جليلة ترشد إلى حسن الاستعداد ليوم القيامة والإخلاص في فعل الأعمال الصالحات؛ لأنه لا بد من كونها في الدنيا؛ لأنها دار تكليف كما أن في استعجال الكافرين بها، وعدم الخوف منها دليل جهلهم الذي أوقعهم في التردي في دركات الكفر والظلال، وفي عدم استعجال المؤمنين بها وخوفهم منها دليل علمهم الذي رفعهم للترقي في درجات الإيمان والهدى[4] ثم إن في إبراز حال الناس في أمرها دليلاً يقرر أن الكفر يطبع على القلوب ويترع منها بذور الخشية والخوف، والإيمان يزرع في القلوب الخوف والخشية،"والذين لا يؤمنون بها لا تحس قلوبهم هولها، ولا تقدر ما ينتظرهم فيها، فلا عجب يستعجلون بها مستهترين؛ لأنهم محجوبون لا يدركون، وأما الذين آمنوا فهم مستيقنون منها، ومن ثم هم يشفقون ويخافون، وينتظرونها بوجل وخشية"[5]

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(383/17)

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (26/25)

([3]) أنظر:نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(230/17)

([4]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(283/17)

([5]) في ظلال القرآن لسيد قطب (351/20)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة مُحَمَّد

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة مُحَمَّد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

في الكلام احتباك وذلك أنه ذكر الأعمال الصالحة ودخول الجنة أولا دليلا على حذف الأعمال الفاسدة ودخول النار ثانيا وذكر التمتع والمثوى ثانيا دليلا على حذف التقلل والمأوى أولا والأول أحسن وأدق، وأسند إدخال الجنة إلى الله تعالى ولم يسلك نحو هذا المسلك في قوله تعالى: وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ وخولف بين الجملتين فعلية واسمية للإيذان بسبق الرحمة والإعلام بمصير المؤمنين والوعد بأن عاقبتهم أن الله سبحانه يدخلهم جنات وأن الكافرين مثواهم النار وهم الآن حاضرون فيها ولا يدرون وكالبهائم يأكلون[2]

التحليل والدراسة

نجد أن الإمام الآلوسي وضح الاحتباك هنا بطريقة أسهم الاحتباك بها في إبراز حسن الأعمال الصالحة ترغيباً، وقبح السيئة ترهيباً، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾[3] قيل إن فيه موضعين للاحتباك، الأول: ف "ذكر الأعمال الصالحة أولاً دليلاً على حذف الفاسدة ثانياً، والتمتع ثانياً دليلاً على حذف التعلل أولاً"[4] فالمحذوف من الطرف الأول تقوياً لدلالة ذكر﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (الأعمال الفاسدة)، لدلالة ذكر ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

([1]) سورة مُحَمَّد، رقم الآية 12

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(202/13)

([3]) سورة مُحَمَّد، رقم الآية 12

([4]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(215/18) وما بعدها

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات–فتمتعوا بما رزقهم الله تقوباً–جنات تجري من تحتها الأنهار، والذين كفروا فعملوا لأجل كفرهم الأعمال الفاسدة يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام.

وسره أنه ذكر أفضل ما يميز أهل الإيمان ترغيباً في ملازمة فعل الصالحات، وأقبح ما يميز أهل الكفر في تجردهم من التفكر والنظر ترهيباً من دوام الغفلة والبعد عن مراتب الإيمان.

والمتضح: أن الإقتصار على الموضع الثاني أولى؛ لكونه أكثر دقة في العبارة، ويذهب أهل العلم من المفسرين إلى أن قوله: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ﴾ في مقابلة ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ لما فيه من الإيماء إلى أنهم عرفوا أن نعيم الدنيا خيال باطل وظل زائل، فتركوا الشهوات وتفرغوا للصالحات، فكانت عاقبتهم النعيم المقيم في مقام كريم، وهؤلاء غفلوا عن ذلك فرتعوا في دمنهم كالبهائم، حتى ساقهم الخذلان إلى مقرهم من درك النيران[1]

والثاني: ف"ذكر دخول الجنات أولاً دليلاً على دخول النار ثانياً، والمثوى ثانياً دليلاً على المأوى أولاً"[2] فالمحذوف من الطرف الأول (هي مأواهم)؛ لدلالة ذكر ﴿مَثْوىً لَهُمْ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (يدخلهم النار)؛ لدلالة ذكر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار مأوى لهم، والذين كفروا يدخلهم النار هي مثوى لهم.

وسره أنه ذكر أفضل ما يؤول إليه المؤمنين ترغيباً في الإيمان؛ لكونه أسر وأنكأ ما يؤول إليه الكافرون ترهيباً من الكفر؛ لكونه أضر.

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز حسن جزاء أهل الإيمان، وقبح مآل أهل الكفر ترغيباً وترهيباً؛ لذا فالاحتباك يسعى في المقام الأول إلى تحقق الدلالة على وجوب العمل والحرص على الطاعة، فجاء في سياق يدعو إلى إلزام أهل الإيمان حفظ دينهم بجهاد أهل الكفر والتخلى عن جميع مظاهر الكفر،

([1]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(46/26)، وحاشية الشهاب على البيضاوي(43/8) وما بعدها

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(215/18)

التي من أولها عبادة غير الله[1] وهذا ما حققه السياق العام، أما الخاص فتحقق فيه إثبات صدق الوعد، فإنه ﷻ ينصر من ينصره ويدخله نار من نعمته، ويخذل من يعانده ويدخله دار شقوته[2] فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متمثلة في المعاني الجوهرية في الركنين المذكورين، الأول: في الإشارة بذكر نعيم أهل الإيمان:﴿يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾، والثاني: في ذكر عذاب أهل الكفر﴿وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾ فهما كفيلان بإبراز ما لأهل الجنة من النعيم، وما لأهل النار من الجحيم، أما القول بالاحتباك فحقق للنظم جملة ثرية من لطائف المعاني من أبرزها: أن في إعلام البشر بحقيقة إيمان المؤمن المخلص في إيمانه بالتزود من الأعمال الصالحة، نعمة علية تحيل النفوس على مراعاة التزود بالصالحات والعمل من أجل الآخرة، فإن: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع[3] ففي التزود بالطاعات إعمال للفكر والنظر، فهم ليسوا غافلين عن آخرتهم[4] فتحقق أن الدنيا للمؤمن سجن، والكافر ليس له إلا الدنيا ينتفع بمتاعها غافلاً عن عاقبته[5] وللاحتباك أثر في إحداث علاقات ربط جدبدة بين المعاني أبرزت سعة الكرم الإلهي لأهل الإيمان على إيمانهم بالله وبرسوله[6] فهو كرم علوي رفيع ينالونه جزاءً على الإيمان والصلاح[7]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الحجرات

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[8]

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(194/18)

([2]) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(216/18)

([3]) الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي(235/16)

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(46/26)، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي(43/8-45)

([5]) أنظر: التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي(45/28)

([6]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (47/26)

([7]) في ظلال القرآن لسيد قطب (3290/26)

([8]) سورة الحجرات، رقم الآية 14

نص ما قاله المؤلف

قوله سبحانه: وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا كأنه قيل: قل لم تؤمنوا فلا تكذبوا ولكن قولوا أسلمنا لتفوزوا بالصدق إن فاتكم الإيمان والتصديق ولو قيل: ولكن أسلمتم لم يؤد هذا المعنى، وفيه تلويح بأن إسلامهم وهو خلو عن التصديق غير معتد به ولو قيل ولكن أسلمتم لكان ذلك موهما أن ذلك معتد به والمطلوب كماله بالإيمان ولا يحتاج هذا إلى أن يقال: القول في المنزل مستعمل في معنى الزعم، وقيل: في الآية احتباك.

والأصل لم تؤمنوا فلا تقولوا آمنا ولكن أسلمتم فقولوا أسلمنا فحذف من كل من الجملتين ما أثبت في الأخرى والأول أبلغ وألطف وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ حال من ضمير قُولُوا كأنه قيل: قولوا أسلمنا ما دمتم على هذه الصفة[1]

التحليل والدراسة

في قول الحق-ﷻ-الاحتباكان، **الأول:** "نفي الإيمان الشرعي أولاً يدل على إثبات الإسلام اللغوي **ثانياً:** والأمر بالقول بالإسلام ثانياً يدل على النهي عن القول بالإيمان أولاً"[2]وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(لا تقولوا آمنا)؛لدلالة ذكر﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف(ولكن أسلمتم)؛ لدلالة ذكر﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ في الطرف الأول. ويكون التقدير الآية الكريمة:

قل لم تؤمنوا، فلا تقولوا آمنا، ولكن أسلمتم، فقولوا أسلمنا[3]

وسره أنه ذكر ما دل على الباطل أولاً، ثم ما دل على الظاهر ثانياً لكونهما أحق برعاية السياق والمقام. فالمقام يستدعي كشف حقيقة أولئك الأعراب الذين أظهروا إيمانهم وهم ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم صدقوا بألسنتهم ولم يصدقوا بفعلهم، لذا أمروا بأن يقولوا: ﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾فالإسلام قول، والإيمان قول وفعل[4]ثم إن إطلاق مسمى الأعراب عليهم أولى بمقام التذكير والحث على أنهم قبلوا ما جاء به الرسول خوفاً على أنفسهم-وهذه صفة المنافقين-، فلم يسموا مهاجرين كما يريدون، والسياق يرشد إلى تذكيرهم حقيقة ما هم

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(318/13)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(386/18)

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(168/28)

([4]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (141/26)

عليه من انتحال الإيمان بمجرد الكلام دون العمل[1] وبهذا الأمر يتضح لهم أن الإيمان أخص من الإسلام في علو الرتبة.

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في تأصيل مبدأ الدخول الحقيقي في الدين، وهذا تمثل في دلالة النهي والأمر في خطاب الشرع، فدلالة النهي والأمر تبرز بصورة أكثر دقة بعد مراعاة المقصد الأعظم للسورة، فهي في المقام الأول تقدم أصولاً وتوجيهات تربوية داعية لامتثال القيم والآداب؛ لكونها الأس الجامع في تعلم تلك الآداب، ومن ثم التمرن عليها[2] ثم على دقة النظر في السياق القريب الذي اقتضى إبراز الأمر والنهي، أولاً في: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾، ثم في الاستدراك ب: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾

فالقاعدة الأم لفهم دلالة النهي والأمر–لهؤلاء الأعراب–تحققت في المعاني الجوهرية، وتمثلت في الركنين المذكورين، الأول: نهيهم عن القول بأنهم مؤمنون، والثاني: في أمرهم بالقول بأنهم مسلمون، فهما كفيلان بإيضاح علة النهي عن إدعاء الإيمان، والأمر بما أظهروه من الإسلام؛ لأن شطر الدخول في الدين الإيمان الذي محله القلب، أما إظهار الشهادتين فدليله الإسلام، ومحله اللسان، "فدل على أن الإيمان ليس الإسلام، فإن الإيمان باطن، والإسلام ظاهر"[3] ولكن الحذف جارٍ على مقتضى الظاهر لتحصل المقابلة بين أطراف القول[4] فالركن الأول (لا تقولوا آمنا)، والركن الثاني(ولكن أسلمتم).

ويذهب بعض أهل العلم إلى أن ترك هذا الوجه من الحذف أبلغ[5] لما تحقق في أصل النظم من مزايا، " فإنهم ادعوا الإيمان فنفي عنهم، ثم استدرك عليه فقال: ادعوا ادعاء الإيمان وادعوا الإسلام؛ فإنه ينبغي أن يصدر عنكم ما فيه، فنفيُ الإيمان أثبت لهم قول الإسلام دون الاتصاف به، وهو أبلغ مما ذكر من الاحتباك، مع سلامته من الحذف بلا قرينة"[6]

([1]) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (348/16)

([2]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لإبن جرير الطبري (141/26)، والجامع لاحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي (348/16)، والبحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (116/8)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(386/18)

([3]) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (143/2)

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(167/26)

([5]) أنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي (5/ 220)، وحاشية الشهاب على البيضاوي(82/8)

([6]) أنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي (220/5)

وكذا فإنه عدل عن الظاهر اكتفاء بحصولها من حيث المعنى، مع إدماج فوائد زوائد، بيان ذلك أن الغرض المسوق له الكلام توبيخ هؤلاء في منهم بإيمانهم بأنهم خلوا عنه أولاً، وبأنهم الممتنون إن صدقوا ثانياً، فالأصل في الإرشاد إلى جوابهم: قل كذبتم، ولكن أخرج إلى ما هو عليه المترل؛ ليفد عدم المكافحة بنسبة الكذب، وفيه حمل له-ﷺ-على الأدب في شأن الكل، ليصير ملكة لأتباعه، وأن لا يلبسوا جلد النمر لمن يخاطبهم به، وتلخيص ما كذبوا فيه، ومن الدليل على أنه الأصل قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1] تعريضاً بأن الكذب منحصر فيهم، وأوثر على: لا تقولوا آمنا؛ لاستهجان ذلك، لا سيما من النبي-ﷺ-المبعوث للدعوة إلى الإيمان،على أن إفادة﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ لمعنى (كذبتم)أظهر من إفادة: لا تقولوا آمنا كما لا يخفى، ثم قوبل بقوله:﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾كأنه قيل: قل لم تؤمنوا، فلا تكذبوا، ولكن قولوا أسلمنا؛ لتفوزوا بالصدق إن فاتكم الإيمان والتصديق، ولو قيل: أسلمتم، لم يؤد هذا المعنى، وفيه تلويح بأن إسلامهم-وهو خلو عن التصديق- غير معتد به، ولو قيل: ولكن أسلمتم، لكان ذلك موهماً أن ذلك معتد به، والمطلوب كماله بالإيمان، ولا يحتاج هذا إلى أن يقال: القول في المترل مستعمل في معنى الزعم"[2]؛ لذا يستحسن حمل النظم على أصله دون تقدير.

والثاني: "ذكر عدم الإيمان أولاً دليلاً على إثباته ثانياً، وذكر توفير الأعمال ثانياً دليلاً على بخسها أو إحباطها أولا"وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول (أحبطتم أعمالكم)؛ لدلالة ذكر﴿لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (فإن تؤمنوا)؛ لدلالة ذكر ﴿وَلَمَّا ﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وأحبطتم أعمالكم، فإن تؤمنوا وتطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا

وسره أنه نفى أساس الخير أولاً، ورغب في الطاعة بحفظ ما تعبوا عليه من الأعمال ثانياً [3] فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترهيب من الكفر الذي يتبعه بخس الأجر وإحباط العمل،

([1]) سورة الحجرات، رقم الآية 15

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(167/26)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(388/18)

والترغيب في الإيمان الذي ثمرته زيادة الأجر وعلو القدر[1] ويظهر حسن المعنى بعد مراعاة النظر فيما يحتويه السياق العام من تحقق الإرشاد إلى مكارم الأخلاق، وذلك بحسن التأدب مع الرسولﷺ؛ لكونه دليل حسن الإيمان[2] أما الخاص فهو أشد اعتلاقاً؛ لما تحقق فيه من ترسيخ مبدأ على من مبادئ لزوم الإيمان وهو الإخبار بأن الإيمان ما تمكن في القلب، ولا يكون إلا بطاعة الرسول ﷺ[3] فالقيمة الحقيقية لأصل المراد متحققة في الركنين المذكورين، الأول: في الإخبار بأن الإقرار باللسان لا يعد إيماناً، لذا ﴿فلم يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، والثاني: في إبراز ثمرة طاعة الرسولﷺ﴿لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾، فمن خلال التقابل يبرز عدد من دقائق المعاني المتمثلة في الجملة المعاني الإحسانية، والتي من أجلها: ترشيخ مبدأ الإيمان الحقيقي؛ ليعلم البشر شرائع الإيمان وحقائق معانيه، فإن أصله القلب والجوارح، فلا يعد إقرار اللسان إيماناً إلا بمواطأة القلب[4]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الواقعة

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿**وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ*فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ*وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ*فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ* وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ**﴾[5]

نص ما قاله المؤلف

وأما إن كان من المكذبين بعد قوله سبحانه وأما إن كان من أصحاب اليمين وللرمز إلى علة حال الفريق الأول وفي ذلك ما هو من قبيل الاحتباك حيث ذكر في أحد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل وجعله ابن المنير مقابلا للقسم الأول على معنى فمن أوتي كتابه بيمينه فهو الذي يتبصره ويقرؤه ومن كان في الدنيا أعمى غير متبصر في نفسه ولا

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(386/18)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(349/18)

([3]) أنظر: المرجع السابق(387/18)

([4]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (146/26)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(387/18)

([5]) سورة الواقعة، رقم الآية 90-93

ناظر في معاده فهو في الآخرة كذلك غير متبصر وفي كتابه بل أعمى عنه أو أشد عمى مما كان في الدنيا على اختلاف التأويلين وهو خلاف الظاهر[1]

التحليل والدراسة

قد سمى الله سبحانه وتعالى أهل الجنة بأصحاب اليمين وهم الذين يؤتون الكتب يوم القيامة في اليمين وسمى أهل النار بأصحاب الشمال وهم الذين يؤتون الكتاب في الشمال، وقد وردت في سورة الواقعة آيات عن الفريقين في صورة الاحتباك فقال تعالى:﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ*فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ*وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ*فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ* وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[2]

وهذه الآيات وردت في سياق جزاء من كان من أصحاب اليمين، ومن كان من أصحاب الشمال، ولكن هنا أشار إلى السبب الذي جعلهم من أصحاب اليمين أو أصحاب الشمال هو الإيمان والتصديق والضلال والتكذيب.

والمقابلة بين الفريقين لم تكن بين ألفاظ فحسب، إنما رمز إلى علة حال الفريق الأول، وفي الثاني ذكر العلة ولم يذكر أنهم أصحاب الشمال، فافهم من مقابل أصحاب اليمين أن الفريق الثاني هم أصحاب الشمال، ومن المكذبين الضالين في الثاني أن أصحاب اليمين هم المؤمنون الصادقون، وبهذا تصبح الآية من الاحتباك ((حيث ذكرفي أحد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب، ودل بالمذكور في كلٍ منهما))[3] ومما تقدم يمكن القول بان تقدير الآية هو:

فأما إن كان من المؤمنين الصادقين من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين

وأما إن كان من المكذبين الضالين من أصحاب الشمال فنزل من حميم وتصلية جحيم

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(123/15)

([2]) سورة الواقعة، رقم الآية 90-93

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(123/15)

وجاء النظم الكريم في الآية على هذه الصورة، فذكر أصحاب اليمين بشارة لهم ومدحا ولم يذكر أصحاب الشمال صراحة وإنما ذكر أعمالهم التي جعلتهم من أصحاب الشمال، تيكيتاً لهم وتحقيراً، وإشعاراً بما أوجب عليهم العذاب، وزجراً عن هذه الأعمال[1] ولأن العذاب قد حان وقته ولا يفيد الحذر منه فبين سبب عذابهم وذكروا بالذي أوقعهم في سببه ليحصل لهم ألم الندم والحسرة، وقدم التكذيب على الضلال خلاف الآية التي في وسط السورة﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾(الواقعة: 51)لمراعاة سبب ما نالهم من العذاب وهو التكذيب وللتنبيه عليه وبيان خطره[2] لأنهم بتكذيبهم قد ضلوا، على خلاف ما حققه الإلتفات من ضمير الغائب في﴿إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾إلى ضمير المخاطب في﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾تعظيماً لصاحب اليمين وتشريفاً له[3]

ومن المقابلة المنسقة في هذا المشهد هو أن يكون لمن يؤتى كتابه بيمينه أهل يعود إليهم في الآخرة مسروراً على خلاف الذي يؤتى كتابه بشماله الذي كان في أهله مسروراً في الدنيا، وكان يظن أنه لن يرجع إلى الله[4]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الحديد

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]

([1]) بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ)، أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (المتوفى: 1241هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ (4/ 168)، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب مُحَمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ) (389/13)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: (1412 هـ - 1992 م)

([2]) التحرير والتنوير لإبن عاشور(27 /349)

([3]) حاشية الصاوي، أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (167/4)

([4]) من مشاهد القيامة وأهوالها، جمع وتحقيق: عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله، الفقيرإلى الله تعالى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين (195-196)

([5]) سورة الحديد، رقم الآية2-1

نص ما قاله المؤلف

وكما أن تدبر فاتحة السورة بإيثار المضي ب(سبح) أثر فاعل في علو دلالة شبه الاحتباك من حيث إثبات مجامع الملك والكمال لله، وإعلاماً بأن هذه المكونات من لدن إخراجها من العدم، إلى الوجود إلى الأبد، مسبحة مقدسة لذاته سبحانه وتعالى قولا وفعلاً وطوعاً وكرهاً[1]

التحليل والدراسة

في هذه الآية شبه الاحتباك، لأن ذكر ما في السماوات والأرض أولاً دليلاً على حذف ما فيهما ثانياً، وذكر الخافقين ثانياً دليلاً على حذف مثل ذلك أولاً، ليكون التسبيح والملك شاملاً للكل[2] وعلى ذلك فالمحذوف من الطرف الأول(كل أرض ومن فيها وكل سماء ومن فيها)؛ لدلالة ذكر ﴿السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني (ما في السماوات والأرض وما فيهما)؛ لدلالة ذكر﴿ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾، ويكون تقدير الآية الكريمة:

سبح لله ما في السماوات والأرض، وله ملك السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم، وله ملك السماوات والأرض وما فيهما يحي ويميت وهو على كل شيء قدير[3]

ولعل الأكثر إحكاماً لتمثيل صورة شبه الاحتباك جعل التقدير على نحو: سبح لله ما في السماوات والأرض، والذي فيهما، وكل سماء وأرض ومن فيهما، وما بينهما، له ملك السماوات والأرض، والملك ما فيهما، وما بينهما ظاهراً وباطناً.

وسره: ليكون التسبيح والملك شاملاً للكل[1] فتحقق أن حمل النظم على شبه الاحتباك أجدي في الدلالة على ذلك؛ لأن فيه إشارة عظمى تدل على أن كل ما دونه من خلقه يسبحه تعظيماً له، وإقراراً بربوبيته، وإذعاناً لطاعته[2]

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(165/27)

([2]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (254/19)

([3]) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره، (ص55)

فالغرض الأسمى من القول بالحذف تمثل في إبراز جانب جليل من جانب العقيدة، وهو: إثبات مطلق التسبيح والملك لله، وهذا الجانب ذو إرتباطٍ بالغٍ بسياق الصورة، فمقصودها بيان أن عموم الرسالة لعموم الإلهية بالبعث، تحقيقاً لأنه سبحانه مختص بجميع صفات الكمال، تحقيقاً لتترهه عن كل شائبة نقص[3] فثبت أن إلهيته أحاطت بجميع المخلوقات، فوسعهم جوده في جميع الحركات والسكنات؛ لذا جاء الحذف ليؤكد بالدليل الواضح، والبرهان القاطع مطلق التسبيح والتقديس والتتريه لله[4] وكما أن تدبر فاتحة السورة بإيثار المضي ب(سبح) أثر فاعل في علو دلالة شبه الاحتباك من حيث إثبات مجامع الملك والكمال لله، وإعلاماً بأن هذه المكونات من لدن إخراجها من العدم، إلى الوجود إلى الأبد، مسبحة مقدسة لذاته سبحانه وتعالى قولا وفعلاً وطوعاً وكرهاً[5] وهذه الغاية العظمى التي يسعى الحذف لإبرازها من خلال أوجه التماثل بين طرفي النظم، إذ أصبح في مقابل كل ركن مذكور آخر محذوف يبرز معنى التسبيح والملك، ويعمق معنى الحرص على ملازمته، فقيل في ذلك جاء في بعض الفواتح (سبح) على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع، وذلك إشارة إلى أن كون هذه الأشياء مسبحة غير مختص بوقت دون وقت، بل هي كانت مسبحة أبداً في الماضي، وتكون مسبحة أبداً في المستقبل، وذلك لأن كونها مسبحة صفة لازمة لماهياتها، فيستحيل انفكاك تلك الماهيات عن ذلك التسبيح، وإنما قلنا: (أي: الرازي) إن هذه المسبحية صفة لازمة لماهياتها، لأن كل ما عدا الواجب ممكن، وكل ممكن فهو مفتقر إلى الواجب، وكون الواجب واجباً يقتضي تتريهه عن كل سواء في الذات، والصفات والأفعال والأحكام والأسماء[6] وللحذف أثر بارز في إحداث علائق ربطٍ أضافت معاني حساناً من أبرزها: تعريف البشر بملك الله الظاهر والباطن، إذ الظاهر متثمل فيما في الكون من أرض مدحية، وسماء مبنية، وكواكب، وأفلاك، ورياح وسحاب وغيرها، والملك الباطن الغائب عنا وهو الملكوت[7] المِلكُ مبالغةٌ من المِلكِ، وهو القدرة على الإبداع، ولا مالك إلا الله[8] وكذا تعريف المنكرين بما

([1]) نظم الدرري تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (254/19)

([2]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (215/27)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (250/19)

([4]) أنظر: المرجع السابق(251/19) بتصرف

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي(165/27)

([6]) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي(22/4)

([7]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(254/19)

([8]) لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيرى (99/6)

جهلوه من صفات الله العليا وأسمائه الحسنى[1] وإلزامهم العمل بما تقتضيه دلالة الخطاب في الآية من التسبيح قولاً وعملاً واعتقاداً، ليكون خالصاً لله وحده، فهو حق على أهل العرض كما هو حق على أهل الملأ الأعلى[2]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الصف

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الصف: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[3]

نص ما قاله المؤلف

وقد جعلت الآية من الاحتباك، والأصل كونوا أنصار الله حين قال لكم النبي صلّى الله عليه وسلم: مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ كما كان الحواريون أنصار الله حين قال لهم عيسى عليه السلام مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ فحذف من كل منهما ما دل عليه المذكور في الآخر، وهو لا يخلو عن حسن[4]

التحليل والدراسة

صورة الاحتباك في هذه الآية أنها تبين دور النصرة في جهاد أهل البغي والكفر ونشر عقيدة التوحيد، وان نصرة هذا الدين في زمن المحن من أهم فروض الأعيان،وتعرض جانباً من أخبار تاريخ الرسل، وهو مؤازرة الحواريين لنبي الله عيسى– عليه السلام –وكيف نصر الله هذه الطائفة المؤمنة المجاهدة على عدوها بقوله :﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾وهي بشرى للمدافعين عن حياض هذا الدين من

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(253/19)

([2]) أنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (203/8)

([3]) سورة الصف، رقم الآية 14

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(285/14)

المجاهدين الذين سكبوا دماءهم على طريق المبادئ والدعوات، بأن هذا الطريق له عاقبة الخير في الدنيا والآخرة و أنهم منصورون بأمر الله -ﷻ- وبإذنه.

والملاحظ على هذه الآية من ظاهرها أنها تشبه الكون بالقول، وهذا لا يعقل إذ لا وجه لتشبيه الكون بالقول، إلا إذا أولت على معناها، وذهب الزمخشري إذ قال (التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح، والمراد: كونوا أنصار الله كما الحواريون أنصار الله حين قال لهم: (من أنصاري إلى الله)[1] وذكر مكي بأن الكاف في (كما) نعت لمصدر محذوف أي: كونوا كونا كما قال الحواريون[2] ورد القنوجي هذا القول إذ قال (وفيه نظر إذ لا يؤمرون بأن يكونوا كوناً)[3] وكذلك يرد هذا الرأي من حيث أن النحاة منعوا أن يشتق من الأفعال الناقصة مفعولا مطلقاً، فلا يقال: كان كوناً [4]والوجه الذي يعول هو أن الكاف في محل نصب على إضمار القول أي: قلنا لهم ذلك كما قال عيسى عليه السلام للحواريين[5] أي قلنا لهم ذلك قولا كقول عيسى للحواريين، وجعلت الآية من الاحتباك والأصل:

يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله حين قال لكم النبي: من أنصاري إلى الله

كما كان الحواريون أنصار الله حين قال لهم عيسى بن مريم: من أنصاري إلى الله

فحذف من كل منهما ما دل عليه المذكور في الآخر[6]إذ حذف من الأول (حين قال لكم النبي من أنصاري إلى الله ؟) لدلالة الثاني عليه، وهو قول عيسى– عليه السلام – ومن الثاني: (كما كان الحواريون أنصار الله) لدلالة الأول عليه وهو قوله تعالى: (كونوا أنصار الله)

([1]) تفسير الكشاف للزمخشري (532)

([2]) مشكل إعراب القرآن، مكي القيسي (108/1)

([3]) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (125/14)

([4]) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محي الدين عبد الحميد (558/1)

([5]) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي (261/8)

([6]) روح المعاني للإمام الآلوسي (90/28)، ومحاسن التأويل للعلامة جمال الدين القاسمي (1914 م) (16/ 5795)

وسبب هذا التشبيه هو لقصد التنظير والتأسي، فقد صدق الحواريون وعدهم الله ولرسوله ، وثبتوا على الدين ولم تزعزعهم الفتن والتعذيب[1] والحواريون: مشتق من الحور وهو البياض[2]واختلف في سبب تسميتهم بالحواريين، فقيل لنقاء باطنهم وظاهرهم[3]وقيل سموا بذلك لانهم أصفياؤه وخلصاؤه[4]وقيل لأنهم كانوا يحترفون مهنة القصر، وهي تبييض الثياب[5]وقيل الحواريون: المجاهدون([6]) وفي إضافة الأنصار إلى لفظ الجلالة في قوله: ﴿كونوا أنصار الله﴾ تعظيم وتشريف لهذه الطائفة المجاهدة.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة نوح

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة نوح: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[7]

نص ما قاله المؤلف

وجوز أن يكون الأصل أنبتكم من الأرض إنباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء بما ذكر في الأخرى على أنه من الاحتباك.[8]

التحليل والدراسة

نظم الآية هنا يدل على الاحتباك حيث أن قوله تعالى (أنبتكم) مصدره (إنباتاً)، وقوله (نباته) فعله (نبتم) فجي في الآية بواحدة من هاتين وواحدة من هاتين على سبيل الاحتباك، فحذف من الأول المصدر ومن

([1]) التحرير والتنوير لإبن عاشور (199/28)

([2]) لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (751/1)

([3]) روح المعاني، للإمام الآلوسي(91/28)

([4]) الكشاف للزمخشري(5 /110)، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي (319/29)

([5]) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي(319/29)، وروح المعاني للإمام الآلوسي (90/28)

([6]) روح المعاني للإمام الآلوسي (91/28)

([7]) سورة نوح، رقم الآية 17

([8]) روح المعاني للإمام الآلوسي(84/15)

الثانية الفعل، اكتفاء بما ذكر في الأخرى[1]وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

والله أنبتكم من الأرض إنباتا فنبتم نباتاً

وللرازي في هذه الآية كلام لطيف يوضح جمال تركيبها، بقوله (كان ينبغي أن يقال: أنبتكم إلا أنه لم يقل ذلك، بل قال: (نباتا)، والتقدير: أنبتكم فنبتم نباتاً وفيه دقيقة لطيفة وسر جليل، وهي أنه لو قال: أنبتكم إنباتاً ، كان المعنى أنبتكم فنبتم إنباتاً عجيباً غريبا، ولما قال أنبتكم نباتاً عجيباً ، وهذا الثاني أولى لأن الإنبات صفة لله تعالى غير محسوسة لنا، فلا نعرف أن النبات عجيب كامل إلا بواسطة أخبار الله تعالى لنا، المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله، فلا يمكن إثباته بالسمع، أما لما قال: أنبتكم نباتاً على معنى: أنبتكم فنبتم نباتا عجيباً كاملاً، كان ذلك وصفنا للنبات بكونه عجيباً كاملاً، وكون النبات أمراً مشاهداً محسوساً يمكن للإنسان مشاهدته بالعيان مما جعله ممكناً للإستدلال به على كمال قدرة الله تعالى، فكان هذا موافقاً لهذا المقام، فظهر أن العدول عن تلك الحقيقة إلى هذا المجاز، كان لهذا السر اللطيف)[2]

وفي التعبير بـ (نباتاً) دلالة الانسياب، والطواعية المطلقة لله تعالى، فالجرس في لفظ (نباتاً) يوحي بالهدوء التام والانقياد في تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى.

هنا مقام خلق وتكوين نفس بشرية مهمتها عبادة الله وأعمار الأرض فكأنه قال : أنبتي ، فنبت كما أراد الله تعالى بسكينه ووقار، أما قوله بعده هذه الآية مباشرة ﴿ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا) (نوح ١٨:) فإنه أتى بالمصدر(إخراجا) وفيه ما فيه من دلالة الشدة والعنف على خلاف ما لو قال (إخراجاً) وذلك لأن الموقف هنا ليس كالموقف الأول (موقف النبات) بل موقف غضب من الله وموقف حساب يقتضي فيه الشدة والعنف[3] وذكر ابن عاشور أن لفظ (نباتا) أفصح وأخف على اللسان من لفظ (إنباتاً) فلما تسنى الإتيان به عدل عن (إنباتاً)[4]

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (444/20)، روح المعاني للإمام الآلوسي (57/29).

([2]) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي (140/30)

([3]) النباتة في المفعول المطلق في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية، سالم أحمد ناصر، كلية الآداب، جامعة الموصل، رسالة ماجستير(2004) (ص73)

([4]) التحرير والتنوير لإبن عاشور (204/29)

وفي تشبيه الإنسان بالنبات أقوال ذكرها الرازي منها، أن آدم – عليه السلام – أصله من تراب فهو كالنبات يخرج من الأرض، أو لأن الإنسان مركب من عناصر الأرض [1]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الجن

الموضع الأول:

قال الله تعالى في سورة الجن: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَداً﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَداً أي ولا نفعا تعبيرا باسم السبب عن المسبب، والمعنى لا أستطيع أن أضركم ولا أنفعكم إنما الضار والنافع هو الله عزّ وجلّ أو لا أملك لكم غيّا ولا رشدا على أن الضر مراد به الغي تعبير باسم السبب عن السبب ويدل عليه قراءة أبي «غيّا» بدل ضَرًّا والمعنى لا أستطيع أن أقسركم على الغي والرشد إنما القادر على ذلك هو الله سبحانه وتعالى وجوز أن يكون في الآية الاحتباك والأصل لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر [3]

التحليل والدراسة

كان الإمام الآلوسي صرح بالاحتباك هنا مع ذكر تقدير الآية بنوع من التفصيل، لأن ذكر الضر أولاً دليل على حذف النفع ثانياً، وذكر الرشد ثانياً دليل على حذف الظلال أولاً [4] لأن الضر يقابله النفع، والرشد يقابله الضلال[5] وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (نفعاً)؛ لدلالة ذكر﴿ضَرًّا﴾ في الطرف الأول، ومن الطرف الثاني (ضلالاً أو غياً)؛ لدلالة ذكر ﴿رَشَداً﴾ في الطرف الأول،فيكون التقدير الآية الكريمة:

([1]) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي(140/30)، والتحرير والتنوير لإبن عاشور (204/29)

([2]) سورة الجن، رقم الآية 21

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(104/15)

([4]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(494/20)

([5]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور(243/29)

لا أملك ضراً ؛ لأني لا أملك لكم إضلالاً ولا أملك لكم رشداً، فلا أملك لكم نفعاً، فإنه لا نفع في غير الرشاد، ولا ضر في غير الضلال[1]

قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَداً أي ولا نفعا تعبيرا باسم السبب عن المسبب، والمعنى لا أستطيع أن أضركم ولا أنفعكم إنما الضار والنافع هو الله عزّ وجلّ أو لا أملك لكم غيّا ولا رشدا على أن الضر مراد به الغي تعبير باسم السبب عن السبب ويدل عليه قراءة أبي «غيّا» بدل ضَرًّا والمعنى لا أستطيع أن أقسركم على الغي والرشد إنما القادر على ذلك هو الله سبحانه وتعالى وجوز أن يكون في الآية الاحتباك والأصل لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر[2] وهذا أولى من سابقه؛ لما فيه من حسن الإيجاز الملائم لما عليه النظم في بناء تركيبه. وسره: أنه نفى عن نفسه مطلق الصفات؛ لبيان عجزه، إعلاماً بأن ذلك لا يكون إلا لمن بيده ملكوت كل شيء؛ لأنه قادر على كل شيء.

فالحذف أسهم في إيضاح حقيقة الرسالة والرسل، وأثبت عجز البشر جميعاً عن دفع الضر وجلب النفع، وأثبت ذلك لله بطريق حذف التقابل، فتحقق بالحذف أن لا مؤثر في شيء من الأشياء إلا الله ﷻ، فالأعلى لما يقتضيه السياقان العام والخاص القول بالاحتباك؛ لما تحقق فيهما من إبراز عظمة الله ورحمته بإرسال الرسل عليه الصلاة والسلام؛ ليعم بالبيان ما يلزم الخلق من أمر الدين[3] وليحقق الغاية العظمى المتمثلة في أنهم بشر كلفوا حمل الرسالة، فالسياق العام تضمن إظهار الشرف لنبي الأمة ليلين له قلوب الإنس والجن[4] والخاص تحقق فيه إثبات مهمته ﷺ، ففي تبصر دلالة الأمر ب﴿قل﴾ ما يعلى من هذا؛ لما تحقق بها من إثبات تحقق بشرية مُحَمَّدﷺ، فثبت بالحذف ثبوتاً قاطعاً نفي قدرة الرسل جميعاً على جلب نفع ودفع ضر، وأنه يستحيل عليهم ما يستحيل على جميع الممكنات[5] وفي ذلك إعلام للبشر بحاجتهم إلى ربهم في السراء والضراء؛ لأنه القادر على نفعهم وضرهم، وهذا يقرر أن الألوهية لله وحده، والإخلاص فيها من أسمى درجات الإيمان[6]

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(494/20)

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(104/15)

([3]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(461/20)

([4]) أنظر: المرجع السابق(460/20)

([5]) أنظر: المرجع السابق(493/20)

([6]) في ظلال القرآن لسيد قطب(3736/29)

كما أن في الحذف دافعاً قوياً ينمي في النفس إدراك قيم عظيمة؛ من أجلها: عظمة الله ولطفه معاً، فعظمته تكمن في قدرته الموجبة على البشر توحيده، ولطفه في إرسل الرسل وبيان مهماتهم.

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الإنسان

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الإنسان: ﴿**يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

فأصل المراد متمثل في الركنين المذكورين، الأول: في ذكر حسن ثواب أهل الإيمان ولطف الله بهم﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ والثاني: في ذكر قبح عذاب أهل الكفر وعدل الله فيهم﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فتحقق ما لأهل الهدى والطاعة من النعيم، وما لأهل الكفر والمعصية من العذاب، لهذا فالقول بالاحتباك له أثر في إنماء الإيمان، وإبطال الكفر، فهو يدعوا إلى امتثال الطاعة والإيمان، فالله يدخل من يشاء في رحمته بحكمته، فييسر له إتخاذ السبيل الموصل إليه بأن يوفقه للعدل، ويعد له ثوابا جسيماً، ويدخل الظالمين في نقمته، وقد أعد لهم إعداداً، أمضاه بعظمته لا يزاد فيه ولا ينقص أبداً عذاباً أليماً[2]

التحليل والدراسة

صورة الاحتباك هنا أن الله سبحانه وتعالى ذكر الإدخال والرحمة أولاً دلالة على الضد ثانياً، والعذاب ثانياً دلالة على الثواب أولاً [3] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(يعد له ثواباً جسيماً)؛ لدلالة ذكر ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني (يدخلهم في نقمته)؛ لدلالة ذكر﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾في الطرف الأول. فيكون تقدير الآية:

يدخل من يشاء في رحمته، ويعد له ثواباً جسيماً

([1]) سورة الإنسان، رقم الآية 31

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(213/28)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(163/21)

والظالمين يدخلهم في نقمته وأعد لهم عذاباً أليماً

وسر ذلك أن ما ذكره أولى بترغيب أهل العدل فيه، وإن ساءت حالهم في الدنيا، وبترهيب أهل الظلم منه، وإن حسنت حالهم في الدنيا، فقد رجع هذا الآخر المفصل إلى السعادة والشقاوة على أولها، المؤذن بأن الإنسان معتنى به غاية الاعتناء، وأنه ما خلق إلا للابتلاء، فهو إما كافر مغضوب عليه، وإما شاكر منظور بعين الرضا إليه"[1]

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك أسهمت في إبراز خاصية الترغيب في ذكر ثواب أهل الإيمان نتيجة صلاح أعمالهم، والترهيب في ذكر عذاب أهل الكفر نتيجة سوء أعمالهم، فيتحقق جمال المراد بعد النظر في السياق العام الساعي لإبراز خاصيتي الترغيب بتنعيم المطيع في الجنات، والترهيب من تعذيب العاصي في النيران[2] وهذا متحقق في السياق الخاص المتضمن إثبات نعيم أهل السعادة وعذاب أهل الشقاء[3] فأصل المراد متمثل في الركنين المذكورين، الأول: في ذكر حسن ثواب أهل الإيمان ولطف الله بهم﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾والثاني: في ذكر قبح عذاب أهل الكفر وعدل الله فيهم﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾فتحقق ما لأهل الهدى والطاعة من النعيم، وما لأهل الكفر والمعصية من العذاب، لهذا فالقول بالاحتباك له أثر في إنماء الإيمان، وإبطال الكفر، فهو يدعوا إلى امتثال الطاعة والإيمان، فالله يدخل من يشاء في رحمته بحكمته، فييسر له إتخاذ السبيل الموصل إليه بأن يوفقه للعدل، ويعد له ثوابا جسيماً، ويدخل الظالمين في نقمته، وقد أعد لهم إعداداً، أمضاه بعظمته لا يزاد فيه ولا ينقص أبداً، عذاباً أليماً[4] فثبت أن نيل الرحمة وحسن الثواب عماده التوبة من الظلال حتى الممات، وإحلال العذاب المؤلم الموجع سببه المكوث في الكفر والموت عليه[5] فإعلام البشر بهذا نعمة عظيمة يدر كون بها أن فعل الله في خلقه- من إحاطة الثواب والعذاب بهم- جارٍ بحسب مقتضيات الحكمة الإلهية الشريفة[6]فأسهم الاحتباك من خلال الكشف عن أوجه التقابل بين ذكر النعيم والعذاب في جعل النعيم محل ترغيب للعقول الواعية التي تدرك عظيم فضله ومنتهى كرمه فتلجا إلى العبادة،

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (163/21)

([2]) أنظر:نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(120/21)

([3]) أنظر:نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(162/21)

([4]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(213/28)

([5]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (227/29)

([6]) أنظر:التحرير والتنوير لإبن عاشور (416/29)

والعذاب محل ترهيب للعقول الغافله به يخلص وَجَعُه إلى قلوبهم فيتنبهوا لشدة مآلهم فيرجعوا إلى طلب الهداية[1]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة عبس

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة عبس: ﴿**أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى*فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى*وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى*وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى*وَهُوَ يَخْشَى*فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾[2]

نص ما قاله المؤلف

واستظهر بعض الأفاضل أن النظم الجليل من الاحتباك ذكر الغنى أولا للدلالة على الفقر ثانيا، والمجيء والخشية ثانيا للدلالة على ضدهما أولا وكأنه حمل استغنى على ما نقل أخيرا واستشعر ما قيل عليه فاحتاج لدفعه إلى هذا التكلف وعدم الاحتياج إليه على ما نقلناه في غاية الظهور فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى تتشاغل يقال لهى عنه كرضى ورمى والتهى وتلهى[3]

التحليل والدراسة

بين الإمام الآلوسي صورة الاحتباك في هذه الآية وقال إن الله سبحانه وتعالى ذكر الغِنى أولاً للدلالة على الفقر ثانياً، والمجيء والخشية ثانياً للدلالة على ضدهما أولاً [4] أي: المستغني لا يخشى ولا يأتي، وهذا ذم له، وإبن أم مكتوم ﷺ كان فقيراً بدلالة ذكر الغنى في ضده، وكان حريصاً ذا خشية، وهو أولى من المستغني المعرض.

([1]) أنظر: لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيرى (237/6)

([2]) سورة عبس، رقم الآية 5-10

([3]) روح المعاني للإمام الآلوسي(243/15)

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي (243/15)

عوتب النبي-ﷺ- في هذه الآية بعدما جاءه ابن أم مكتوم ﷺ[1] يسأله، فعبس وصد عنه رسول الله-ﷺ-واخذ يدعو كفار مكة الذين اعرضوا عن دعوته الشريفة فنزلت الآية عتاباً للنبي على ذلك، وبعد نزول هذه الآية قابل-ﷺ- ابن أم مكتوم وقال له في مودةٍ وهو مبتسمٌ [2]: (أهلاً بمن عاتبتني فيه ربي)[3]

وتبرز في الآية شخصيتان، الأولى غنية أو ترى نفسها غنية، معرضة متولية وهي متمثلة في أكابر قريش، والأخرى فقيرة متعففة مقبلة، طالبة للإسلام، متواضعة وهي شخصية ابن أم مكتوم، ولكنه ذكر في جانب الكافر المعرض (الغنى)، في حين ذكر في مقابله في جانب ابن أم مكتوم (السعي والخشية)، وحذف من كل ما ذكر في الآخر، فذكر في الجملة الأولى الغنى وحذف ضده وهو الفقر في الثانية، وذكر المجيء في الثانية وحذف ضده وهو التولي في الأولى[4] وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

أما من استغنى عنك وتولى فأنت له تصدى

وأما الفقير الذي جاءك يسعى فأنت عنه تلهى

جاء النظم الكريم على صورة الاحتباك، ليفيد التحذير مما يدعوا إليه الطابع البشري من الميل إلى الأغنياء، والتحذير من الاستهانة بحق الأتي مهما كان فقيراً، عظاماً لمطلق إتيانه[5] وقيل إن الاستغناء هنا ليس غنى المال بل من عد نفسه غنياً عن هديك بأن اعرض عن قبوله، وذلك لأن المقام ليس مقام إيثار صاحب المال على الفقير[6] والبادي أن كليهما يصح أن تؤول عليه الآية، غنى المال، والاستغناء عن الدعوة والذي نراه قريباً هو غنى المال، لأن الرسول في الآية دعا غنياً معرضاً وترك فقيراً مقبلاً، وهو حتى إن استغنى عن دعوة الرسول-ﷺ-فهذا إنما كان بماله وجاهه وكبره، وهذا ما تدل عليه الحادثة.

([1]) ابن ام مكتوم مختلف في اسمه: فأهل المدينة يقولون: عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي العامري. وأما أهل العراق، فسموه عمرا، وأمه أم مكتوم، هي عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم بن يقظة المخزومية. من السابقين المهاجرين. وكان ضريرا مؤذنا لرسول الله ﷺ مع بلال، وسعد القرظ، وأبي محذورة، مؤذن مكة.سير أعلام النبلاء للذهبي(361/1)

([2]) نظرات قرآنية ، مُحَمَّد رجب البيومي(ص26)

([3]) الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع شيرويه الديلمي، حديث رقم(6510)(170/4)، أخرجه ابن جرير في التفسير(51/15) وأسناده ضعيف.

([4]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (256/21)، وروح المعاني للإمام الآلوسي (41/30)

([5]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (256/21)

([6]) التحرير والتنوير لإبن عاشور (107/30)

ومما يدل على ذلك أيضا أنه-ﷺ-أنه بعد هذه الحادثة ما عبس ولا اعرض في وجه فقير قط ولا تصدى لغني[1] وفي جملة ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾تحقيرٌ لأمر هذا الكافر،وحضٌ على الإعراض عنه وترك الاهتمام به، أي وأي شيءٍ عليك أن يكون كافراً لا يفلح ولا يتطهر من الكفر[2]

وفي تقديم ضميره-ﷺ-في الفعلين﴿فَأنتَ لَهُ تَصَدى﴾و﴿فَأنتَ عَنهُ تَلهى﴾، تنبيه على أنه مثلك يا مُحَمَّد-ﷺ- بأخلاقك وصفاتك الحميدة خصوصاً، لا ينبغى أن يتصدى للمستغني ويتلهى ويعرض عن الفقير الطالب للخير، وفي تقديم (له) و(عنه) على الفعلين للتعريض باهتمامه-ﷺ- بمضمونهما[3]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة المطففين

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة المطففين: ﴿**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ*وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْوَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾[4]

نص ما قاله المؤلف

ويكون في الكلام ما هو من قبيل الاحتباك. والمعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل وكذلك إذا اتزنوا استوفوا الوزن، ولم يذكر إذا اتزنوا لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن ومراده على ما نص عليه الطيبي أنه استغنى بذكر إحدى القرينتين عن الأخرى لدلالة القرينة الآتية عليها[5]

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي (41/30)

([2]) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي(419/8)

([3]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (6/377-378)

([4]) سورة المطففين، رقم الآية 3-2

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي(276/15)

التحليل والدراسة

نص الإمام الآلوسي أن في الآية احتباكاً ويرى أن معنى الآية أنهم إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل وكذلك إذا اتزنوا استوفوا الوزن إلا أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر الوزن هنا لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع وهو أمر معروف فاستغنى بذكر إحدى القرينتين (وهي الكيل) عن الأخرى (وهي الوزن)؛ لدلالة القرينة الآتية عليها" [1]

وفيه نظر: وذلك لأن أركان الطرف الأول مذكورة، وأركان الطرف الثاني محذوفة؛ لذا انتفى شرط القول بالحذف، والأولى تركه، فكأنه ذكر(اكتالوا) ولم يذكر (أتزنوا)؛ لأنه لا يتأتى في الوزن من المعالجة ما يتأتى في الكيل؛ ولأنهم يتمكنون في الاكتيال من المبالغة في استيفاء المؤدي إلى الزيادة ما لا يتمكنون من مثله في الاتزان، وهذا بخلاف الإخسار؛ فإن التمكن بسببه حاصل في الموضعين، فلذلك ذكرهما فيه"[2]. وكذلك فإن" الاقتصار على﴿إِذَا اكْتَالُوا﴾دون أن يقول: وإذا اتزنوا كما قال﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾اكتفاء بذكر الوزن في الثاني؛ تجنباً لفعل(اتزنوا)؛ لقلة دورانه في الكلام، فكان فيه شيء من الثقل. ولنكتة أخرى؛ وهي أن المطففين هم أهل التجر،-[التجار]- وهو يأخذون السلع من الجالبين في الغالب بالكيل؛ لأن الجالبين يجلبون التمر والحنطة ونحوهما مما يكال، ويدفعون لهم الأثمان عيناً بما يوزن من ذهب أو فضة، مسكوكين أو غيرَ مسكوكين، فلذلك اقتُصر في ابتياعهم من الجالبين على الاكتيال؛ نظراً إلى الغالب، وذكر في بيعهم للمبتاعين الكيل والوزن؛ لأنهم يبيعون الأشياء كيلاً ويقبضون الأثمان وزناً"[3]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة الغاشية

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الغاشية: ﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[4]

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي (89/30)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(313/21)

([3]) النحرير والتنوير لإبن عاشور(191/30)

([4]) سورة الغاشية، رقم الآية 7

نص ما قاله المؤلف

وقد يقال في التوفيق على القول بأن الثلاثة متغايرة بالذات أن العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ إما في محل جر صفة لضريع والمعنى أن طعامهم من شيء ليس من مطاعم الإنس وإنما هو شوك والشوك مما ترعاه الإبل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منفيتان عنه وهما إماطة الجوع وإفادة القوة والسمن في البدن، وإن شئت فقل إنه من شيء مكروه يضرع عنده ويتضرع إلى الله تعالى ويطلب منه سبحانه الخلاص عنه وليس فيه منفعتا الغذاء أصلا، وإما في محل رفع صفة لطعام المقدر إذ التقدير ليس لهم طعام إلّا طعام من ضريع والمعنى قريب مما ذكر ولا يجوز كونه صفة للمذكور إذ لا يدل حينئذ على أن طعامهم منحصر في الضريع بل يدل على أن ما لا يسمن ولا يغني من طعامهم منحصر فيه ويفسد المعنى، وأما لا محل له من الإعراب على أنه مستأنف والأول أظهر[1]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية من الاحتباك، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد نفى السمن أولاً ليدل على إثبات الهزال ثانياً، ونفى الإغناء من الجوع ثانياً ليدل على نفي الشبع أولاً، ومن جعل ذلك صفة الطعام أفسد المعنى؛ لأنه يؤول إلى: ليس لهم طعام منفي عنه الإسمان والإغناء، بل لهم طعام لا ينفى عنه ذلك،[2] فالمحذوف من الطرف الأول (لا يشبع)؛ لدلالة ذكر ﴿وَلا يُغْنِي﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني (لا يمنع من الهزال)؛ لدلالة ذكر﴿لا يُسْمِنُ﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

لا يسمن فلا يشبع، ولا يغني من جوع، ولا يمنع الهزال

وسره أنه ذكر الأظهر الأدل على المراد؛ لشدة ضروره وخلو نفعه، وهو نفي نفع فائدة الطعام في القيامة مطلقاً، فصورة الحذف أسهمت في إبراز وصف طعام أهل النار في النار، ترهيباً من الكفر وحثاً على الإيمان

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(326/15)

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(8/22)

بالبعث، فالمقصد الأعظم يسعى إلى إثبات الدار الآخرة التي الغاشية مبدؤها، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى[1] فالغاية من القول بالحذف هي: نفي فائدة طعام أهل النار مطلقاً، ففيه مزيد تأكيد لتحقق نفي الفائدة مطلقاً فمنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما: إماطة الجوع وإفادة القوة.[2]

مواضع الاحتباك وأثره في سورة العلق

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة العلق: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى* أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى* أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى* أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى﴾[3]

نص ما قاله المؤلف

أرأيت إن كان الناهي ثابتاً في نهيه متمكناً على الهدى، أو قد أمر في ذلك بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يصح أن يرى، أرأيت إن كذب وتولى فكان على الضلال والهوى متمكناً في ذلك، بحيث لا يصدر عنه فعل إلا فاسد، ألم يعلم بأن الله يرى[4]

التحليل والدراسة

صورة الاحتباك في الآية أنه حذف الكون على الضلال ثانياً، لدلالة الكون على الهدى عليه أولاً في:﴿إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى﴾، وحذف (ألم يعلم بأن الله يرى) أولاً لدلالة ذكره ثانياً في: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى﴾[5] وعليه فالمحذوف من الطرف الأول(ألم يعلم بأن الله يرى)؛ لدلالة ذكر﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى﴾في الطرف

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(404/8)

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(146/30)

([3]) سورة العلق، رقم الآية 14-11

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(408/15)

([5]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(168/22)

الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (كان على الضلال)؛ لدلالة ذكر ﴿كانَ عَلَى الْهُدى﴾ في الطرف الأول[1] ويكون التقدير الآية الكريمة:

أرأيت إن كان الناهي ثابتاً في نهيه متمكناً على الهدى، أو قد أمر في ذلك بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يصح أن يرى، أرأيت إن كذب وتولى فكان على الضلال والهوى متمكناً في ذلك، بحيث لا يصدر عنه فعل إلا فاسد، ألم يعلم بأن الله يرى[2]

وثمة تقابلات أخرى يقتضيها النظم تمثلت في: "أرأيت إن كان على الهدى وصدق وأقبل، أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى؟ أرأيت إن كان على الضلال وكذب وتولى، ألم يعلم بأن الله يرى؟[3] وعليه فالمحذوف من الطرف الأول (صدق وأقبل)؛ لدلالة ذكر ﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ في الطرف الثاني، ومن الطرف الثاني حذف (أرأيت إن كان على الضلال)؛ لدلالة ذكر ﴿كانَ عَلَى الْهُدى﴾ في الطرف الأول.

وسره أنه ذكر أشرف ما يكون عليه الناهي من الهدى والتقوى؛ ترغيباً في الإقبال عليهما، ثم ذكر مطلق علمه ترهيباً لمن فسد حاله وقبح مآله.

فالصورة التركيبية لطبيعة الاحتباك حققت معناً جليلاً تمثل في إبراز معنى شمولية علم الله ورؤيته لكل شيء، وذلك من خلال أوجه التقابل والتناظر بين طرفي العقول، خصوصاً وأن قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى﴾ حقق في كل طرف معنىً جديداً أسهم في إبراز المقصد الأعظم، وهو إثبات معنى التفرد والكمال في علم الله ﷻ، فهو يعلم كل معلوم، ويبصر كل مبصر، فمن كان له ذلك كان جديراً بأن يهلك من يراه على الضلال والإضلال، وينصر من يطيع أمره على من يعاديه،[4] فبالحذف برزت خاصية الترغيب في العبادة الموجبة الهدى، والترهيب من الضلال الموجب الكفر، وأنه لا سبيل لتحقق الهدى إلا بعبادة الله والتخلى التام عن الشرك، وهذا ما دعت إليه السورة في سياقها العام؛ إذ إنها تدعو إلى إقامة التوحيد بعبادة الله وحده، والخاص بما تحقق فيه من بيان حال الناهي؛ إذ كان متمكناً في الهداية والتقوى، وحال من كان مرتكباً للضلال الذي

([1]) أنظر: الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره، (ص240)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(166/22)

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(408/15)

([3]) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه أسراره (ص241)

([4]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(166/22)

لا يدعو إليه الهدى،[1] ف لما كان السؤال عن حال الناهي؛ لأن الرؤية علمية لا بصرية، فتشوف السامع إلى معرفتها، وكان للناهي حالان: طاعة ومعصية،[2] فأصل المراد تحقق بالمعاني الجوهرية، الأول: أرأيت إن كان الناهي ثابتاً في نهيه متمكناً على الهدى الكامل، أو كان قد أمر في ذلك الأمر بالتقوى، والثاني: في ألم يعلم بأن الله يرى فساده وضلاله، أما المعاني الإحسانية فتمثلت في الركنين المحذوفين؛ حيث الإرشاد والتوجيه إلى مراعاة القدرة الإلهية، فتحقق لله وحده مطلق الرؤية؛ لذا فمن الواجب على المرء الخوف من سطوته وعقابه،[3] وفي هذا دعوة ربانية جليلة تدعو إلى محاسبة النفس، ووزن الأفعال بميزان الشرع والاعتدال؛ ليعلم المرء أهي مما يرضي الله ليقره عليه كما يقر سائر ما يرضيه، أو يسخطه فيمنعه منه، وللاحتباك أثر بارز في نشوء علائق ربط جديدة أضافت إلى أصل النظم معاني منها: إعلام البشر بمبدأ عظيم من مبادئ العقيدة تمثل في حسن التأدب في الخطاب والموعظة؛ إذ وعظ الله على لسان نبيه مُحَمَّداً ﷺ أبا جهل في تعرضه له عند البيت[4] ففي هذا دافع إيماني نبيل يرشد النفوس إلى مراعاة تحكيم شرع الله وترك المعاصي والهوى؛ لأن في الأول رمزاً للكمال الذي شعاره الإيمان والتقوى، وفي الثاني رمزاً للنقصان الذي أساسه الكفر والفساد، كما تحقق بالحذف مزيد تاكيد لحقيقة التهديد والوعيد الشديد بعد التوبيخ[5] ويله، ألم يعلم أبو جهل بأن الله يرى، أي:يراه، ويعلم فعله[6] فدخل تحت هذا كل من نهى عن الصلاة ومنع منها فهو شريكه في الوعيد[7] فمن الواجب على المرء تعلم مبدأ الالتزام بحسن مراعاة الخطاب؛ فلا ينهى أحداً عن الصلاة مطلقاً، وإذا رأى ما خالف الشرع من الصلاة في أوقات النهي أن يتلطف في الخطاب بأن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك.

([1]) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(151/22) وما بعدها

([2]) المرجع السابق (167/22)

([3]) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لإبن جرير الطبري (254/30)

([4]) أنظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي (124/20)

([5]) روح المعاني للإمام الآلوسي(238/30)

([6]) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي(125/20)

([7]) روح المعاني للإمام الآلوسي(239/30)

مواضع الاحتباك وأثره في سورة النصر

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة النصر: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[1]

نص ما قاله المؤلف

في هذه الأيه يتبادر إلى الذهن أن يقول (إستغفره إنه كان غفارا)، كما قال في سورة نوح ﴿وقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾ (نوح: ١٠)، أن يقول (وتب إليه إنه كان توابا)، ولكن جاء النظم بذكر لفظة من هاتين ولفظة من هاتين، ودل بالمذكور على المحذوف على سبيل الاحتباك[2]

التحليل والدراسة

يرى الإمام الآلوسي أن في هذه الآية احتباكاً، والآية من سورة النصر، وهي من آواخر السور نزولاً، وفيها نعي رسول الله-ﷺ-، وروي أنه عندما قرأها رسول الله-ﷺ-على أصحابه استبشروا وبكى العباس-رضي الله عنه- فقال عليه الصلاة والسلام: (ما يبكيك يا عم؟)فقال رضي الله عنه: نعيت إليك نفسك، فقال عليه الصلاة والسلام: (إنها كما تقول)فلم يرى عليه الصلاة والسلام بعد ذلك ضاحكاً مستبشراً[3]وروي أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-كان يعظم ابن عباس ويقربه ويأذن له مع أهل بدر، فقال عبد الرحمن: أتأذن لهذا الفتى معنا، وفي أبنائنا من هو مثله؟ فقال: لأنه ممن قد علمتم، قال ابن عباس: فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فسألهم عن قول الله-عز وجل-﴿إِذَا جَاءَ نَصرُ اللهِ وَالفَتح﴾ وكأنه ما سألهم إلا من اجلي فقال بعضهم: أمر الله نبيه إذا فتح أن يستغفر ويتوب إليه، فقال ليس كذلك، ولكن نعيت إليه نفسه، فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم ثم قال: كيف تلومونني عليه بعد ما ترون[1]

([1]) سورة النصر، رقم الآية 3

([2])روح المعاني للإمام الآلوسي(259/30)

([3]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (158/20)

([1]) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، حديث رقم(4043)(1563/4)

في هذه الأيه يتبادر إلى الذهن أن يقول (إستغفره إنه كان غفارا)، كما قال في سورة نوح ﴿وقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾ (نوح: ١٠)، أن يقول (وتب إليه إنه كان توابا)، ولكن جاء النظم بذكر لفظة من هاتين ولفظة من هاتين، ودل بالمذكور على المحذوف على سبيل الاحتباك[1]، فحذف من الأول المفعول المطلق للفعل (استغفره) وهو (غفارا) لدلالة نظيره عليه في الثاني وهو (توابا)،وحذف من الثاني الفعل(وتب إليه) لدلالة نظيره وهو الفعل الأول عليه وهو (استغفره)، وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان غفارا وتب إليه إنه كان توابا

والذي يعضد هذا القول والتقدير الحديث الذي روي عن عائشة- رضي الله عنها -أنها قالت، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم – يكثر في آخر أمره من قوله: (سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه)[2] إذاً بما أنه عليه الصلاة وسلام أفرد الاستغفار لمفرده والتوبة لمفردها، إذ هما عملان مختلفان، فكأنه أستغفر الله لأنه غفار وتاب إليه لأنه تواب، لأن الاستغفار غير التوبة، فالتوبة: الإياب والرجوع والاستغفار : أن يقترف الإنسان ذنباً ويطلب من الله أن يغفره له، فكأن الاستغفارله مدلول، أي ذنب وقع من الإنسان فهو يستغفر الله منه، أما في التوبة، أن تؤوب وترجع إلى منهج الله، وتحاول أن لا يقع منك بعد ذلك ذنب[3]

وثمة بلاغة بالاحتباك، وهو أنه تعالى لم يجرالوصف على ما يناسب(واستغفره)، بل عدل عن ذلك إلى (تواباً) تلطفا مع النبي-ﷺ- بأن أمره بالاستغفار ليس مقتضياً إثبات ذنب له لما مضى ذكره في أن وصف (تواب) من تاب عليه الذي يستعمل بمعنى: وفقه للتوبة إيماء إلى أن أمره بالاستغفار إرشاد إلى مقام التأدب مع الله سبحانه وتعالى فأنه لا يسأل عما يفعل بعباده، لولا تفضله بما بين لهم من مراده-، ولأن وصف (تواب)أشد ملاءمة لإقامة الفاصلة مع فاصلة (أفواجاً) لأن حرف الجيم والباء كليهما من الحروف الموصوفة بالشدة خلاف حرف الراء فهو من الحروف التي صفتها بين الشدة والرخوة[1]

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(259/30)

([2]) صحيح مسلم ،كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (484)(351/1)

([3]) المنتخب من تفسير القرآن الكريم، محمد متولي للشعراوي (101/3)

([1]) التحرير والتنوير لإبن عاشور (597/30-598)

وقيل إن أمره سبحانه وتعالى لنبيه-ﷺ-جاء تنبيهاً لأمته، وتعريضاً بهم فكأنهم هم المأمورون بالاستغفار، وقيل إن الله-ﷻ-أمره بالاستغفار لأمته، كما أن لفظه (تواباً) من صيغ المبالغة التي تدل على أنه سبحانه مبالغ في قبوله توبة التائبين فهو كثير التوبة لمن رجع إليه[1]

([1]) فتح القدير للشوكاني(688/5)

الباب الثالث: أثر الاحتباك عند الإمام الآلوسي في الميزان.وفيه فصلان

الفصل الأول: اتفاق الإمام الآلوسي مع بقية المفسرين في بيان أثر الاحتباك

الفصل الثاني: اختلاف الإمام الألوسي مع بقية المفسرين في بيان أثر الاحتباك

شرف الله سبحانه وتعالى اللغة العربية أن جعلها وعاء لكلماته العظيمة التامة، واللغة العربية انمازت عن غيرها من اللغات بميزات كثيرة، منها الفصاحة وتنوع الأساليب البلاغي، ووضوح الدلالة، والطرق الكثيرة للتعبير عن المعاني، ومن هذه الطرق البلاغية للتعبير عن المعاني(الاحتباك) وكانت هذه الدراسة تهدف إلى كشف الحجب عن نوع نفيس من أنواع الحذف في اللغة العربية الكريمة، واهتمام المفسرين بهذا النوع البلاغي وإبراز معانى القرآن الكريم من خلال ما كتبوا في تفاسيرهم، وعلى رأسهم الإمام الآلوسي الذي اهتم بمثل هذه الموضوعات اهتماما لم نجد عند غيره من المفسرين. وقد تبين لي بعد دراسة هذا التفسير والبحث فيه أن الإمام الآلوسي في كثير من الأحيان يوافق مع المفسرين الآخرين في إبراز هذه الوجوه ولا سيما في بيان الاحتباك فإنه- حسب اطلاعي-وافق مع المفسرين الآخرين فيما يقارب ستين موضعا في بيان الاحتباك وأثره على المعاني والمفاهيم القرآنية.

وقد حاولت في هذه الدراسة أن أجمع ما يتعلق بالاحتباك في كتب أهل البلاغة والتفسير، وفهم الآلية التي يقوم عليها هذا النوع من الحذف، كما حاولت- قدر وسعي-أن أطبق هذه الآلية على القرآن الكريم حتى يظهر ما أودعه الله في كتابه الكريم من معان جمة ومفاهيم عالية الجودة.

الفصل الأول: اتفاق الإمام الآلوسي مع بقية المفسرين في بيان أثر الاحتباك

في هذا الفصل أذكر بعض النماذج لموافقة الإمام الآلوسي مع المفسرين الآخرين في بيان أثر الاحتباك فأقول وبالله التوفيق:

الموضع الأول: قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1]

[1] سورة البقرة، رقم الآية 228

قال الإمام الآلوسي: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فيه صنعة الاحتباك، ولا يخفى لطفه فيما بين الزوج والزوجة حيث حذف في الأول بقرينة الثاني، وفي الثاني بقرينة الأول، كأنه قيل: ولهن عليهم مثل الذي لهم عليهن[1]

التحليل والدراسة

صورة الاحتباك في هذه الآية كذا﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ معناه لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، وهذا ما عُد من الاحتباك لأنه حذف من الأول(على الرجال) لدلالة(عليهن) في الثاني عليه وحذف من الثاني(للرجال) لدلالة (لهن)في الأول عليه.

وغيرُ خافٍ أن المماثلة في أصل الوجوب لا في جنس الأفعال، فكل واحد عليه من الواجبات ما يليق بجنسه وقدرته. قال ابن عباس ﷺ: "إني أُحب أن أتزين للمرأة كما تحب أن تتزين لي"؛ لأن الله تعالى ذكره يقول:﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾"[2]ومعلوم أن زينة الرجل تختلف عن زينة المرأة، والله أعلم.

قال **الإمام القرطبي**: "(أي لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن)" [3] لأنه حذف من الأول (على الرجال) لدلالة (عليهن) في الثاني عليه وحذف من الثاني (للرجال) لدلالة (لهن) في الأول عليه.

قال **الإمام أبو حيان الأندلسي**: "(هذا من بديع الكلام، إذ حذف شيئاً من الأول أثبت نظيره في الآخر، وأثبت شيئاَ في الأول حذف نظيره في الآخر، وأصل التركيب ولهنَّ على أزواجهنَّ مثل الذي لأزواجهنَّ عليهنَّ، فحذفت على أزواجهن لإثبات: عليهنَّ، وحذف لأزواجهنَّ لإثبات لهنَّ)"[1]

تعد هذه الآية من أهم الآيات التي بينت ورسمت الحقوق فيما بين الزوج والزوجة، فبين سبحانه وتعالى أن للزوجة حقوقا على الرجل، كما للرجل حقوقٌ على المرأة، ولكن هذه الحقوق حسب طبيعتهما، فالرجل

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(529/1)

([2]) تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) (532/4)

([3]) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (123/3)

([1]) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (403/2)

عليه مسؤوليات تقتضيها طبيعة الرجل، والمرأة عليها حقوق تقتضيها طبيعتها[1] وفي معنى هذه الآية يقول الرسول-ﷺ- فيما أخرجه أهل السنن: (أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ)[2]

لقد أنطوى جزءٌ من هذه الآية على إيجاز بالحذف على سبيل الاحتباك، في قوله تعالى:﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، فقد وقع حذفٌ من الطرفين ودل بالمذكور على المحذوف في كلٍ منهما، فحذف من الأول على الرجال لدلالة نظيره عليه في الثاني وهو (عليهن)، وحذف من الثاني للرجال لدلالة نظيره عليه في الأول وهو (لهن)[3] وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة:

ولهن من الحقوق على أزواجهن

مثل الذي لإزواجهن عليهن من الحقوق[4]

ولا يخفى لطف الاحتباك في هذه الآية وجماليته فيما بين الزوج والزوجة[5]فهذا كلام يشمل جميع ما يجب للنساء على الرجال من حسن المعاشرة وصيانتهن وإزاحة عللهن، وكل ما يؤدي إلى مصالحهن، كما يشمل ما يجب للرجال على النساء من طاعة الأزواج وحسن المشاركة في السراء والضراء والسعي إلى مرضاته وحفظ غيبتهم وصيانتهم عن خيانتهم[1] وفيه إيجاز وبيان لا يخفى على المتمكن من علوم البيان[2]

ومثل هذا الإيجاز هو الذي تهتم به العربية وتسعى لتحقيقه فهو عنصر من عناصر بلاغة الكلام([3]) لأنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر[4]

([1]) أنظر: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، محمد متولي الشعرواي، (2 / 1002-1001)،

([2]) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)(458/2)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت1998، كتاب الرضاعة، باب ما جاء في حق الزوجة على زوجها، حديث رقم (1163)

([3]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(2/ 134)، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(2 /200)، ،ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (3/ 301)، وحاشية الصاوي على الشرح الصغير، أحمد الصاوي،(1/ 106)، والتحرير والتنوير لإبن عاشور (2/ 396)

([4]) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري(543/2)، ومعالم التنزيل لأبو محمد البغوي مختصر تفسير البغوي،(132/1)، والكشاف للإمام الزمخشري (272/1)، والجامع لإحكام القرآن للإمام القرطبي (82/3)

([5]) أنظر: روح المعاني للإمام الآلوسي(134/2)

([1]) أنظر: بلاغة الإيجاز في العربية، امال بنت مت زين، (ص36) بحث تكميلي مقدم لاستيفاء شروط لنيل إجازة الماجستير، كلية الدراسات الجامعة الوطنية الماليزية باغي 1997.

([2]) أنظر: صفوة التفاسير، محمد على صابوني (131/1)

([3]) أنظر: في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. خليل أحمد عمايره (135)، الناشر عالم المعرفة جدة، الطبعة الأولى(1404هـ-1984م).

([4]) أنظر: دلائل الإعجاز، أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي(ص 122)

كما أنَّ هذا التركيب على طريقة الاحتباك بإضمار (الأزواج ومالهم) للاعتناء بذكر ما للنساء من الحقوقً على الرجال، وتشبيهه بما للرجال على النساء، لأنه كما هو معلومٌ أن حقوق الرجال على النساء كثيرة ومشهورة، مسلمةٌ بها من أقدم العصور، أما حقوق المرأة فلم تكن موجودة، ولم يلتفت إليها، حتى إن وجدت فكان متهاونٌ بها، وموكولة إلى مقدار حظوة المرأة عند زوجها، حتى جاء الإسلام فأقامها، وأعظم ما أسست به هو ما جمعته هذه الآية[1]

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول في معنى هذه الآية: (إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي)[2]

وفي تقديم الظرف (لهن) في بداية الجملة، للإهتمام بالخبر، لأنه من الأخبار التي لا يتوقعها السامعون، فقدم ليصغي السامعون إلى المسند إليه، بخلاف ما أخر فقيل: ومثل الذي عليهن لهن بالمعروف وفي هذا إعلان لحقوق النساء، وإصداعٌ وإشارةٌ بذكرها ومثل ذلك من شأنه أن يتلقى بالاستغراب، فلذلك كان محل الاهتمام [3]

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة طه: ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى**﴾[4]

قال الإمام الآلوسي: أصل الكلام: اضمم يدك إلى جيبك تنضم غير بيضاء وأخرجها تخرج، فحذف ما حذف من الأول والثاني، وأبقى ما يدل عليه، فهو إيجاز يسمى الاحتباك[1]

التحليل والدراسة

نجد في هذه الآية احتباكاً، والإمام الآلوسي يوافق مع المفسرين المتقدمين في إبراز جانب الاحتباك وهو يوظف الاحتباك بالاسم وتقدير الآية بدون ذكر وجه البلاغي. ومن خلال استعراض قصة موسى عليه السلام نلاحظ أنها ذكرت مرات عديدة وبصيغ مختلفة، بالزيادة والنقصان أو التكرار والتغيير في الألفاظ

([1]) التحرير والتنوير لإبن عاشور (396/2)

([2]) معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس(198/1)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي(ص123)

([3]) أنظر: التحرير والتنوير لإبن عاشور (397/2)

([4]) سورة طه، رقم الآية 22

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي (494/8)

ومن هذه المواطن آية من آيات موسى إلى فرعون وملئه وهي بياض يده من غير مرض، فقد وردت ثلاث مرات وبصور مختلفة:

الأولى في سورة طه: ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى**﴾[1]

والثانية في سورة النمل: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾[2]

والثالثة في سورة القصص: ﴿**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾[3]

فهذه الآيات الثلاث تعرض معجزة من معجزات نبي الله موسى– عليه السلام – بعد أن أرسله ربه إلى فرعون وقومه، وجاءت هذه الآية بعد انقلاب عصاه حية عندما ألقاها على سحر السحرة، فأمر السلام عليه بعدها بأن يدخل يده في جيبه، ومعنى الآية: ادخل يدك تحت إبطك ثم أخرجها تخرج نيرة مضيئة كضوء الشمس والقمر من غير عيبٍ ولا برص.

قال الإمام ابن كثير: (كان إذا ادخل يده في جيبيه ثم أخرجها تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر من غير برصٍ ولا أذىً)[1]

وجمعت هذه الآية من فنون البلاغة ما جمعت من احتباك وكناية واستعارة واحتراس وغيرها من الفنون، وأول هذه الفنون التي سنتناولها الاحتباك، إذ يلاحظ في بداية آية طه أنه قال﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ﴾ ثم قال ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾، فالذي يفهم منه أنه عند دخولها لم تكن يده بيضاء، ولكنه عندما أخرجها خرجت بيضاء، فوقع بهذا حذفٌ من الطرفين على سبيل الاحتباك، فحذف (تدخل غير بيضاء) من الأول، وحذف (أخرجها) من الثاني لدلالة ضدهما عليهما في الأول والثاني.

([1]) سورة طه، رقم الآية 22

([2]) سورة التمل، رقم الآية 12

([3]) سزرة القصص، رقم الآية 32

([1]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ص1209)

قال أبو حيان: (وفي الكلام حذف إذ لا يترتب الخروج على الضم وإنما يترتب على الإخراج والتقدير﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾تنضم وأخرجها(تخرج) فحذف من الأول وأبقى مقابله، ومن الثاني وأبقى مقابله وهو ﴿اضمم﴾ لأنه بمعنى أدخل كما يبين في الآية الأخرى﴿جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ قيل خرجت بيضاء تشف وتضيء كأنها شمس)[1]

وقال الإمام الآلوسي نحو هذا الكلام: أصل الكلام: اضمم يدك إلى جيبك تنضم غير بيضاء وأخرجها تخرج، فحذف ما حذف من الأول والثاني، وأبقى ما يدل عليه، فهو إيجاز يسمى الاحتباك[2]

ومن خلال هذا الكلام يتضح الاحتباك في الآية الكريمة، فقد ذكر(اضمم) التي بمعنى ادخل في الجملة الأولى دليلاً على حذف ضده في الثاني وهو (أخرجها) وذكر(تخرج بيضاء) في الجملة الثانية دليلاً على حذف ضده في الأول وهو (تنضم غير بيضاء) وبهذا وقع حذفٌ من الطرفين وكل من المذكور يدل على المحذوف، وعليه يكون تقدير الآية الكريمة :

واضمم يدك إلى جناحك تنضم غير بيضاء

وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء...

أو

و اضمم يدك غير بيضاء إلى جناحك

وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء..

فكلمة (اضمم) مثبتة في الآية وقدر لها ضدها في الثانية (أخرجها)، (وكلمة) (تدخل بيضاء) قدر المقابل لها بـ (تدخل غير بيضاء) في الأول[1]

([1]) البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي(222/6)

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي (494/8)

([1]) أنظر: جريدة البيان الكويتية (أسلوب الحذف في النحو)(ص 25)

ومن خلال هذا نرى كيف أن الاحتباك ساعد على صياغة الآية بأعلى صور الإيجاز والفصاحة، بحذفه من كل جملة شيئاً من غير تأثير في جمالية ونظم الآية الكريمة، يضاف إلى ذلك أن هذا الحذف هذب العبارة لأن المعنى الذي يدركه الفهم إدراكاً قوياً مع حذف الألفاظ الدالة عليه، يكون ذكره فضولاً يتنزه عنه البيان الحكيم، وهذا هو غاية الفصاحة والبيان لهذا الكتاب المعجز.

ومن الفنون البلاغية في الآية (الاستعارة التصريحية) في قوله ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ فإن أصل الجناح للطائر، ثم استعير لجنب الإنسان، لأن كل جنب في موضع الجناح للطائر، فسميت الجهتان جناحين بطريق الاستعارة التصريحية[1]كما أن ضم الجناح كناية عن التجلد والضبط، وهو مأخوذ من فعل الطائرعند الأمن بعد الخوف، وهو في الأصل مستعار من فعل الطائر عند هذه الحالة، ثم كثر استعماله عند التجلد وضبط النفس حتى صار مثلاً فيه وكنايةً عنه[2]

وقد أورد **الإمام الزمخشري** في الكشاف في هذه الآية من فنون الإعجاز البلاغي بقوله وفيها معنيان: (أحدهما: أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية: فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له: إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء، فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران: اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى، والمراد بالجناح: اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه. والثاني: أن يراد بضم جناحه إليه: تجلده وضبطه نفسه، وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما، وإلا فجناحاه مضمونان إليه مشمران)[1]وكان للاحتراس [2] دور بارز في توضيح الآية الكريمة، فإن قوله ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ إحتراس لئلا يظن أن البرص بيده عليه السلام من مرضٍ أو غيره و لو اقتصرﷻ على﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾وسكت على (بيضاء)لأوهم أن هذا البياض من برصٍ

([1]) أنظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، محمد وحافي، (360/16)

([2]) أنظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (803/2)، وروائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن(313)

([1]) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري(ص800)

([2]) الاحتراس: هو ((أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل (شبهه)، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي بما يخلصه من ذلك)) معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس(ص 11)

أو بهق، فجاء الاحتراس بقوله﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾لبيان أن هذا البياض لم يكن من مرضٍ أو غيره[1] فختمت الآية بهذا الأسلوب ليفيد بأن هذا البياض معجزة وآية من آيات الله وأنها ليست من مرضٍ أو غيره.

الفصل الثاني: اختلاف الإمام الآلوسي مع بقية المفسرين في بيان أثر الاحتباك

قد تبين من خلال دراستي لهذا الموضوع في تفسير روح المعاني أن الإمام الآلوسي كثيرا ما يوافق مع المفسرين الآخرين في بيان الاحتباك وأثره على معنى الآية كما أشرت إلى هذا الجانب في الفصل السابق إلا أنه أحيانا يختلف بذكر الاحتباك وإبراز أثره في الآية، فهناك مواضع- وإن كانت يسيرة وهي حسب دراستي قرابة عشرين مواضع- تختلف بذكر الاحتباك فيها فمثلاً:

الموضع الأول

قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾[2]

قال الإمام الآلوسي: قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً استفهام في معنى النفي أي لا أحد يمنعكم من الله عزّ وجلّ وقدره جلّ جلاله إن خيرا وإن شرا فجعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة مع أنه لا عصمة إلّا من السوء لما في العصمة من معنى المنع، وجوز أن يكون في الكلام تقدير والأصل قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر نظير قوله:

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا، فإنه أراد وحاملا أو ومعتقلا رمحا، ويجري نحو التوجيه السابق في الآية، وجوز الطيبي أن يكون المعنى من الذي يعصمكم من الله أراد بكم سوءا أو من الذي يمنع رحمة الله منكم إن أراد بكم رحمة، وقرينة التقدير ما في يَعْصِمُكُمْ من معنى المنع، واختير الأول لسلامته عن حذف حملة بلا ضرورة[1]

([1]) أنظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (803/2-804)

([2]) سورة الأحزاب، رقم الآية 17

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(160/11)

التحليل والدراسة

قال الإمام البقاعي: صورة الاحتباك في هذه الآية كذا، حيث ذكر السوء أولاً دليلاً على ضده ثانياً، وذكر الرحمة ثانياً دليلاً على ضدها أولاً[1] وعلى هذا فالمحذوف من الطرف الأول(فأناخ بكم نقمة؛ لدلالة ذكر﴿أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ في الطرف الأول، ويكون التقدير الآية الكريمة:

قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً فأناخ بكم نقمة أو يهينكم ويقبح جانبكم إن أراد بكم رحمة فأفادكم نعمة.

وفيه نظر؛ لانتفاء وجه التقابل بين المعاني، فلم يتحقق بالتقدير وجه الاحتباك المشار إليه؛ لأن الرحمة ضدها العذاب، والسوء ضده الحسن.

وقيل تقدير المعنى: قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوء وعذاباً أو يصيبكم بسوء أن أرد بكم رحمة وحسناً[2]

وفيه نظر أيضاً؛ لأن السوء عام يدخل فيه أنواع العذاب، والرحمة عام تشتمل على جميع أوجه الحسن والكمال. فالأولى ما عليه جمهرة المفسرين من تقدير مضاف، والأصل: قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو يصيبكم بسوءٍ إن أراد بكم رحمة[1]

قال الإمام الزمخشري: وقيل كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة، ولا عصمة إلا من السوء؟ قلت- أي: الزمخشري- معناه: أو يصيبكم بسوءٍ إن أراد بكم رحمةً فاختصر الكلام[2]

الموضع الثاني

قال الله تعالى في سورة سباء: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾[1]

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي(312/15)

([2]) الاحتباك في الذكر الحكيم مواقعه وأسراره، (ص203)

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي(163/21)

([2]) الكشاف للزمخشري(255/3)

قال الإمام الآلوسي: جوز أن يكون في الكلام صنعة الاحتباك، الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الدنيا، وله ما في الآخرة والحمد فيها فأثبت في كل منهما ما حذف من الآخر[2]

التحليل والدراسة

صرح الإمام الآلوسي بأن في هذه الآية احتباكاً، لأن حذف أولاً (له الحمد في الأولى)؛ لما دل عليه ثانياً، وثانياً (وله كل ما في الآخرة)؛ لما دل عليه أولاً[3] وجوز أن يكون في الكلام صنعة الاحتباك، الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الدنيا، وله ما في الآخرة والحمد فيها فأثبت في كل منهما ما حذف من الآخر [4]

وفيه نظر؛ لعدم تعادل المذكور والمحذوف من كل طرف حيث جعل المذكور في الطرف الأول:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾مقابلاً للمذكور في الطرف الثاني: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾، والمحذوف من الطرف الأول،(له ما في الدنيا) مقابلاً للمحذوف من الطرف الثاني، له ما في الآخرة. والثاني: في جعل التقدير:"الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الأولى، وله كل ما في الآخرة وله الحمد في الآخرة"[1]

قال الإمام البقاعي: فكان في هذا التقدير نوعا من الركاكة لا يطلبها مقام العظمة، فلو جعل التقدير: الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الأولى، وله الحمد في الآخرة وكل ما فيها؛ لكان أكثر الدقة في بناء العبارة، وسره أن حذف "فله الحمد في الأولى؛ لأجل خفائه على أكثر الخلق، وظهر ما في الآخرة لظهوره؛ لأنها دار كشف الغطاء[2] فأنفع للسياق في هذا المقام حمل النظم على شبه الاحتباك.

([1]) سورة سباء، رقم الآية 1

([2]) روح المعاني للإمام الآلوسي(278/11)

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (431/15)

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي(278/11)

([1]) الاحتباك في الذكر الحكيم، مواقعه وأسراره، (ص53) وما بعدها.

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (429/15)

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الكائنات، سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه الثقات، وبعد:

من خلال دراسة موضوع (**الاحتباك وتوظيفه في بيان المعنى عند الإمام الألوسي من خلال تفسيره"روح المعاني"**) (دراسة وصفية تحليلية) على سبيل الخصوص، توصلت إلى نتائج أهمها:

-فن الاحتباك هو من الفنون البلاغية القليلة الظهور والتي لم تنل حظاً وافراً من العناية في مجال الدراسات الأكاديمية.

-أطلق العلماء تسميات مختلفة على ظاهرة الاحتباك، إذ نجد:

"الحذف المقابلي"، الاكتفاء بالمقابل"، "الإدراك لفن الاحتباك"، الإيحاء بالمشابهة أو المقابلة"، ولكن تسمية الاحتباك هي المعروفة عند البلاغيين والمفسرين.

-تناول علماء البلاغة المتأخرون هذا الفن بشيءٍ من التفصيل والاهتمام لا سيما في كتب التفسير كالإمام البقاعي (ت855هـ) والإمام الألوسي (ت 1025)وغيرهما، إلاّ أن هناك سيبويه (ت180هـ) أول من أشار إليه إشارة عابرة، ثم ذكر المفسرون تباعاً بعد سيبويه إشارات لا يمكن أن ترقى إلى مستوى التنظير، منها ما ذكره الإمام الطبري، إمام ابن عطية، الإمام الزمخشري، صاحب الكشاف الرازي وغيرهم.

-للاحتباك في القرآن الكريم أمثلة كثيرة وأنواعه متعددة، وهذا التنوع والاختلاف يرجع إلى تقدير المحذوف، والمحذوف نفسه يفهم غالباً من السياق أو بوجود قرينة تدل عليه، ومن خلال دراستنا للاحتباك، وتقدير المحذوف، وكلام العلماء وتعاريفهم له يمكن أن نقسم الاحتباك إلى خمسة أقسام، الأول اصطلحنا على تسميته ب (الاحتباك الضدي) والثاني (الاحتباك المتشابه) والثالث (الاحتباك المتناظر) والرابع (الاحتباك المنفي المثبت) والخامس (الاحتباك المشترك).

-من خلال الوقوف على ما ذكره العلماء من تعريفات لمصطلح الاحتباك تبين أن له طريقتين، الأول: ما كانت النسبة فيه بالنسبة الأول إلى الثالث، كنسبة الثاني إلى الرابع. والثانية: ما كانت النسبة فيه بنسبة

الأول إلى الثاني كنسبة الثالث إلى الرابع، فكل موضع أتى بتلك الطريقتين كان موافقاً لقاعدة الاحتباك، وكل آية خرجت عن المتعارف عليه عند العلماء بنص التعريف الموضوع للاحتباك كان شبيهاً بالاحتباك، وإذا كان المعنى ظاهراً واضحاً فالأولى فيه ترك التقدير، خاصة في كلام الله، لأنه قد يؤول إلى تكلف وتعسف، وهذه قاعدة سار عليها أهل العلم، خصوصاً المتقدمين منهم: (إنا لا نصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيء على ظاهره....)

-حاولت في هذا البحث إظهار بلاغة الاحتباك والهدف الذي يرمى إليه في الكلام، منطلقاً من أن القيم البلاغية لأسلوب الحذف تكمن من مسوغاته التي اقتضت استخدام هذا الأسلوب دون سواه.

-معرفة أساليب البلاغة والبحث عن تطبيقاتها في القرآن الكريم يزيد الإنسان علما بكتاب الله وفهماً وتدبراً إذ تكشف المعاني بجلاء ووضوح.

-يتبادر في بعض الأحيان معنى لذهن الإنسان حول نص قرآني لا من قواعد البلاغة، ولكن يتبين له بعد البحث أن النص يدل على معنى أوسق وأعمق، وهذا المسلك هو الطريقة المثلى في فهم القرآن الكريم وبيان بلاغته.

-كانت اللغة العربية انمازت عن غيرها من اللغات بميزات كثيرة، منها الفصاحة وتنوع الأساليب البلاغي، وللتعبير عن المعاني (الاحتباك) وكانت هذه الدراسة تهدف إلى كشف الحجب عن نوع نفيس من أنواع الحذف في اللغة العربية، واهتمام المفسرين بهذا النوع البلاغي وإبراز معانى القرآن الكريم من خلال ما كتبوا في تفاسيرهم، وعلى رأسهم الإمام الآلوسي الذي اهتم بمثل هذه الموضوعات اهتماما لم نجد عند غيره من المفسرين.

- وقد تبين لي بعد دراسة هذا التفسير والبحث فيه أن الإمام الآلوسي في كثير من الأحيان يوافق مع المفسرين الآخرين في إبراز جانب الاحتباك في الآية إلا أنه يوظف ويوضح تقدير الآية بنوع من التفصيل فهو يذكر الاحتباك بالاسم وتوضيحه يبرز الوجه البلاغي على أحسن وجه، وأحيانا قد يختلف بذكر الاحتباك وإبراز أثره على المعاني والمفاهيم القرآنية.

-أحياناً ينفرد الإمام الألوسي بذكر الاحتباك وفي إبراز أثره على المعاني والمفاهيم القرآنية ولا نجد مثله عند المفسرين الآخرين، وهذا يدل على غزارة علمه وتعمقه في الوجوه البلاغية التي لم يتنبه لها غيره من المفسرين.

-لاحظت خلال هذه الدراسة أن الإمام الألوسي يتميز بإيضاح معنى الآية عندما يشرح الاحتباك فيها فمعنى الآية يتبين بكل وضوح في صبغة بلاغية مودعة في الاحتباك فيها، ويظهر تميز الإمام الألوسي عندئذ بالمقارنة مع تفاسير أخرى في تفسير نفس الآية، فأسلوبه مبسط ومفصل وسهل وأخاذ بالقلوب في آن واحد.

والله الموفق.. وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس:

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

رقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
1	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	7	الفاتحة	89
2	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾	26	البقرة	91
3	﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	28	البقرة	33
4	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	29	البقرة	133
5	﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	38-39	البقرة	79
6	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾	86	البقرة	71
7	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	91	البقرة	75-96
8	﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾	108	البقرة	77

9	﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	134	البقرة	98
10	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	135	البقرة	66
11	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	171	البقرة	41-63-83
12	﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾	228	البقرة	43-44
13	﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾	229	البقرة	29
14	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾	255	البقرة	65
15	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	257	البقرة	86
16	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	261	البقرة	71
17	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾	284	البقرة	32

18	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	286	البقرة	32
19	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾	13	آل عمران	51-103
20	﴿فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾	97	آل عمران	105
21	﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	117	آل عمران	69
22	﴿وَما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	126	آل عمران	107
23	﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾	128	آل عمران	76
24	﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾	162	آل عمران	108
25	﴿لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ..... إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾	95-96	النساء	110
26	﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾	120	النساء	142
27	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾	145	النساء	176
28	﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾	64	المائدة	89

29	﴿وأَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾	82	المائدة	89	
30	﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	114	المائدة	33	
31	﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾	36	الأنعام	59	
32	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾	91	الأنعام	26	
33	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً﴾	99	الأنعام	114	
34	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾	107	الأنعام	78	
35	﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾	111	الأنعام	26	
36	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾	148	الأنعام	115	
37	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾	151	الأنعام	26	
38	﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾	4	الأعراف	44-64	
39	﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	56	الأعراف	45-74	

40	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾	58	الأعراف	117
41	﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	128	الأعراف	173
42	﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ.....﴾	65-66	الأنفال	54-120
43	﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾	52	التوبة	80
44	﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	102	التوبة	79-123
45	﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾	35	يونس	124
46	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾	67	يونس	126
47	﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	107	يونس	44-69-130
48	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾	35	هود	81

49	﴿قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾	48	هود	134
50	﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	103	يوسف	34
51	﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾	2-1	الرعد	34
52	﴿سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ﴾	10	الرعد	136
53	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾	12	الرعد	138
54	﴿وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾	22	إبراهيم	139
55	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ﴾	28	إبراهيم	142
56	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	92	الحجر	28
57	﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾	99	الحجر	28
58	﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	1	النحل	27
59	﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾	24	الإسراء	1
60	﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾	71-72	الإسراء	145

61	﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا* مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا* وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾	2-4	الكهف	147
62	﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾	17	الكهف	148
63	﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾	22	طه	151
64	﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي* اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾	42-43	طه	76
65	﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾	103	الأنبياء	196
66	﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾	56-57	الحج	76-155
67	﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾	25	الفرقان	157
68	﴿يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾	9-10	النمل	158-31
69	﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾	12	النمل	152
70	﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	86	النمل	158

71	﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾	32	القصص	152
72	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	71- 72	القصص	160
72	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾	3	العنكبوت	162
73	﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾	45	الروم	163
74	﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾	12	لقمان	165
75	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	27	لقمان	168
76	﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾	32	لقمان	170
77	﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	8	الأحزاب	172
78	﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾	17	الأحزاب	174

79	﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾	23	الأحزاب	177
80	﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	24	الأحزاب	175
81	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾	53	الأحزاب	178
82	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	56	الأحزاب	179
83	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	1	سبأ	181
84	﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾	50	سبأ	183
85	﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾	12	يس	185
86	﴿قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾	20	يس	187
87	﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	22	يس	186
88	﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾	37	يس	128
89	﴿هذا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ* جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ.... إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ * هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾	49-55	ص	189

90	﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	53	الزمر	190
91	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	40	فصلت	195
92	﴿وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾	41	الغافر	43
93	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	61	الغافر	194
94	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾	7	الشورى	197
95	﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾	18	الشورى	199
96	﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾	12	مُحَمَّد	201
97	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ﴾	14	الحجرات	203
98	﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾	15	الحجرات	206
99	﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾	44	ق	207
100	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾	7	الذاريات	37
101	﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾	35	القمر	68

102	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	49	القمر	31
103	﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾	68	الرحمان	31
104	﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ*فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ*وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ*فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ* وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾	90-93	الواقعة	207
105	﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	1-2	الحديد	209
106	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ...﴾	14	الصف	212
107	﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾	16	الحاقة	29
108	﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾	17	نوح	21
109	﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَداً﴾	21	الجن	216
110	﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾	8	المزمل	45
111	﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	31	الإنسان	218
112	﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾	40	النبأ	197
113	﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى*فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى*وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى*وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى*وَهُوَ يَخْشَى*فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾	5-10	عبس	220
114	﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ*وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْوَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾	2-3	المطففين	222
115	إِ﴿ذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾	1	الإنشقاق	29

116	﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾	7	الغاشية	223
117	﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى* أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى* أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى* أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى﴾	11- 14	العلق	225
118	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾	3	النصر	227

فهرس الأحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
1	ألا: ومن أشرك .ثلاث مرات	221
2	أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا...	101
3	إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْهُدَى	117
4	التسريح بإحسان هو الثالثة	29
5	رأس الأمر الإسلام وأما عموده فالصلاة	55-121
6	سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه	228
7	سبقت رحمتي غضبي	133
8	صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية	31
9	قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا	192

10	لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ	192
11	لَئِنْ تَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ	55
12	لَئِنْ تَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ	121
14	يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي	191
15	يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ	131

فهرس الأعلام

الرقم	العنوان	الصفحة
1	ابن أبي الإصبع المصري	**79**
2	ابن الأعرابي	**31**
3	ابن البناء المراكشي	**83**
4	ابن السكيت	**50**
5	ابن الفرس	**27**
6	ابن المنير	**72**
7	ابن عرفة	**76**
8	ابن عطية	**42**
9	ابن فارس	**50**
10	ابن مالك	**64**
11	ابن يوسف الأندلسي	**84**
12	أبو البركات نعمان خير الدين	**20**
13	أبو الحسن الحرالي	**70**
14	أبو عبيد	**26–37**

15	أبوجعفر النحاس	**26–64**
16	أحمد السجاعي	**65**
17	إسماعيل بن مُحَمَّد الغرناطي	**64**
18	البيهقي	**26**
19	الجوهري	**38**
20	خالد النقشبندي	**20**
21	الزَّجَّاج	**63**
22	الزركشي	**39**
23	الزمخشري	**43**
24	السجلماسي	**80**
25	السكاكي	**79**
26	السمين الحلبي	**75**
27	سيبويه	**41**
28	الشنقيطي	**47**
29	عبد الفتاح الشواف	**20**
30	علي الجرجاني	**39**

31	علي السويدي	**20**
32	القشيري	**67**
33	الكرماني	**68**
34	محمود بن عبد االله الحسيني الألوسي	**13**
35	المرزوقي	**78**

فهرس المصادر

- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبو حيان الأندلسي مُحَمَّد بن يوسف، تحقيق: رجب عثمان مُحَمَّد، تحقيق رمضان عبد التواب القاهرة مكتبة الخانجى، الطبعة الأولى(1418هـ-1998م)،
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى،(1419 هـ - 1998 م).
- أساليب النداء في القرآن الكريم، د. عبد القادر مُحَمَّد المعتصم دهمان، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع المنصورة- مصر.
- أسلوب الاحتباك في آثار أهل العلم ومواقعه في القرآن الكريم دراسة بلاغية، دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد، أمينة بنت سعود بن خيشان العواضي القرشي، وزارة التعليم العالى جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، شعبة الأدب والبلاغة والنقد،(1430هـ-2009م).
- إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: 244هـ)،تحقيق: مُحَمَّد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (1423 هـ , 2002 م)
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(ت 1393هـ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان عام النشر: (1415 هـ - 1995 م)
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة الرابعة (1415 هـ).
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى (1394هـ/ 1974 م).
- الاحتباك في القرآن الكريم- رؤية بلاغية -د.أحمد فتحي رمضان، عدنان غبد السلام أسعد، جامعة الموصل- كلية الآداب- مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية2006.
- الاحتباك من صور الحذف البليغ، عبد الحميد مُحَمَّد العيسوي، مصر، مجلة الأزهر 1989.

- الأعلام لخير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.
- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ناصر الدين أحمد بن مُحَمَّد ابن المنير الإسكندري المالكي، بيروت لبنان، دار المعرفة، بدون طبعة.
- البحر المحيط، مُحَمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق صدقي مُحَمَّد جميل، الناشر: دار الفكر . بيروت، القرن الثامن، سنة الطبع: 1420 هـ.
- البحر المحيط، مُحَمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (1422هـ-2001م)
- البداية والنهاية، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (774 هـ)، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الناشر: هجر للطباعة والنشر – الجيزة، الطبعة: الاولى (1417هـ - 1997 م).
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مُحَمَّد حسنين أبو موسى، وما بعدها، القاهرة ، دار الفكر العربي، بدون طبعة.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1421هـ- 2000م
- التأويل النحوي في القرآن الكريم، عبد الفتاح أحمد الحموز، دار الانبار للطباعة والنشر2022.
- التبيان في البيان، الحسين بن مُحَمَّد بن عبد الله الطيبي، تحقيق ودراسة د. عبد الستار حسين ذموط، دار الجيل- بيروت.
- التبيان في البيان، شرف الدين الحسين بن مُحَمَّد بن عبد الله الطيبي، تحقيق : توفيق الفيل، وعبد اللطيف لطف الله، الكويت، ذات السلاسل، الطبعة الأولى (1407هـ-1986م)
- التحبير في علم التفسير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ-2001م.
- التحبير في علوم التفسير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حققه وقدم له ووضع فهارسه: فتحي عبد القادر فريد، الرياض، دار العلوم بدون طبعة، (1402هـ-1982م).
- التدوين في أخبار قزوين لعبد الكريم بن مُحَمَّد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: 623هـ)،تحقيق :عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، (1408هـ-1987م)عدد الأجزاء: 4.

- التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي مُحَمَّد بن أحمد الغرناطي، لبنان، دار الكتاب العربي الطبعة الرابعة (1403هـ-1983م)
- التعبير القرآني، د فاضل صالح السامرائ، أستاذ بكلية الآداب- جامعة بغداد.
- التعريفات، علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1405،.
- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د. عبد العظيم ابراهيم المطعني، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة(1432هـ-2011م)
- التفسير القيم لابن القيم، جمع وترتيب: مُحَمَّد أويس الندوى، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان
- التفسير الكبير، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مُحَمَّد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى1997
- التفسير والمفسرون د. مُحَمَّد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، الطبعة الثامنة، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (1454/3).
- التقابل والتماثل في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، الدكتور فايز عارف القرعان، جامعة اليرموك، جدار للكتاب العالمي، 2006
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671 هـ)،تحقيق: سمير البخاري الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (1423 هـ/ 2003 م).
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، مُحَمَّد وحافي، دار الرشيد دمشق بيروت
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)،تحقيق: الدكتور أحمد مُحَمَّد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م.
- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، على مُحَمَّد الصلابي، الطبعة الأولى، (1421هـ-2001م).

- الروض المربع شرح زاد المستقنع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: 1051هـ)ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبد القدوس مُحَمَّد نذير، الناشر: دار المؤيد - مؤسسة الرسالة.
- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، (ت458هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت (1424هـ- 2003 م)
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن مُحَمَّد السخاوي (المتوفى: 902هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه(المتوفى: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، (1408 هـ - 1988 م)
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة –(1407 هـ)
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي مُحَمَّد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى،(1419 هـ -1998م)
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الموصلي، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبدالحميد، دار النشر: المكتبة العصرية – بيروت- 1995، الطبعة الثانية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الإمام الحافظ أبو بكر غالب، بن عبد الرحمن، بن غالب، بن عبد الرؤوف، بن تمام، بن عبد الله، بن تمام، بن عطية، بن خالد، بن عطية الأندلسى، تحقيق : عبد السلام عبد الشافى مُحَمَّد، الناشر: دارالكتب العلمية . بيروت، سنة الطبع : 1422 هـ.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، كتاب الجهاد، حديث رقم 2408، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى (1411 – 1990)
- المسك الأذفر في نشر مزايا رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، ويليه ذيل مسك الأذفر، محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني، تحقيق، عبد الله الجبوري، الناشر: دار العلوم للطباعة والنشر(1402هـ-1982م)،
- المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية، د.حامد صادق قنيبي، مكتبة المنار الأردن-الزوقاء.

- المطول –شرح تلخيص مفتاح العلوم– ،سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (1422هـ-2001م)
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى 1979
- المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، 1416 هـ - 1995 م
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو مُحَمَّد القاسم السجلماسي، تحقيق، علال الغازي، دار النشر: مكتبة المعارف الرباط 1980م.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، (1423 هـ - 2002 م).
- النباتة في المفعول المطلق في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، سالم أحمد ناصر، كلية الآداب، جامعة الموصل، رسالة ماجستير(2004).
- النظم القرآني في سورة الرعد، مُحَمَّد بن سعيد بن حسن الدبل، الرياض عالم الكتب، الطبعة بدون، (1401هـ-1981م)، وما بعدها
- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، مُحَمَّد رجب البيومي، الناشر: دار القلم–الدار الشامية (1415-1995)، الطبعة الأولى1995م.
- الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، الشيخ حسين المرصفي، الناشر:دار المنهاج للنشر والتوزيع(1443هـ-2021م)
- أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: الدكتور محمود مُحَمَّد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، (1413 هـ - 1991 م).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ
- بدائع الفوائد، أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، تقريظ وتقديم الدكتور وهبة الزحيلي،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه معروف مصطفى زريق ، وآخرون، دمشق دار الخير ، بدون طبعة، (1414هـ- 1994م)

- بدائع الفوائد، مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، 1416 – 1996،تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد.
- بديع القرآن المجيد، لإبن أبي الإصبع المصري(ت654)، حفني مُحَمَّد شرف، الناشر نهضة مصر للنشر.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، محقق :مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيداعدد الأجزاء: 2.
- بلاغة الإيجاز في العربية، امال بنت مت زين، بحث تكميلي مقدم لاستيفاء شروط لنيل إجازة الماجستير، كلية الدراسات الجامعة الوطنية الماليزية باغي 1997.
- بلاغة الحذف التركيبي في القرآن الكريم الاحتباك أنموذجا، د.عدنان عبد السلام الأسعد، أستاذ البلاغة المساعد في كلية التربية للبنات جامعة الموصل- العراق.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د – فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة (1427هـ-2006م)
- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ)، أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (المتوفى: 1241هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- تذكرة الحفاظ، مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى (1419هـ- 1998م)،
- تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير، الحرالي أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجِيبي الأنَدلسي (المتوفى: 638هـ)، تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان، الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط، الطبعة الأولى، (1418 هـ - 1997 م)
- تفسير ابن عرفة، مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2008 م.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.
- تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث

والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى(1422 هـ - 2001 م)

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (1420هـ - 1999 م)

- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال بيروت الطبعة الأولى (1410 هـ).

- تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، بيروت دار الفكر، بدون طبعة (1408هـ-1988م)

- تهذيب اللغة، مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي المعروف بابن أم قاسم، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة دار الفكر العربي الطبعة الأولى (1422هـ-2001م).

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى(1420هـ - 2000 م)

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى (1422 هـ - 2001 م)

- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: 1317هـ، الناشر: مطبعة المدني(1401 هـ - 1981 م).

- حاشية الجمل على الجلالين، سليمان بن عمر جمل، الناشر: مطبعة التقدم العلمية، مصر، (1929هـ)

– حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، أحمد بن مُحَمَّد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، دار النشر: دار صادر بيروت، عدد الأجزاء : 8

– حاشية الصاوي على الشرح الصغير، أحمد الصاوي، تحقيق ضبطه وصححه، مُحَمَّد عبد السلام شاهين، الناشر دار الكتب العلمية، مكان النشر لبنان/ بيروت (1415هـ - 1995م).

– حاشية فتح الجليل، أحمد السجاعي على شرح ابن عقيل على متن الألفية لابن مالك، القاهرة طبع بمصر، بدون طبعة (1290هـ-1870م)

– حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: 1335هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: مُحَمَّد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، (1413 هـ - 1993 م)

– خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مُحَمَّد مُحَمَّد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة السابعة.

– دلائل الإعجاز، أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي، وما بعدها، قرأه وعلَّق عليه، أبو فهر محمود مُحَمَّد شاكر، الناشر: جده ، دار المدني القاهرة، مطبعة المدني ، الطبعة الثالثة ، (1413هـ-1992م).

– ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس،بيت رقم (13)، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع،2012.

– ديوان الحارث بن حلزة بن مكروه، تحقيق طلال حرب، بيروت، دار صادر، بدون طبعة، (1417هـ1996م)

– روائع الإعجاز في القصص القرآني،محمود السيد حسن، الناشر:غزة- المكتبة المركزية1982.

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء: 30

– سنن الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) ، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت1998، كتاب الرضاعة، باب ما جاء في حق الزوجة على زوجها، حديث رقم (1163)

– سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية، عبد القادر عبد الله الحمداني، الناشر دار الكتب العلمية (1434هـ 2011م).

– سورة القصص دراسة تحليلية، د.مُحَمَّد مطني الدليمي، تحقيق مُحَمَّد صالح عطية، الناشر: ديوان الوقف السني(1433هـ-2012)

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة (1405هـ /1985م).

- شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي.

- شرح ديوان الحماسة، أبي علي أحمد بن مُحَمَّد المرزوقي، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الثانية(1387هـ-1967م)

- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت 911)، دار الفكر بيروت لبنان.

- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ، تحقيق: مُحَمَّد السعيد بسيوني زغلول البيهقي، باب معالجة كل ذنب بالتوبة، حديث رقم (7137)

- صحيح البخاري= لجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ و﴿والطور وكتاب مسطور﴾، حديث رقم (7114)

- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، حديث رقم (2747)

- صفوة التفاسير، مُحَمَّد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى، (1417 هـ - 1997 م).

- طبقات المفسرين، أحمد بن مُحَمَّد الأدنروي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1997، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.

- طبقات المفسرين، مُحَمَّد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

- طراز الحلة وشفاء الغلة، لأبي جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطس(ت779هـ) تحقيق رجاء السيد الجوهري، الناشر: مؤسسة الثقافة الجامعية اسكندرية 1990.

- علم القراءات، د.نبيل آل إسماعيل، مكتبة التوبة، ط أولى سنة 2000 م نقلاً عن الشبكة العنكبوتية(الانترنت).

- عوامل انهيار الدولة العثمانية، د. علي حسون، الناشر: المكتب الاسلامي، دمشق عدد الأجزاء: 1،

– غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق : شمران سركال يونس العجلي، جدة دار القبلة ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، (1408هـ-1988م)

– لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت الطبعة الأولى عدد الأجزاء15.

– لطائف الإشارات =تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)،تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، الطبعة الثالثة، نظم الدرر للإمام البقاعي(125/19)

– متن الألفية، مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، بدون طبعة ، (1410هـ-1989م)

– محاسن التأويل مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ

– مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي)، عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، (1419 هـ - 1998 م).

– مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى : 241هـ)، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب،حديث رقم 5007، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، الناشر : عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى (1419هـ 1998 م)

– معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي، محيي السنة، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ

– معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، تحقيق: مُحَمَّد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى مكة المرمة، الطبعة الأولى، 1409

– معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (1420هـ-2000م)

– معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم أحمد العباسي، حققه وعلق حواشيه: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، بيروت دار الكتب، بدون طبعة، (1367هـ-1947م

- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان الطبعة الأولى (1408 هـ - 1988 م).
- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (1411هـ-1991م)،
- معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الناشر دار الكتب العلمية-بيروت-سنة النشر 1411 هـ - 1991م،
- معجم الأفعال التي حذف مفعولها غير الصريح في القرآن الكريم، عبد الفتاح الحموز، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع،1986.
- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995 م، عدد الأجزاء: 7.
- معجم الشعراء العرب المؤلف: تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية نشر في 29 يوليو،2019
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.احمد مطلوب، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى(1403هـ-1984م).
- معجم المؤلفين عمر بن رضا بن مُحَمَّد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ)، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت،عدد الأجزاء: 13.
- معجم علوم اللغة العربية، مُحَمَّد سليمان عبد الله الأشقر، الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى، سنة النشر(1415هـ-1995م).
- معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، محمد سعيد اسبربلال جنيدي، الناشر: دار العودة-بيروت-(1985)،الطبعة الثانية.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،تحقيق : عبد السلام مُحَمَّد هارون، الناشر : دار الفكر(1399هـ - 1979م)
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة (1420 هـ)
- مفتاح العلوم، أبي يعقوب يوسف بن مُحَمَّد بن علي السكاكي، حققه وقدم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (1420هـ-2000م)

– مقدمة في أصول التفسير(47) لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمه (ت 728هـ – 1328م) تحقيق: محب الدين الخطيب– ط الثانية – المطبعة الس لفية ومكتبتها– القاهرة(1385–هـ1965م)
– ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت.
– من مشاهد القيامة وأهوالها، جمع وتحقيق: عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله، الفقيرإلى الله تعالى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.
– مناهل العرفان في علوم القرآن، مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني(المتوفى: 1367هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالث.
– منهج الإمام الألوسي في القراءات وأثرها في تفسيره(روح المعاني)، إعداد الطالب: بلال علي العسلي، إشراف الدكتور عصام العبد زهد، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة (1430 هـ – 2009 م)
– موسوعة أساليب المجاز في القرآن الكريم،د. أحمد حمد محسن الجبوري، دار الكتب العلمية2017
– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى : 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.
–الجرس والإقاع في التعبير القرآني، ياسر الزيدي كاصد، مجلة آداب الرافدين،سنة النشر 1978.
–الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي –مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية.
–القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: 817هـ)، مادة حبك، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة (1426 هـ – 2005 م).
البرهان في علوم القرآن، مُحَمَّد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1391.

-غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي(المتوفى:324هـ)، تحقيق: د. مُحَمَّد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، (1384 هـ - 1964 م)،

-فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب مُحَمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: (1412 هـ - 1992 م)

-فتح القدير، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت، الطبعة الأولى 1414 هـ.

-في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. خليل أحمد عمايره، الناشر عالم المعرفة جدة، الطبعة الأولى(1404هـ-1984م).

-كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

-كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت – 1419هـ - 1998م)تحقيق: عدنان درويش - مُحَمَّد المصري

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
الإهداء	5
كلمة الشكر والتقدير	6
مقدمة	8
التعريف بالموضوع	8
أهمية الموضع	8
أسباب اختيار الموضع	9
إشكالية البحث	9
الدراسات السابقة	9
منهج البحث	10
خطوات البحث	11
خطة البحث	11
التمهيد: التعريف بالإمام الألوسي وتفسيره روح المعاني، وفيه نقطتان.	12
النقطة الأولى: التعريف بالمؤلف (الإمام الألوسي)	15
اسمه ونسبه وكنيته ولقبه	15
مولده ونشأته	15

عقيدته ومذهبه الفقهي 16
شيوخه 16
مؤلفاته 17
تلامذته 18
وفاته 18
الحالة السياسية 18
الحالة العلمية 19
النقطة الثانية: التعريف بتفسيره (روح المعاني) 20
عنايته بالمكي والمدني 21
عنايته بأسماء السور 22
اهتمامه بعلم المناسبات 23
عدد آيات السور 23
ترتيب السور 24
الإحالة وعدم التكرار 24
عنايته بالتفسير بالمأثور 24
اهتمامه بأسباب النزول 27
عنايته بالناسخ والمنسوخ 27

اهتمامه بالبلاغة 28

اهتمامه بالنحو 28

اهتمامه بالتفسير الإشاري 29

الباب الأول: مفهوم الاحتباك وبيان ضوابطه، وشروطه، وأشباهه في آثار أهل العلم. 30

الفصل الأول: مفهوم الاحتباك وشروطه، وفوائده البلاغية، وبيان ضوابطه 31

مفهوم الاحتباك 31

الاحتباك عند العلماء قديماً وحديثاً: 35

شروط الاحتباك 42

فوائد الاحتباك البلاغية: 42

ضوابط الاحتباك 43

الفصل الثاني: أنواع الاحتباك، وبيان علاقته بالإيجاز وبالبلاغة. 44

أنواع الاحتباك 43

الاحتباك الضدي 44

الاحتباك المتشابه 46

الاحتباك المتناظر 49

الاحتباك المنفي المثبت 51

الاحتباك المشترك 52

بيان علاقة الاحتباك بالإيجاز، وعلاقته بالبلاغة. 54

الفصل الثالث: الاحتباك في آثار أهل العلم. وفيه ثلاثة مباحث 56

الاحتباك في آثار النُّحاة 56

الاحتباك في آثار المفسرين 59

الاحتباك في الدراسات البلاغية، والنقدية 72

الباب الثاني: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني. وفيه أربعة فصول. 81

الفصل الأول: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأعراف) 82

الفصل الثاني: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الأنفال إلى نهاية سورة الكهف) 112

الفصل الثالث: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة مريم إلى نهاية سورة الزمر) 142

الفصل الرابع: مواضع الاحتباك وأثره في تفسير روح المعاني(من أول سورة الغافر إلى نهاية سورة الناس) 183

الباب الثالث: أثر الاحتباك عند الإمام الآلوسي في الميزان، وفيه فصلان: 220

الفصل الأول: اتفاق الإمام الآلوسي مع بقية المفسرين في بيان أثر الاحتباك 221

الفصل الثاني: اختلاف الإمام الآلوسي مع بقية المفسرين في بيان أثر الاحتباك 226

الخاتمة والنتائج 229